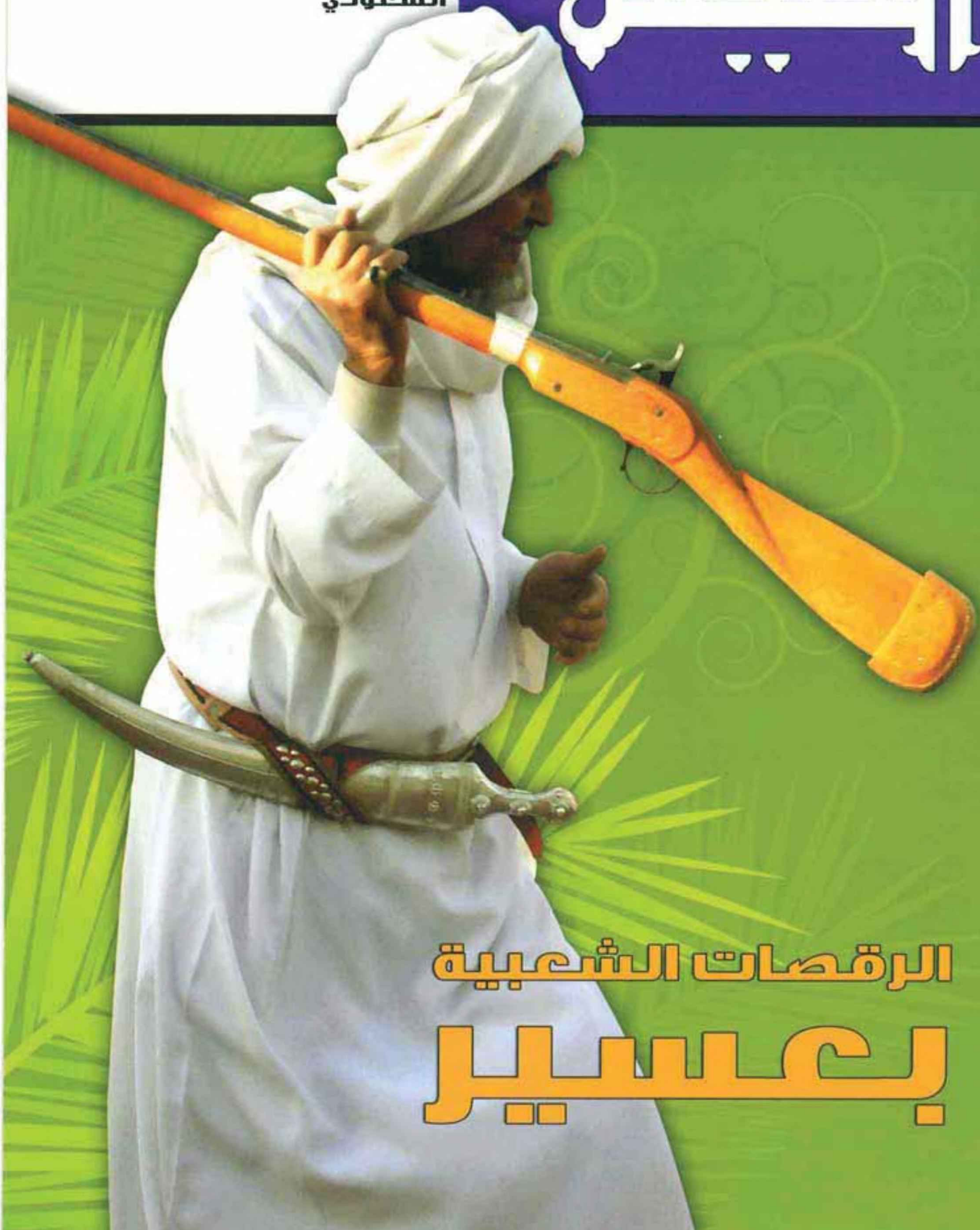
الفيصل

- الإسلام في اليابان
- الثقافة العلمية في المجتمع السعودي

مجلة ثقافية شهرية-الربيعان ١٤٣٠هـ/ مارس-إبريل ٢٠٠٩م

٣٩٣
٣٩٤



الرقصات الشعبية بعسير

المحتويات

إدارة التحرير
رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير
حسين حسن حسين
محسن بن حمد الخرابة
حوى النبي علي صالح
سيد علي الجعفري

الإخراج الفني
الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة
ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ، ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي
١٥٠ ريالا سعوديا للأفراد، ٢٥٠ ريالا سعوديا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات
هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥، ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع
في مكتبة الملك فهد الوطنية
٤١/٢٤٥٠
ردمد ٨٥٢٠-٠٤١١

الناشر
دار الفيصل الثقافية



تعدّ الرقصات الشعبية أحد ألوان الفنون الشعبية التي تؤدى في المناسبات المختلفة في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية، ومن أشهر هذه الرقصات: العرضة، والخطوة، والزحفة، والدمة، وغيرها. وتشتهر منطقة عسير الواقعة في جنوب غرب المملكة بكثير من هذا الألوان الشعبية. فما أشهر هذه الرقصات؟ وما أشهر قصائدها؟ وما أشهر الفرق الشعبية التي تحافظ على هذا الموروث؟

ضوابط النشر

يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.

لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.

يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة. ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.

- في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.

لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هنالك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من

- مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر، ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار
- النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.

نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.

- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».

يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:

- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.

التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.

- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلسًا. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ٢٥٠, ١دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكًا. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤ (٠١) فاكس ٤٨٧١٤٦٠ (٠١) مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء. هاتف ٣٣٩١٠٩٥ فاكس ٣٣٩١٠٩٦ . ٢٠٢ . . سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٠٩١ هاتف ٢١٢٧٨٣٢ . ١١ فاكس ٢١٢٢٥٣٢ . ١١ . ٠٠٩٦٣ تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩ فاكس ٣٢٣٠٠٤ . ٧١ هاتف ٩٣٢٢٤٩ . ٧١ . ٠٠٢١٦ قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٩٨ . فاكس ٤٦٦١٨٦٥ . ٠٠٩٧٤. الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٥٦٣٠١٩١ . فاكس ٥٦٣٥١٥٢ . ٦ . ٠٠٩٦٢. البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ . فاكس ٢٩١٢٩١ . ٠٠٩٧٣. الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ . فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ . ٤ . ٠٠٩٧١. الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤٠١٢٠ . ١١ . فاكس ٢٤١٧٨٠٩ . ٢ . ٠٠٩٦٥. المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس ٢٤٠٣١٠٣٢ . ٢٢ . ٠٠٢١٢ . ٢٢ . ٠٠٢١٢. الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف ٢٠١٩٠١٠٢ . ٠٠٩٦٧ فاكس ٢٠١٩٠٩٠٧

رحلتي مع «الفيصل»

السيد رئيس تحرير مجلة الفيصل..

تسعدني الكتابة إليكم، راجياً أن تحظى رسالتي بالقبول من إدارتكم الموقرة.

رحلتي مع مجلة «الفيصل» الفيحاء منذ سنوات بعيدة عندما كنت في المرحلة الثانوية، فقد كنت أجوّل بناظري وفكري بين صفحاتها المشرقة، وموضوعاتها الشائقة، واليوم أناهز من العمر ٤٧ عاماً، وصرت أنتظر بشوق عميق في مطلع كل شهر موعد صدورها بانتظام، وصرت أمتلك العشرات من مجلة الفيصل، وإني أثني صدقاً على هذه المجلة الأصيلة، علماً أنني فزتُ عدة مرات في المسابقة الشهرية بجوائز مالية، واشتراكات، وإصدارات من مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

سيدي، أعلمكم أنني عندما بعثت إليكم برسالتين للمشاركة في المسابقة الشهرية لعددي ٣٨٢ و٣٨٤ كانت دهشتي أن رسالتيّ أعيدتا إلى عنواني الشخصي، علماً أنني كتبت عنوان مجلة الفيصل صحيحاً، وأنا أتعجّب: لماذا لم تصل الرسالتان؟! ورجائي الردّ على رسالتي في أقرب وقت في عدد قادم إن شاء الله، وأمل النظر في هذا الموضوع.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

جمال عبدالله

بنان - تونس

التحرير:

نقدّر لك هذا الارتباط الوجداني بالمجلة، ووفاءك لها، ونأمل أن تكون الفيصل عند حسن ظنّ أمثالك من القراء. وصول هذه الرسالة التي ننشرها دليل على أنه لا خطأ في العنوان، ولا ندري سبب إعادة رسالتيك، ونرجو ألاّ يتكرر هذا مستقبلاً، ومرحباً بك مشاركاً دائماً في المسابقة، ومتابعاً للمجلة.

الأخطاء المطبعية

السيد رئيس تحرير مجلة (الفيصل)

المحترم..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

أبارك لكم جهودكم الطيبة في الحفاظ على المستوى اللائق لمجلتنا الموقرة، وأتشرّف بإرسال هذه المادة؛ أملاً في أن تحظى بشرف موافقتكم للنشر، وهي بعنوان: «مشكلة الزمن بين الفلسفة والعلم».

وأود في هذه المناسبة أن يتّسع صدركم لملاحظة صغيرة أرجو أن تؤخذ في الحسبان، ألا وهي انخفاض مستوى التدقيق اللغوي لبعض المواد المنشورة عن الحدّ المطلوب؛ فقد وجدت ذلك واضحاً في مادتي السابقة التي تشرّفت بنشرها في العدد (٣٣١)، التي سبق أن أرسلتها مطبوعةً على الورق من دون إرسال النص الأصلي على قرص مرن؛ إذ تضمن المقال المنشور عدداً مهماً من الأخطاء المطبعية، التي يبدو أنها ظهرت في أثناء إعادة تنضيد المقال. فأرجو من سعادتكم التنبه إلى هذا الأمر المهم في كل المواد الأخرى التي تحظى بموافقتكم للنشر في المجلة. وسأقوم حالياً بإرفاق نصّ هذا المقال على قرص مرن؛ تجنباً لوقوع هذه الأخطاء، وتسهيلاً على العاملين في المجلة.

ومن جهة أخرى، أرجو من سعادتكم إتاحة التواصل بين القراء والمجلة عن طريق البريد الإلكتروني؛ اختصاراً للوقت الذي يستغرقه البريد الجوي في حال وجود أيّ استفسار أو تساؤل يرغب بعض القرّاء أو الكتّاب في طرحهما على أسرة التحرير.



وأرجو أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير..
مع أطيب التحيات..

أحمد دعدوش
دمشق - سورية

التحرير

نشكر لك ملاحظتك، وعلى الرغم من حرصكم على الدقة اللغوية إلا أن كلمة مشكلة بينط بارز خطأ (مشلكة)، وهذا من السهو أو الخطأ الذي يحدث دائماً، ونحرص على تصحيحه، ومع ذلك لا يخلو الأمر من الأخطاء، ومتابعة أمثالكم يُعين على تفاديها، كما أن وجود المادة على القرص المرن يعين على تفادي كثير من الأخطاء الناتجة من التصحيح، ونأمل من الكتّاب مراسلتنا على العنوان الإلكتروني الآتي: alfaisalmagazine@yahoo.com

لماذا لا تحتفون بـ(الفيصل)؟

لقد ظللت أتابع مجلة الفيصل على مدى ٢٠ عاماً، وأرى أنها ظلت دوماً مجلة رصينة، مترعة بالموضوعات الجادة المفيدة، وهي تمثل كتاباً في عصر عزّ فيه الكتاب، وإذا وُجد تصعب قراءته لضيق الوقت، وتسارع إيقاع العصر.

إنني لا أعرف سبباً لعدم احتفائكم بهذه المجلة، سواء عندما ملفت ربع قرن من مسيرتها، ثم بعد أن بلغت ثلاثين عاماً، وذلك في الوقت الذي يبتدع فيه الآخرون مناسبات واهية للاحتفاء بإصداراتهم، مع أنها لا تصل إلى مستوى مجلة الفيصل بأيّ حال من الأحوال.

إنني كنت أتمنى الاحتفال بهذا التاريخ الطويل للمجلة، وإصدار عدد تذكاري ضخم يشتمل على مقالات كبار الكتّاب الذين أثروا مسيرتها، كما كنت أودّ أن تكون هناك جوائز لمن يحتفظون بأعدادها الأولى، وغير ذلك من الأفكار التي تؤكد ارتباط القرّاء بمجلتهم، على الرغم من تحوّلات الزمن ومتغيراته، ولكم تحياتي.

أشرف أبو بكر محمد حيدر
شبرا مصر - القاهرة

التحرير:

نشكر لك هذا الاحتفاء والاعتزاز بمجلتك، وما طرحته من أفكار جدير بالنظر، وهناك الجديد القادم الذي يجعلنا نحتفي به، فلك تقديرنا.

محاضرات المركز و(الفيصل)

أتابع أنشطة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية عبر الصحف، وأرى أن هناك محاضرات قيّمة يقوم بتنظيمها، ويودّ كثيرون مثلي لو واتتهم فرصة حضورها، ولكن بُعد المسافة يحول دون ذلك، فلماذا لا تفكرون في تعميم الفائدة من خلال وضع cd داخل العدد؛ مما يتيح لنا الاطلاع على محتوى هذه المحاضرات، وإذا كان في الإمكان وضعها في صفحات من المجلة فإن ذلك يمثل خدمة كبيرة لقرّاء يودون المتابعة والاستزادة من معين هذا الصرح الثقافي العملاق.

خالد خليل حامد
الطائف - السعودية

التحرير:

نشكر لك إطراءك، ونضع فكرتك أمام المسؤولين؛ لعل في الإمكان الإفادة منها.

الجسور

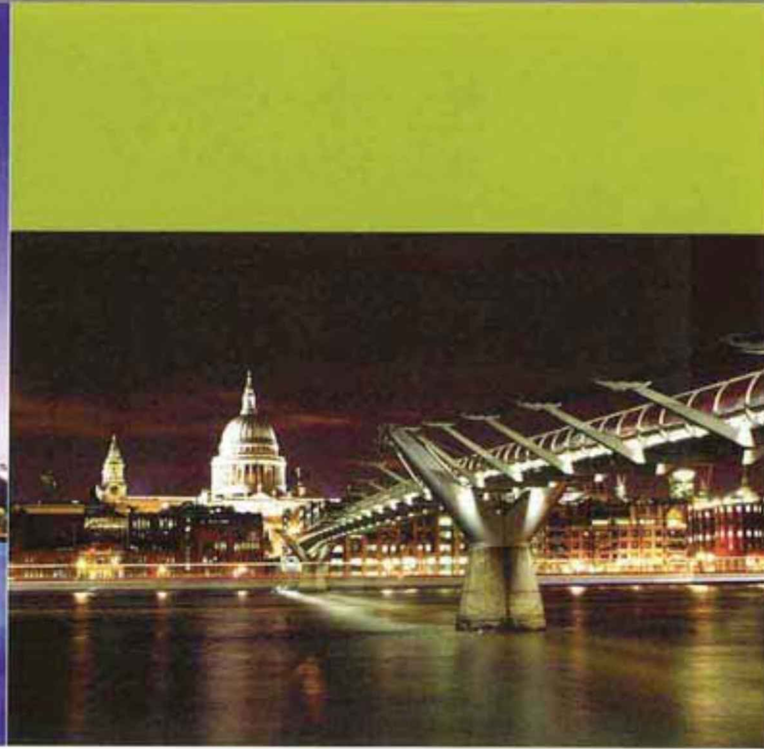
معجزة الهندسة التي تقهر المكان

استطلاع



خالد خلف زيدان

المنيا - مصر





جسر سيدني

منذ العصور السحيقة شرع الإنسان يمهّد الطرق، ويسوّي الدروب؛ ليسهّل لنفسه السير والسعي. ولكن عندما اعترضته المجاري والهضاب الوعرة كان عليه أن يعمل فكره لاجتياز عوائقها، فاهتدى إلى اختراع الجسور.

الحاجة تقهر الطبيعة

كان الجسر في شكله البدائي عارضةً محصنةً من الحجر، أو زنداً خشبياً من جذع شجرة يتم إرساؤه لعبور قناة ريّ أو فرجة جبلية. وتكمن المشكلة الأساسية في هذا النوع من الجسور في أن المسافة بين الدعامتين اللتين يربط بينهما الجسر كانت ذات أبعاد محدودة، فبينما وصلت إلى عشرة أمتار في حالة الجسور الخشبية، خصوصاً إذا كانت السقالات مأخوذة من سوق النخيل، نجدها لم تتجاوز خمسة أمتار في حالة الجسور الحجرية؛ إذ إن نحت الكمرات من الجلاميد الصخرية بأكثر من تلك الأطوال كان مبدّداً للوقت والجهد. وأقدم ما يمثّل هذه الجسور هو صورة أشورية بارزة محفوظة في متحف جنيف بسويسرا يرجع تاريخها إلى القرن العاشر قبل الميلاد، يظهر فيها أحد الفرسان وهو يعبر إحدى الترع فوق بناء خفيف وهو يستند إلى بعض الفروع المتقاطعة المغطاة بالطين. ومع هذا، فقد تناول تيودور ممسن – في أثناء صفحات كتابه الشهير (تاريخ روما) – الحديث عن عدد من الجسور التي شيّدت على نهر التايبر طوال القرون الخمسة التي سبقت الميلاد تعدّت مداداتها الخشبية وتعشيقاتها الحجرية خمسة عشر متراً، كان من أبرزها جسر (فابري شيوز).

وبالنسبة إلى عبور الأنهار التي يزيد عرضها على الخمسين متراً كانت الجسور العائمة هي الأنسب. وتقوم الفكرة الأساسية لهذه الجسور على وضع صف من القوارب المتراصة في عرض النهر تتصل فيما بينها بألواح خشبية ثقيلة على الحواف بين كل قارب والذي يليه لتسهيل التنقل عليها. وعلى هذا، فإن بناء الجسر العائم في مياه ساكنة عمل في غاية البساطة، ولكن في المياه الجارية تشتد الحاجة إلى مهارات البراعة المائية لتدبير مواضع القوارب، وتقدير المسافات الصحيحة التي تفصل بينها، وإعدادها لتسع السنادات اللازمة لبدن الطريق على ظهرها. وهنا لا تكفي المراسي وحدها لتثبيت الجسر في موضعه مدة طويلة في نهر شديد الجريان. لهذا، كان ضرورياً أن تمدّ سلسلة أو حبل عبر ضفتي النهر لشد القوارب جيداً؛ حتى لا يجرفها التيار. وعلى الرغم من أن هذا النوع من الجسور يتميز بسرعة إنشائه، إلا أنه يتطلب صيانة مستمرة، بل هو عرضة للتدمير بالأنقاض العائمة أو الفيضانات العاتية؛ لذلك فهو لا يعدّ نمطاً للمنشآت الدائمة. ومع هذا، فقد كان استخدام مثل هذه الجسور شائعاً في العراق من أجل عبور نهريها الرئيسين، وفي مصر من أجل قهر نيلها. وقد كتب الرحالة ابن جبير واصفاً جسراً من المراكب الكبيرة على نهر الفرات عند الحلة بأنه تضمن سلاسل من كل جانب شبيهة بعيدان مفتولة بواسطة أدوات تثبيت خشبية

موجودة على ضفتي النهر. كما ذكر الإصطخري أن جسراً عائماً كان يصل بين مدينة الفسطاط والجزيرة المقابلة لها في النيل، وأن جسراً آخر كان يصل الجزيرة بالضفة المقابلة من النهر. وقد وصف الإدريسي هذين الجسرين مضيفاً أن الجسر الأول تكوّن من ثلاثين زورقاً، والثاني من ستين زورقاً. وفضلاً عن هذا، فقد عثر على بقايا خشبية لجسور عائمة كانت تعترض نهر هلمند في سجستان بغرب أفغانستان، ونهر أموداريا بتركمانستان، ونهر هيليس بونت في الشمال الشرقي لإيران.

وبينما كانت الجسور العائمة موسمية مؤقتة؛ لأنها لم تصمد طويلاً أمام أخطار الطبيعة، فإن الجسور المعلقة لم تكن لتنجو هي الأخرى من مثل تلك الأخطار، فقد تعصف بها الرياح الهوج؛ إذ لم تكن أنواعها الأولى تعدو حبالاً على هيئة فستونات من النباتات المتسلقة أو القصبات المعترشة، وبخاصة عيدان الخيزران. فكان كل جسر يتكون من طبقة متراصة من تلك الحبال يفرش عليها ألواح خشبية من جذوع الأشجار التي تربط فيما بينها بإحكام، ثم تشدّ حبال متينة أخرى على طول الجانبين لتكوّن سياجاً أشبه بالدرابزين، وبعدها تعلق عبر الممرات. وبهذا يكون الجسر صالحاً للإنسان ولدوابّ النقل على السواء. ولعل رائي أحد تلك الجسور يجده يأخذ شكل منحنى السلسلة؛ إذ يكون الممشى على المنحنى الطبيعي للحبال، وليس أفقياً، أو حتى قليل الاحديداب.

ويكاد هذا النوع من الجسور يوغل في القدم؛ إذ يشير مصدر صيني مكتوب في نحو عام ٩٠ ق. م إلى هذا النوع من الجسور في جبال هندوكوش، موضحاً أن «الوديان والممرات الضيقة الموجودة عبر وهاد تلك الجبال ونجادها لا تسمح أبداً بوجود طريق متّصل، ولكن مشدّات الحبال الواصلة بين الجانبين هي الوسيلة الفعالة للعبور»، حتى إن الاسم ذائع الشهرة (هندوكوش) يؤكد ذلك؛ فهو يعني (الممرات أو المعابر المعلقة)، وهذا دليل على قدم الاختراع. وليس هناك أدنى شك في أن هذه الجسور كانت مستخدمةً في كثير من مناطق الصين، بل كانت أساسية للاتصالات خلال حزام جبال آسيا، بدءاً من الهيمالايا حتى هندوكوش.

وإنه لأمر يثير الفضول أن تظلّ مثل تلك الجسور محتفظة ببدائيتها، ولا يعتريها أي تطور حتى أيامنا هذه؛ إذ يمكن أن نراها الآن مقامةً على كثير من روافد الأنهار وفرجات الهضاب في جنوب



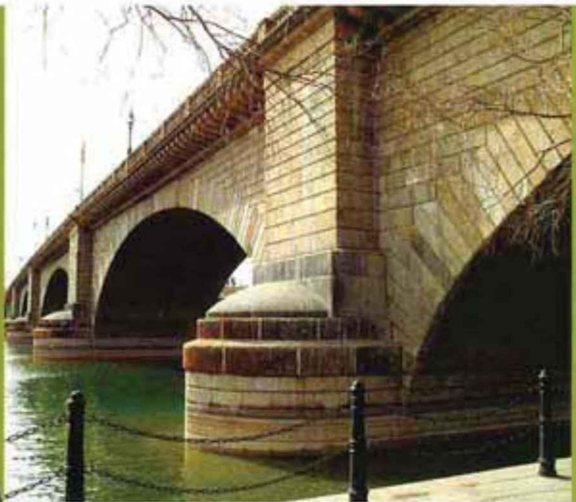
الطابع المعماري القديم للجسور

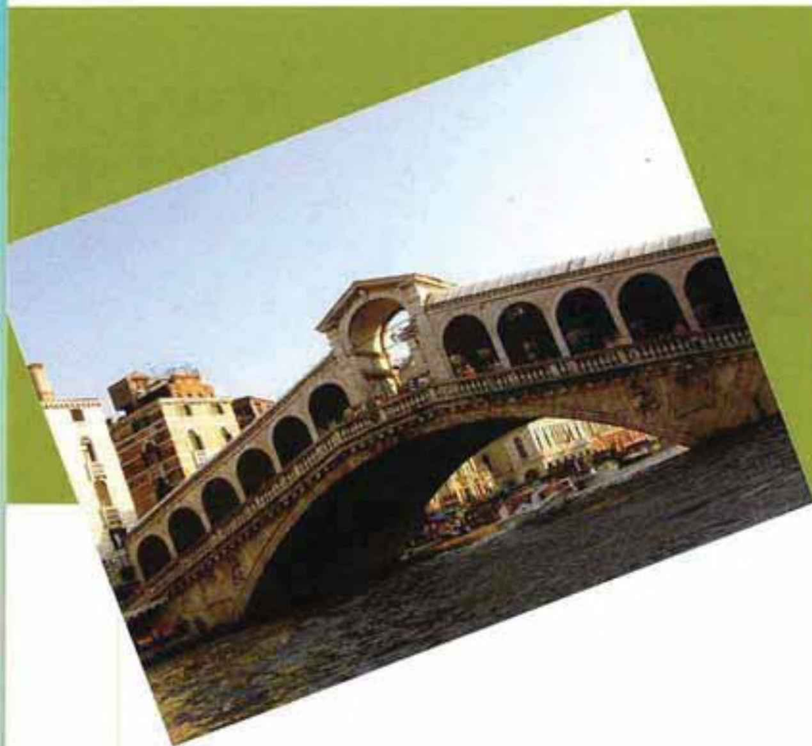
شرق آسيا ووسطها، وغرب إفريقية، وأمريكا الجنوبية، وغيرها.

الأقواس الرومانية تغزو

برع اليونانيون ومن بعدهم الرومان في إنشاء الجسور الحجرية المقوسة على المسطحات المائية الواسعة. ويرجع السبب الرئيس في ذلك إلى أمرين لهما أهميتهما البالغة: أولهما: هو اكتشاف نوع من الأسمنت الهيدروليكي الطبيعي يسمى (بوزولانا) له قدرة مذهلة على التصلّد تحت الماء؛ مما أدى إلى صناعة مونة الجير أو الخرسانة التي تصلح للاستخدام في عمل الأساسات العميقة. أما السبب الآخر فهو التوصل إلى إنشاء سدّ الإنضاب، فعندما قابلت البنائين مشكلة غرس الدعامات تحت منسوب الماء لجؤوا إلى عمل حواجز خشبية تدفع إلى عمق تربة المجرى المائي لتشكل سياجاً حول الموقع المزمع إنشاء الدعامات الخشبية للجسر عنده. وبواسطة لولب أرشميدس تُسحب المياه حتى يمكن إنشاء الدعامات المطلوبة على قاع المجرى الجاف. وفي أحيان أخرى، كانوا يعمدون

كانت بعض الجسور من الاتساع حتى إنه كانت تقوم فوقها كنائس أو مكاتب لتحصيل الضرائب أو حوانيت للبيع، ومن هنا أصبحت مراكز تجارية حقيقية





إلى تغيير مجرى التيار في أثناء مدة العمل، ثم إعادته بعد الانتهاء.

وبمقاييس عصرها عدّت الجسور الحجرية معجزات هندسية ومعمارية؛ فقد سمحت الأقواس الفاصلة بين المجازات المائية بتعدّد العقود؛ مما جعل تلك الجسور تمتد مسافات طويلة قد تتعدى مئات الأمتار، كما وفّر لها رسوخها ومتانة بنائها قدراً كبيراً من مقاومة خطر الفيضانات الجارفة والرياح العاصفة، فضلاً عن أنها أتاحت حرية الحركة للقوارب في الطرق المائية.

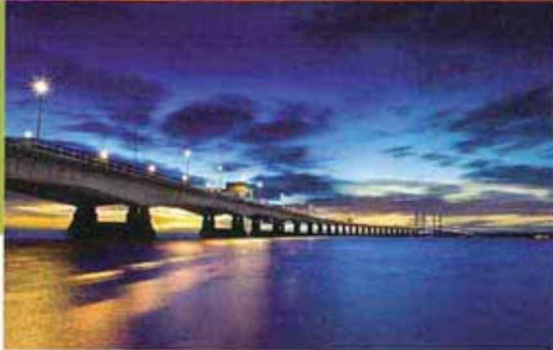
وهناك نماذج مشهورة مازالت باقية تفاخر بعظمة منشئيها، وعبقرية بنائيها: مثل جسر جارد جنوب فرنسا الذي بُني في عصر الإمبراطور فسبسيان (٦٩-٧٩م)، وهو يتكون من ثلاثة صفوف من القناطر يعلو بعضها بعضاً، ويقوم فوق القنطرة السفلى طريق لا يزال يمكن العبور فيه حتى الآن. أما القنطرة العليا، فتحمل قناة تغذّي مدينة نيم بالماء. ويبلغ طول الجسر ٢٧٣ متراً، على حين يصل ارتفاعه إلى ٤٩ متراً. وفي أيام حملته على مملكة داسيا أمر الإمبراطور تراجان (٩٨-١١٧م) ببناء جسر على نهر الدانوب بلغ طوله ٣٦٠ متراً، وتكوّن من عشرين عقدة. كما أن دوميشيان (٨١-٩٦م) من قبله كان قد عبر نهر الراين على جسر مشابه شيّده في آخر سني حكمه. بينما أقام هادريان (١١٧-١٣٨م) جسراً على نهر تاج بلغ طوله ١٨٨ متراً. وامتدّ الطريق الذي يحمل قناطره الست المتناسقة فوق مستوى سطح النهر بأكثر من خمسين متراً. وقد تم ترميمه عدة مرات. وفي أثناء تدعيم أساساته وجدرانه في عهد الإمبراطور كومودس (١٨٠-١٩٢م) عثر على كتابات بالقرب منه تشير إلى أنه قد شيّد (لكي يبقى ما بقي العالم).

وبخلاف طابعها الوظيفي، فإن الجسور المقوسة لم تهمل السمة الجمالية التي ميّزت العمارة الرومانية: فجسر جوليان الذي يبلغ طوله ١٧١ متراً كان يتصدر مدخله الشرقي أحد أقواس النصر. وأيضاً جسر فلافيان في مارسيليا بفرنسا كان يشمل في كل من مدخليه باباً أنيقاً مزيّناً بالرخام الأسود، وتعلوه تماثيل سباع أليفة. كما أن جسر سالا مانكا على نهر تورميز بإسبانيا كانت تزيّن حوافه تماثيل لخيول وأعمدة دورية رشيقة.

وقد ازدهر تشييد أمثال تلك الجسور في أرجاء كثيرة من العالم الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، وإن بدت في معظمها متأثرة بالطراز الفارسي: مثل جسر صنجة على أعالي الفرات، وجسر جند يشابور على نهر ديز في خوزستان، وجسر الأرتقيين على نهر باتمان سو في ديار بكر، وجسر الفسطاط الذي أنشئ في عهد أحمد بن طولون على النيل.

وإبان الحقبة الزمنية الفاصلة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية وعصر النهضة شيّدت بعض الجسور الحصينة. ومن ذلك أن جسر لندن على نهر التايمز عام ١١٧٦م كان يشرف

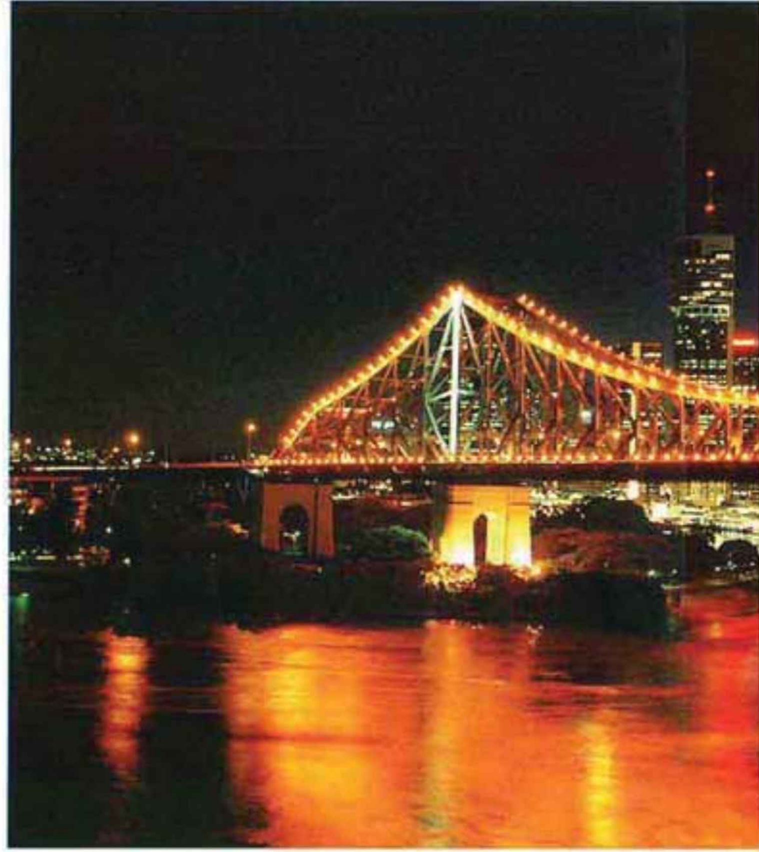
الجسور عنصر جمالي في المدينة المعاصرة





من نهايته على قلعة تتيح للمسافرين أن يكونوا بمنأى عن قطّاع الطرق واللصوص. كما أن جسر سان بينيزيه في أفينيون على نهر الرون عام ١١٨٧م كان مزوّداً بأبراج للمراقبة. وقد كانت بعض الجسور من الاتساع حتى إنه كانت تقوم فوقها كنائس أو مكاتب لتحصيل الضرائب أو حوانيت للبيع، ومن هنا أصبحت مراكز تجارية حقيقية؛ مثل جسر بولتيني في باث ببريطانيا، وجسر بال على نهر الراين في سويسرا.

وبدايةً من القرن الخامس عشر الميلادي أنشئت الجسور



في عام ١٨٣٧م تم إنشاء أول جسر له هيكل ضخم ترتبط وصلاته بالأوتاد، وكان ذلك على يد الأمريكيين وليم هاو، وجيفرسون ويلي في ولاية كنتاكي

الحجرية الشهيرة ذات النقوش والأفاريز التي تميز بها عصر النهضة الإيطالية، وأشرف على بنائها مشاهير العلماء آنذاك. ومنها جسر (سانتا ترينيتا) الذي أقامه جاليليو في فلورنسا، وجسر (ريالتو) الذي شيّده روبرت هوك في فينيسيا، وجسر (كونستانتيني) الذي صمّمه ليوناردو دافنتشي في نابولي.

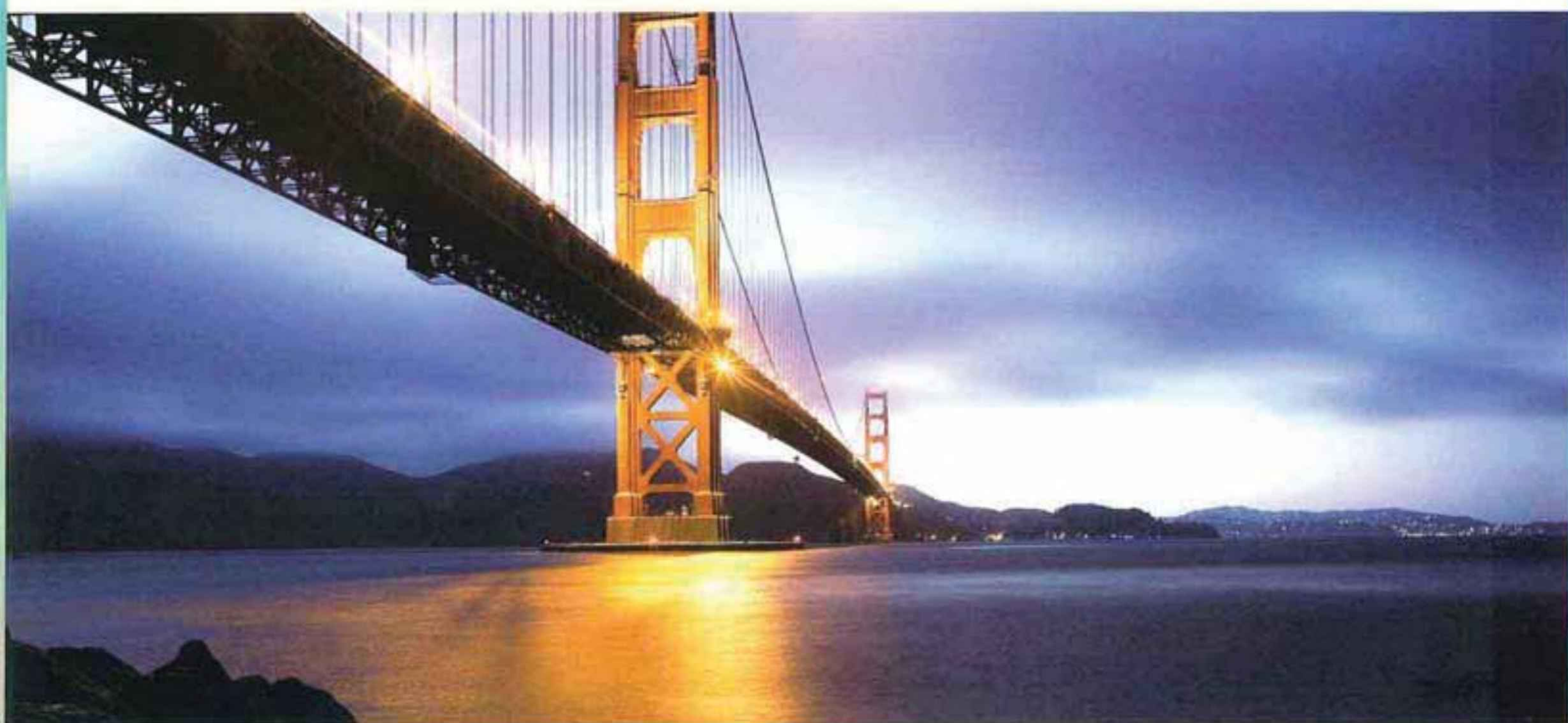
ومنذ القرن السادس عشر الميلادي عبرت معظم الدول الأوربية الأنهار، حتى إنه ما كاد يحلّ القرن السابع عشر حتى أصبحت الجسور مألوفة للرائي، وضرورةً ملحةً لربط أحياء المدن وخلق مجتمعات عمرانية وحضارية جديدة. وقد قدّر ليكنسون بلوجاج في كتابه (حضارة أوربا) عدد الجسور التي عبرت الدانوب وروافده خلال تلك المدة بمئة واثنين وسبعين جسراً، وأحصى جسور فرنسا بواحد وخمسين جسراً. كما ذكر أن «مدينة فينيسيا الإيطالية كانت تُعرف بمدينة الجسور؛ حيث كان يربط قنواتها عشرات الجسور. كان من أبرزها جسر التنهدات الذي يصل الجزء الشرقي لقصر حاكمها (دوجيه) بسجنها العتيق».

أشكال كثيرة ومخترعون

قبل أن يبدأ القائمون على تنفيذ أحد الجسور يجب أن يأخذوا في الحسبان عدة أمور مختلفة؛ مثل: أحسن أنواع التجسّر ملاءمة للمكان، وطبيعة الأحمال التي سوف يتحملها الجسر، وأفضل المواد وطرائق البناء مواءمةً. كما يجب أن يراعوا كذلك ظروف البيئة المحيطة؛ مثل: شدة الرياح، ومقاومة التربة للزلازل. وفي مرحلة التنفيذ تُغرس أساسات الدعامات لتغوص إلى أعماق بعيدة قد تصل إلى ستين متراً تحت قاع المجرى المائي.

وتتخذ الدعامات عدة أشكال طبقاً لطول المدى بين مجازاتها، وطبيعة المواد المستخدمة في إقامتها. وفي بعض الأحيان يُعرف الجسر بشكل تلك الدعامات؛ فهناك الجسور الكابولية إذا كانت تبرز من الدعامات كتيفات أو باعات معلقة تستند إلى كلا الجانبين، وهناك الجسور المعلقة التي تتخذ فيها الدعامات شكل الأبراج العالية، ويحمل بدن الجسر كوابل معلقة تمرّ عبر قمم هذه الدعامات، وهناك الجسور العتبية التي تتخذ شكل القنطرة؛ حيث ترصّ العوارض أو الكمرات جنباً إلى جنب مستندةً إلى الدعامات مباشرة، ويشيع استخدام هذا النوع من الجسور أكثر من غيره. وأحياناً قد تتحوّر من تلك الأشكال أنواع أخرى: فهناك الجسور ذات العقد التي تتخذ فيها الفتحات بين الدعامات أشكال العقود، وتكاد المسافات الفاصلة بينها تتساوى كلما تتابعت المديات. وهناك الجسور الصندوقية ذات العوارض المفرغة التي تعطي المتانة اللازمة مع أقل وزن ممكن. وفي أحيان أخرى قد يجمع الجسر بين نموذجين من تلك الأشكال: مثل الجسور الكابولية المعلقة، أو الجسور الصندوقية المعلقة، وغيرهما.

وقد ظلّت المواد الأساسية المستخدمة في البناء هي الخشب



جسر سان فرانسيسكو

والحجر والآجر حتى قبل نهاية القرن الثامن عشر الميلادي؛ إذ كان استكمال تشييد جسر (كول بروك ديل) الذي يعبر نهر السيفيرن في إنجلترا عام ١٧٧٩م علامة بارزة حدّدت نهاية العصر الذي سادت فيه تلك المواد. فقد قام عالم المعادن الإنجليزي أبراهام داربي بإنجاز هذا الجسر الذي اتخذ هيئة عقد نصف دائري باستخدام الحديد الزهر المسبوك. وقد بلغت المسافة بين ركيزتي القوس المركزي للجسر ثلاثين متراً، بينما وصل وزن كل من ضلعيه الأساسيين قرابة ستة أطنان من مسبوكات الزهر. وما كاد يمرّ ربع قرن على ذلك الإنجاز حتى شيّد أونيل لكسمبورجو جسره الشهير في باريس عام ١٨٠٤م، وقد تعدّت فيه المسبوكات الحديدية مئة طن. وبعد خمسة أعوام أقيم أول جسر معدني معلّق، وكان ذلك على نهر ميريماك بولاية ماساشوسيتس بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد ظلّ الزهر هو المعدن المتاح لإتمام تلك المشروعات حتى أقيم جسر (بالكستون) على نهر تويد على الحدود الأسكتلندية عام ١٨٢٠م، وهو أول جسر استخدم فيه الحديد المشكل؛ حيث يعلّق ظهره عند كلا الجانبين بواسطة ثلاثة أزواج من القضبان المصنوعة من الحديد المطاوع، وصل طول كل منها إلى خمسة وعشرين متراً، وبلغ وزنها الإجمالي تسعة أطنان.

وهكذا مع مرور الوقت بدأت تظهر الجسور ذات الأطوال المتزايدة، التي تتألف من عقود متعددة من الحديد. ففي عام ١٨٣٧م تم إنشاء أول جسر له هيكل ضخم ترتبط وصلاته بالأوتاد، وكان ذلك على يد الأمريكيين وليم هاو، وجيفرسون وبيلي في ولاية كنتاكي. وفي عام ١٨٥٠م افتتح جسر بريطانيا للسكك الحديدية عبر مضايق ميناي بمقاطعة ويلز، وهو النموذج الأول الذي استخدمت فيه العوارض الصندوقية، وتألّف الجسر من أنبوبين ضخمين من الحديد المطاوع تمرّ القطارات خلالهما، ويعود الفضل في ذلك إلى المخترع الشهير روبرت ستيفنسون الذي كان عليه أن يقوم ببرشمة عدد كبير من

ازدهر تشييد الجسور في أرجاء كثيرة من العالم الإسلامي حتى نهاية العصر العباسي، وإن بدت في معظمها متأثرة بالطراز الفارسي





جسر روتردام

الشرائح الحديدية معاً حتى تعطي المتانة اللازمة. وعلى نهج سلفه، ومقتفياً أسلوبه نفسه، أنجز برونل عام ١٨٥٩م جسر (رويال ألبرت) الشهير عند سالتاش على مصب نهر (تامار) في ديفون. وبعد ثماني سنوات اكتمل بناء أول جسر كابولي من الحديد. وكان ذلك فوق نهر الماين بالقرب من هاسفورت في ألمانيا. ويتكون من تتابع ثمانية أذرع كابولية وباعات متواصلة بلغ طولها أربعمئة متر.

وفي عام ١٨٨٤م فاق جوستاف إيفل – المشهور ببرجه الذي يناطح سماء باريس – مقاييس عصره عندما نحا بخياله لتصميم جسر حديدي يتجاوز النصف كيلومتر. ولكن كان عليه أن ينتظر أربع سنوات أخرى ليرى حلمه واقعاً متجسداً في جسر جارابيت الذي يعبر فوق نهر (تروبير) لمسافة ٦٠٧ أمتار بمقاطعة ماسف جنوب فرنسا. وقد بُني الجسر من الحديد المطاوع، وبلغ وزنه ١٢٠٠ طن. ومن المعتقد أن إيفل كان أول من أدخل في حسبانه تأثير الرياح في المنشآت المرتفعة، وهو عامل له أهميته الكبيرة في تصميم هذا الجسر الذي يرتفع ١٥٧ متراً عبر مضيق ضيّق تمر خلاله الرياح بسرعات كبيرة. ويبدو أن إيفل قد تنبّه إلى ذلك بعدما روّعته حادثة انهيار جسر (تاي) للسكك الحديدية من جرّاء ضغوط الرياح عام ١٨٧٩م.

وقد كان النجاح في مشروع جسر جارابيت مدعاةً لأن يذيع صيت إيفل خارج الحدود الفرنسية، فشيّد ثلاثة جسور شبيهة: أولها جسر ماريابيا فوق نهر الدرو في البرتغال، وثانيها جسر فيرنيساز على نهر موسكفا في روسيا، وثالثها جسر باسكونا الذي يعبر نهر مارانيون في بيرو. كما يعود إليه الفضل في إنشاء أول جسر عربي معدني ضخم، وهو جسر أبو العلا الذي يعبر نيل القاهرة ليربط بين حي بولاق حيث تقطن الطبقة الفقيرة الكادحة ومنطقة الزمالك حيث أرقى أحياء العاصمة. وقد بلغ طول الجسر ٢٧٥ متراً، وله ست فتحات ملاحية ثابتة.

عمالقة الحديد

منذ أواخر القرن التاسع عشر تزايدت الحاجة إلى إنشاء جسور ذات باعات متسعة تجسّد التحول إلى المجتمعات الصناعية، وتبرز التغيرات الجوهرية في أساليب الإنتاج. ولكن واجهت المصمّمين صعوبات جمة فيما يختصّ بصلاحية نوعي الحديد الزهر والمطاوع لهذا الغرض؛ بسبب عدم إمكانية التعويل على الأول في مقاومة إجهادات الشد والضغط، وللتكلفة الباهظة التي يحتاج إليها تشكيل الآخر؛ لذلك اتجهت الأنظار نحو معدن اقتصادي التكاليف ولدن في الوقت نفسه؛ حتى يمكن تشكيله بسهولة بالدرفلة إلى الأشكال المنشودة. وقد أسهم أسلوب بسمر لإنتاج الفولاذ المتين في حل هذه المشكلة، فظهرت قطاعات الصلب التي تمتاز بانتظام جودتها، مما يعطي خواصّ يمكن حسابها بكل دقة. وقد تجسدت باكورة هذه الأعمال في جسر إيدز الذي بدأ تشكيله عام ١٨٦٩م، وهو أول معبر

الجسور إلهام للفنانين



فولاذي ضخم يتم إنشاؤه، وكان يتألف من ثلاثة عقود، يزيد طول كل منها على ٥٢ متراً، ثم استكمل إنشاؤه عام ١٨٧٤م ليعبر نهر المسيسيبي عند سانت لويس بولاية ميسوري.

وفي أثناء المدة ذاتها كان جون روبلينج يضع تصميمه لإنجاز جسر بروكلين الذي يربط حي بروكلين بجزيرة مانهاتن بنيويورك. ويظهر الإعجاز التقني هنا في إنجاز الكابلات الأربعة المصنوعة من الصلب التي تحمل الجسر مع الأحمال المارة عليه، التي يبلغ قطر كل منها ١٥,٧٥ بوصة، ويبلغ طولها ١١٧٣ متراً. وقد جرى جدل

هناك نماذج مشهورة مازالت باقية تفاخر بعظمة منشئيها، وعبقرية بنائيها؛ مثل جسر جارد جنوب فرنسا الذي بُني في عصر الإمبراطور فسبسيان (٦٩-٧٩م)

هذه الكابلات في الموقع بالطريقة نفسها التي استخدمت أصولها الأساسية في جميع الجسور المعلقة الكبرى التي جرى إنشاؤها في الولايات المتحدة فيما بعد، والتي تضمنت هياكل تدعيم فولاذية عند سطحها لتوهين تأثير الذبذبات الناشئة عن الرياح أو حركة المرور في الجسر. وقد استخدم في إنشاء الجسر ١٤٦٨٠ طناً من الصلب، وبلغ طول معبره المائي ٤٨٦ متراً.

واستفادةً من الإنجازات الأمريكية المتتالية، عكف الإنجليزيان السير بنيامين بيكر، والسير جون فاولر خلال المدة (١٨٨٣ – ١٨٩٤م) على وضع عدة تصميمات مختلفة للجسور المعدنية. بدأاها بجسر لانت سدون الذي يعبر مئتين وأربعين متراً فوق نهر السند بالقرب من مدينة سوكور بالهند التي كانت خاضعةً آنذاك للحماية الإنجليزية. ووالياها بجسر البرج في قلب لندن الذي يجمع بين نمط البناء الكلاسيكي في دعامتيه ونمط عوارض الصلب المعلقة، وهو الوحيد من بين جسور التايمز الأربعة والثلاثين الذي يمكن فتحه وتحريكه أمام حركة الملاحة. ثم توّجا إنجازاتهما بجسر فورت الذي يعدّ أطول جسر للسكك الحديدية يتم إنشاؤه من الصلب، ويقدّر طول كل من باعيه الأساسيين بـ٥٢١ متراً، وهو من أكثر جسور الباع الكابولي المعلّق جمالاً، لا في أسكتلندا وحدها، بل في كل الأراضي البريطانية عامةً. وقد أنشئ الجسر ببناء الجمالون قطعةً قطعةً في مكان البناء من عناصر صغيرة تماماً، وتم تجميع ما يزيد على خمسين ألف طن من الصلب باستخدام أربعة آلاف عامل، وروعي في التصميم أن يكون قادراً على الصمود في وجه أعتى الرياح.

وقد ظلّ جسر فورت صاحب أطول باع بين دعامتين لجسر على الإطلاق طوال ربع قرن حين اكتمل عام ١٩١٨م بناء جسر كيوبيك على رافد شوديير الذي يصبّ في نهر سانت لورنس بكندا، حيث بلغ طول باعه ٥٤٩ متراً، وهو يتكون من إفريزين كبيرين يحملان عارضته المركزية المشيّدة من الصلب، ويعمل عليه بدوره خطّان حديديان إلى جانب الطرق المعدّة للمشاة. وكان مقدراً إتمام الجسر في العام نفسه الذي افتتح فيه جسر كوين سبور فوق نهر إيست في نيويورك عام ١٩٠٩م، خصوصاً أن الشركة المنفذة للمشروعين كانت واحدة، وهي شركة أعالي البحار. لكن تعرّض الجسر لكارثتين مأساويتين كبيرتين أخّرتا إنجازه تسع سنوات. ففي الكارثة الأولى تحطم النصف الجنوبي من الجسر، وهو ما يقدّر بنحو عشرين ألف طن من الصلب نتيجةً لتحدّب الألواح الرأسية بالعارضة، وترك عدد من التوصيلات مفتوحة وغير مبرشمة في أثناء التركيب. وفي الكارثة الثانية سقط الباع المعلّق الذي يزن خمسة آلاف طن قبل أن تستند حافتاه إلى الذراعين الكابوليتين المعدّتين لذلك. وعلى الرغم من نجاح عملية سحبه وتجهيزه للتركيب إلا أنه سقط مهشّماً للمرة الثانية.

وخلال السنوات التالية شيّد عدد من الجسور الكابولية الفولاذية الضخمة التي استنزفت كثيراً من الوقت؛ لكون معابرها تشرف على المياه العميقة، وأساساتها تجتاز مناطق ذات تربة هشة، منها: جسر ميناء سيدني بأستراليا ١٩٣٢م، وجسر هاوراه بكالكتا في الهند ١٩٤٣م، وجسرا جوبتر بنيوأورليانز ١٩٥٨م، وديلاور في شيستر ١٩٦١م بالولايات المتحدة، ويبلغ طول فتحاتها ٥٠٣ أمتار، و٤٥٧ متراً، و٤٨٠ متراً، و٥٠١ متر على التوالي.

بصمات عربية

في عام ١٩١٧م أحدث المهندس الفرنسي يوجين فريسينيه ثورةً في مجال العمارة عندما توصّل إلى اختراع الخرسانة المسلحة التي تمتاز بمقاومتها المرتفعة للضغط، فضلاً عن قابليتها للتشكّل بالصبّ في قوالب معدّة، فأمكن بذلك تشييد دعامات راسخة متينة وكمرات تتحمل الأثقال والإجهادات بصورة لا مثيل لها؛ مما ساعد على التوصل إلى تنفيذ عدد من تصميمات الجسور المترامية الراسية في كل من أوربا والولايات المتحدة، برز من بينها: جسر بلوجاستل في بريطانيا، وجسر فيهمارن في ألمانيا، وجسر لاكاي في فرنسا، وجسر آرثر كيل في نيوجرسي. وهي، وإن كانت في مجموعها ذات باعات متواضعة؛ إذ لم يتعدّ المدى بين أوسع دعامتين في أيّ منها ستة وأربعين متراً، إلا أنها امتازت بسرعة إنشائها، وقلة الحاجة إلى صيانتها.

وبعد الحرب العالمية الثانية أدّت عملية الإجهاد المسبق للخرسانة التي تعتمد على وضع الخرسانة في حالة من الانضغاط عن طريق شدّ الأسياخ الفولاذية في ثناياها إلى تحسين النواحي التحميلية لها، وهذا الأمر جعلها تنال الثقة في كفاءتها واقتصاديات تشغيلها، حتى شاع استخدامها على نطاق واسع لإنشاء جسور ذات فتحات تصل إلى مئتي متر وربما أكثر من ذلك. وتنتمي أغلب الجسور الخرسانية التي شيّدت طوال السنوات العشرين التالية إلى النوع الكابولي، ومنها: جسر جلاد زفيل الذي بُني في أستراليا عام ١٩٤٦م، ويتكون من باعين أساسيين يصل طولهما إلى ٣٠٥ أمتار، وجسر بيندورف الذي أقيم في كوبلنز في ألمانيا عام ١٩٥٤م، ويبلغ طول باعه الرئيس ٢٠٨ أمتار، وجسر إيسترن شيلدت الذي شيّد في هولندا عام ١٩٦٥م، ويتكون من ٥٥ فتحة، طول كل منها ١٩١ متراً.

هذا، ويمكن زيادة طول الباع الخرسانية السابقة الإجهاد زيادةً كبيرةً باستخدام عملية تدعيمها بكابلات فولاذية تعليقية إضافية ذات متانة شدّ عالية، حتى تتم موازنة أيّ إجهاد ثقل يمكن أن ينشأ نتيجة التحميل المتعاقب على الكمرات؛ مما يعني انتفاء تعرّضها لأيّ خطر كسر نتيجةً لطولها، وخير مثال على ذلك باع جسر وادي حوف الذي أنشئ في ليبيا عام ١٩٧٠م، فقد بلغ مداه ٣٠٠ متر، وهو طول غير مسبوق في مجال الباع الخرسانية.

وفضلاً عن تكيّفها مع جميع الأجواء والأوضاع، وتحمّلها وسائل النقل الثقيل، فإن الجسور الخرسانية لها جوانب تتميّز بالرشاقة الكبيرة، ويحلّق جسر الملك فهد الذي تمّ بناؤه عام ١٩٨٦م متهادياً فوق مياه الخليج العربي؛ ليعكس صورةً مشرفةً للإخاء والتضامن العربي؛ فقد أتاح لملكة البحرين أن تتصل بالمملكة العربية السعودية بطريق مباشر من دون انقطاع؛ مما جعلها تفقد وضعها كجزيرة لتصبح متصلة بشقيقاتها الخليجيات الأخريات. وقد قامت بتنفيذ الجسر شركة (بالاست نيدام) الهولندية، واستمر العمل فيه أربع سنوات، واستخدم في بنائه ٤٧ ألف طن من الحديد، و١٦٠ ألف طن من الأسمنت الحراري، حتى بلغ إجمالي مكعب الخرسانة المسلحة ٣٥٠ ألف متر مكعب.

وغير بعيد يعلو جسر السلام فوق قناة السويس؛ ليربط دلتا النيل بسيناء بارتفاع يصل إلى ٧٠ متراً، وطول يقارب الكيلومتر الواحد، وفتحة ملاحية تتجاوز أربعمئة متر. وقد افتتح الجسر عام ٢٠٠١م، واستوحت فكرته من العمارة القديمة؛ فقد بني جسمه على شكل كمرة رئيسة محمولة على أربعة أبراج ضخمة على شكل مسلاّت فرعونية، فيبدو الجسر من بعد كأنه أحد مراكب الشمس التي تمخر مياه القناة. ومن المعروف أن مراكب الشمس كانت مقدّسة عند قدماء المصريين، وقد عثر على بقايا إحداها بالقرب من أهرام الجيزة عام ١٩٥٤م.

العجائب الطائرة

يذكر ريم كول هاس في كتابه (خطوة واسعة للمستقبل): «إذا كان الأسلاف قد فاخروا بسبعة من روائع منشآتهم، وعدّوها بمنزلة الأعاجيب؛ بسبب ضخامة أحجامها، وتفرّد أشكالها، فماذا سيكون تقويمهم لو أنهم عاشوا ليشاهدوا ما شاده الأحفاد من منجزات معمارية سوف تحاكي الزمان، ممثلةً في تلك السدود الراسخة، وناطحات السحاب السامقة، والجسور المترامية؟!. لا شك أنهم كانوا سيقفون مبهورين بضخامتها وجمالها، وسينحنون أمامها إجلالاً لمسحتها النفعية». ويضيف: «إن الجسور التي يتعدى بحرها ألف متر هي إعجاز يفوق طاقة البشر، ومن ثَمّ فهي درر تزيّن تاج العمارة الحديثة».

ويمكننا أن نلتمس التعليل لذلك إذا وضعنا في الحسبان ما



تستنزفه هذه المنشآت من الوقت والجهد والمقدّرات المالية الباهظة. فضلاً عما تحتاج إليه من تكنولوجيا متقدمة تجعلها صامدةً أمام جميع الأخطار. وهذا الأمر جعل برايان ويليامز يطلق على ما أنجز منها اسم (عجائب الهندسة الطائرة). ففي البدء شيّد جسر البوابة الذهبية في سان فرانسيسكو عام ١٩٣٧م ببحر طوله ١٢٨٠ متراً. ثم تبعه جسر فيرازانو في نيويورك عام ١٩٦٤م. ويبلغ طول بحره ١٢٩٨ متراً. وبعد تسع سنوات شيّد جسر البيسفور في مدينة إسطنبول بتركيا ليربط قارتي آسيا وأوربا ببحر طوله ١٠٧٣ متراً. وفي عام ١٩٨١م امتدّ جسر فيكتوريا على نهر همبر في شمال إنجلترا ببحر طوله ١٤١٠ أمتار. ثم أعقبه بعد سبع سنوات جسر أكاشي كايكيو الذي يربط جزيرة هونشو. التي تعدّ جزيرة اليابان الرئيسة، بجزيرة شيكوكو المجاورة بطول يصل إلى ١٩٩١ متراً. ولم تكن الصين لتتخلّف عن هذا المضمار، فشيّدت عام ١٩٩٢م جسر جيانين الذي يبلغ طول معبره ١٣٨٥ متراً، ثم أتبعته بعد خمس سنوات بجسر تسنج ماو الذي يصل مداه إلى ١٣٧٧ متراً. وفي عام ١٩٩٩م افتتح في الدنمارك جسر جريت بيلت الذي يبلغ طول معبره ١٦٢٤ متراً.

والحقيقة أن هناك عدداً من الجسور الأخرى التي تسترعي الانتباه، لا باتساع المدى بين دعائمها، ولكن بارتفاعاتها الشاهقة، أو بأطوالها التي تبلغ أرقاماً قياسية: ففي ولاية كولورادو يشمخ أعلى جسر في العالم، وهو جسر الملك جورج الذي يرتفع إلى ٣٢١ متراً فوق نهر آركناس. كما يمتد في ولاية لويزيانا أطول جسر في العالم، وهو جسر بونشارترين الذي يترامى فوق البحيرة التي يحمل اسمها لمسافة ٣٨ كيلومتراً. وقد حاولت الصين أن تقارب هذا الطول عندما أنشأت جسر هانج زيهاو بين شنغهاي ونينجبو، لكن العمل أنجز ولم يتجاوز طول الجسر ٣٥ كيلومتراً. وبفارق عشرة كيلومترات يقفز الفهد العربي الذي يربط بين البحرين والسعودية ليحتل المرتبة الثالثة بطوله الذي يصل إلى ٢٥ كيلومتراً. وليس وحده، بل ثمة عدد من الجسور الأخرى التي تمتدّ مثله لتربط بين دولتين متجاورتين، مثلما هو الحال في جسر برانا بين البرازيل وباراجواي، وجسر أورساوند بين الدنمارك والسويد. وإن كانت لا تبلغ مبلغه من حيث المكانة أو الطول، فبينما لا يتجاوز طول الأول خمسة كيلومترات يبلغ طول الآخر ثمانية كيلومترات.

المراجع

1- Ancient and Medieval science –Taton Rene – The Capital press London 1963.

2- Medieval Technology and Social change – jrhard Lynn white – oxford university press- London 1962.

3- The suspen sion bridges in USA – Gilbert Degler- university of california press los Angles 1997.

4- The histony of the bridges – Vernon smith – Random House – New york.2002

5- The history , designe and structure of the bridges – Benjamin morris New york Academy of sciences – New york 2000.

6- Modern Building Technology – Steele Allan and Bamford Link – Chicago 1988.

7- london bridges – Theodore Bradley Macmillan press - London 1996.

8- Man and water – Norman Smith – peter Davies - London 1975.

9- Technology of Barrages and Bridges – Degler Stanley – Norton House press New yourk 2001.

10- History Building in a century –Henry Brndon – Mccraw Hill Book company – Chicago 1983.

11- Great leap forward – Rim koull has – Random House – New yourk 2001.

12- Architecture Building construction – Tawfik AbdelGawad – cairo university press – cairo 1996.

١٣- موسوعة التكنولوجيا، محمد فؤاد إبراهيم. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

١٤- تاريخ الهندسة والتكنولوجيا، محسن مشهور وآخرون. المكتب المصري الحديث، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٥- تطوّر الهندسة والتكنولوجيا من العصر الحجري إلى عصر المعلومات، ماهر جابر محمد، منشورات الجامعة، القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٦- تاريخ التصميمات المعمارية، حسين عبدالله خلاف، مكتبة المعارف العلمية، القاهرة، ١٩٨٧م.

١٧- العلوم والهندسة في الحضارة الإسلامية، دونالد هيل، ترجمة: أحمد فؤاد باشا، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ٢٠٠٤م.



الثقافة العلمية

في المجتمع السعودي

معين يحيى بن جنيد

الرياض - السعودية



لا اختلاف على أهمية العلوم الحديثة لرقي الأمة



لا يكاد أحد يختلف على أهمية العلوم الحديثة ومكانتها ودورها في الرقيّ بالأمم فكرياً وحضارياً واقتصادياً؛ فالعلوم الحديثة تكاد ترتبط بجميع مناحي حياتنا ارتباطاً وثيقاً. وعلى الرغم من ذلك الارتباط فإن المهتمين بأمر العلوم يقرّون بوجود فجوة كبيرة بين أفراد المجتمع والعلوم الحديثة بوصفها وسيلة رئيسة للرقيّ بالمجتمع في مجالات الفكر والتقنية والنمو الاقتصادي؛ لذلك فإن نشر الثقافة العلمية يعدّ مطلباً ملحاً، وواجباً وطنياً لا بد أن يقوم به المختصّون من أفراد ومؤسسات وجهات حكومية؛ فالثقافة العلمية هي حلقة الوصل بين العلوم الحديثة - شاملةً جميع مناشطها وتطبيقاتها وأبعادها الفكرية - والمجتمع. ولكي نفهم أهمية الثقافة العلمية ودورها في مسيرة التطوير والتنمية لا بد لنا أن نحدّد كيفية ارتباط العلوم الحديثة بحياتنا من مختلف الأوجه، ثم نعرج على وضع الثقافة العلمية في مجتمعنا لنعرض مصاعب انتشارها، بعد ذلك نحدّد دور الثقافة العلمية وأهمية انتشارها في المجتمع السعودي بوصفها من ركائز التنمية والتقدم الحضاري. وأخيراً، نناقش طرائق نشر الثقافة العلمية لتمكين الفكر العلمي من أداء دور أساسي في ثقافة المجتمع الساعي إلى التطور اقتصادياً وفكرياً.

الاطلاع على المنجزات العلمية، والوعي بطرائق تأثير العلوم في المجتمع فكرياً وحضارياً، وتعزيز استخدام المنهج العلمي، لا تتطلب أيّ معرفة بالرياضيات المتقدمة



أولاً: ارتباط العلوم الحديثة بالحياة ودورها في الرقيّ بالمجتمعات

لقد أدى المنهج العلمي، الذي ظهر في القرن السادس عشر الميلادي، والتطورات العلمية الناتجة منه، دوراً رئيساً في تغيير نمط حياة الإنسان في الأرض، ليس الجانب الفكري فحسب، بل جميع مجالات الحياة؛ كطرائق التواصل والتنقل والتكيف مع الطبيعة. وما زال الأمر كذلك في ظل التطورات العلمية والتقنية المطردة، فيكفي أن ينظر المرء إلى ما حوله وما بين يديه من وسائل صناعية وتقنية تيسّر له حياته - بفضل الله - بشكل لم يُتح ليس لأسلافنا من العصور الخالية فحسب، بل لأجيال سبقتنا قريباً.

لقد أتاحت العلوم الحديثة للعلماء الاستفادة من سنن الله في الطبيعة لإنتاج هذا الكم الهائل من المنتجات الصناعية والتقنية في المجالات المختلفة. ومن ثَمّ فإن الدول التي أولت العلوم التطبيقية اهتمامها نالت حظاً كبيراً من التطور والنمو على الصعيد الاقتصادي والعسكري والفكري كما لم تنله تلك الدول

أوضاع الثقافة العلمية في السعودية هي أوضاع لا تساعد على انتشار التفكير العلمي، والوعي بأهمية العلوم الحديثة

التي اكتفت باستهلاك تلك المنتجات. إلا أنه لا بد من الإقرار بأن التطور المطرد للتطبيقات العلمية التي أمكن ترجمتها إلى منتجات لم يحدث بين عشية وضحاها، وإنما تمّ ذلك بعد أن أخذ أسلوب التفكير العلمي مكانته في المجتمعات المتقدمة. فبعد أن تمّ تمكين ذلك الأسلوب من قيادة زمام التطوير توالت المنجزات والتطبيقات العلمية والصناعية والتقنية.

أما فيما يتعلق بالفكر، فقد أدى بزوغ المنهج العلمي إلى تغيير طريقة تفكير أهل الثقافة والعلم والفلسفة، فمن منهج يقوم على

الحدس والتأمل فيما وراء الطبيعة، وسيادة للأدب والفن، إلى منهج قائم على الاستقراء والتجربة والملاحظة[1]. وعليه، فإن سيادة العلوم الطبيعية والمنهج العلمي قد أحدثت تغيّرات جذرية في تلك المجتمعات، وهو أمر لا بد أن يتحقق في أيّ مجتمع يرجو التطور[2].

ولا يخفى على المطّلع أن تطور المنهج العلمي هذا ارتبط بشكل مباشر بمنهج العلماء من المسلمين والعرب؛ إذ نجد في تراثهم ما يؤكد ابتكار المسلمين المنهج التجريبي القائم على التجربة والملاحظة والاستقراء واستخدامه، إضافةً إلى تطويرهم المنهج

لا بد من الإقرار بأن التطور المطرد للتطبيقات العلمية تمّ بعد أن أخذ أسلوب التفكير العلمي مكانته في المجتمعات المتقدمة



ضعف مناهج التعليم يصعب من انتشار الثقافة العلمية

التحليلي الرياضي؛ نسبةً إلى الرياضيات. ثم انتقلت تلك الطرائق العلمية الحديثة - آنذاك - إلى أوربا حيث تم استكمالها وتطويرها؛ مما أدى إلى نشوء ما يسمى بعصر التنوير في أوربا، الذي ينسب إليه فضل التقدم العلمي والفكري والصناعي في العالم الغربي.

إذاً، المجتمعات المتقدمة علمياً وتقنياً هي مجتمعات تتّسم بأنها مجتمعات يهيمن التفكير العلمي على كثير من أنماط حياتها، وتحديداً فيما يخصّ التنمية والتطوير الحضاري. لذلك، كان لزاماً على أيّ مجتمع نام؛ كالمجتمع السعودي، يتطلع إلى مواكبة تلك الدول في مجالات الاقتصاد والتنمية؛ أن يتبنّى المنهج العلمي، وأن يفسح المجال للعلوم الحديثة لكي تترك أثرها في أسلوب تفكير المجتمع بمختلف شرائحه، وتلك التي تصنع القرار. ولا يتمّ ذلك في المجتمعات النامية إلا من خلال نشر الثقافة العلمية التي ستسهم بالتأكيد في تحقيق ذلك الهدف.

ثانياً: وضع الثقافة العلمية في المجتمع السعودي ومصاعب انتشارها

ما من شك في أن أوضاع الثقافة العلمية في السعودية هي أوضاع لا تساعد على انتشار التفكير العلمي، والوعي بأهمية العلوم الحديثة كأداة للنمو الحضاري[3]؛ إذ يشير بعض الباحثين إلى عدد من معوقات انتشار الثقافة العلمية، منها: سيادة الاعتقاد بصعوبة العلوم الطبيعية بين طبقات المجتمع، أو الاعتقاد بعدم ارتباطها المباشر بالحياة والواقع وكأنها رموز ومعادلات جامدة مدوّنة في بطون الكتب. وقد يُعزى وجود تلك التصورات إلى ضعف مناهج التعليم، وقلة الجهد الذي يبذله المشتغلون بالعلوم لتصحيح تلك التصورات الخاطئة؛ فالواقع أن العلوم - وإن كان التعامل معها يحتاج إلى معرفة وتمكّن في الرياضيات - فإن الاطلاع على المنجزات العلمية، والوعي بطرائق تأثير العلوم في المجتمع فكرياً وحضارياً، وتعزيز استخدام المنهج العلمي، لا تتطلب أيّ معرفة بالرياضيات المتقدمة.

إن الوعي العلمي وسدّ الفجوة بين الطبقة المتعلمة والعلوم لا يتطلبان إتقاناً للرياضيات؛ بدليل أن علماء الغرب عندما يؤلّفون كتباً لعامة الناس يتجنّبون الإشارة أو الاستشهاد بأيّ معادلات رياضية. وعلى الرغم من أهمية الرياضيات فإن تركها في تلك المؤلفات لا يؤدي بالضرورة إلى تكوين تصورات

خاطئة لدى القارئ العام عن العلوم الحديثة.

هناك أمر آخر ما زال يؤدي إلى صعوبة انتشار الثقافة العلمية بين طبقات المجتمع، وهو سيادة الثقافة الأدبية وصناعة الكلام بين صفوة المتعلمين والمثقفين، وهو أمر تراكم على مدى حقب من التاريخ[٤]. إلا أن المشكل الحقيقي قد لا يكون في انتشار ثقافة الأدب ذاتها، وإنما في سيادتها مدةً طويلةً في وسائل النشر. ولكي تتّضح الصورة، فإن المطّلع على كتابات علماء الغرب الذين يسهمون في تطوير العلوم، يجد أن فرقاً كبيراً بين كتاباتهم الأكاديمية (المجلات العلمية) وكتاباتهم للعامة. فبينما تتّسم كتاباتهم الأكاديمية بالحيادية، والبعد عن الألفاظ الكلامية العامية، تتّسم مقالاتهم الموجّهة إلى القارئ العام بسهولة الأسلوب، والخروج التام عن أي نمط أدبي أو أكاديمي في الكتابة.

في المقابل، يسود في المجتمع العربي، ومنه المجتمع السعودي، اتباع الأسلوب الأدبي بين طبقات المثقفين، ولا يكاد يوجد أيّ نمط آخر في الكتابة. بل إن الكتّاب الذين لا يتّبعون ذلك الأسلوب قد تُكال لهم تهم الضعف اللغوي والبياني. وعلى الرغم من وجود أساليب كتابية أخرى في الصحافة، أخذت تنتشر بعد تحوّل صناعة الصحافة من مجهودات فردية لأدباء إلى عمل مؤسساتي متكامل، فإنه لا يوجد أسلوب كتابي واضح تنتهجه مدرسة تيسير العلوم.

يدفعنا ذلك إلى مناقشة صعوبة ثالثة، وهي قلة إسهام العلماء العرب في تطوير العلوم، وهم إن وجدوا فإنهم قلّما يسهمون في نشر الثقافة العلمية، وربط المجتمع بالتطور العلمي الحديث، فضلاً عن وجود مشكل يتمثّل في عدم اتفاق المترجمين على ترجمات محدّدة للمصطلحات العلمية.

في المقابل، تجد أعداداً كبيرة من علماء الغرب يحرصون - سواء أكان دافعهم نشر العلوم أم الحصول على المال - على تيسير ما يقومون به من إسهامات علمية للعامة بنشرهم الكتب أو مشاركتهم في برامج إعلامية، جنباً إلى جنب مع انخراطهم في تطوير العلوم ذاتها. كما أن مشكل المصطلحات غير موجود؛ لأن العلوم تُكتب على الأغلب باللغة الإنجليزية.

أخيراً، فإن أحد أسباب ضعف انتشار الثقافة العلمية في المجتمع هو عدم اكتراث وسائل الإعلام، المرئية والمطبوعة على حدّ سواء، بالإسهام في نشر ذلك النوع من الثقافة[٥]. بل إن إحدى الصحف الواسعة الانتشار عربياً ألغت قسم «العلوم والتكنولوجيا» من طبعتها المقدمة إلى السعودية. وفي هذا دليل على أن الصحف الساعية إلى الكسب المادي هي أبعد ما تكون عن الاهتمام بنشر الثقافة العلمية في المجتمع السعودي.

ثالثاً: أهمية انتشار الثقافة العلمية في المجتمع السعودي بوصفه وسيلة مهمة في التنمية الوطنية

انتشار الثقافة العلمية في المجتمع السعودي مطلب بالغ الأهمية في مشروع التنمية الوطنية؛ فبانتشار الثقافة العلمية في المجتمع يتغيّر نمط تفكير كثير من المعلمين والدارسين والمثقفين من النمط العاطفي أو الكلامي والاستهلاكي إلى النمط العلمي الإبداعي القائم على التفكير الناقد، والتحقيق، والاستنباط، والتجربة، والموضوعية. ومن العوامل التي قد تساعد على انتشار هذا النوع من التفكير هو وجوده في الأصل في الثقافة الإسلامية المدوّنة منذ عصر صدر الإسلام، بل إن بعض باحثي الغرب يشيرون إلى أن المنهج العلمي التجريبي انتقل إلى العالم الغربي عن طريق العالمين الإسلامي والعربي[٦].

إضافة إلى ذلك، فهناك فائدة مهمة لانتشار الثقافة العلمية في المجتمع، وهي جذب النشء للانخراط في العلوم الحديثة، وهذا - بكل تأكيد - مطلب من مطالب التنمية الاقتصادية؛ إذ إن التنمية الاقتصادية لا يمكن أن تتحقق إلا بالتقدم العلمي والمشاركة الفاعلة في تطوير العلوم والتقنية[٧]. على أن انجذاب النشء للعلوم الحديثة لا يكون إلا بوعي من الأهل والمجتمع بأهمية العلوم نفسها في تحقيق التنمية، ودورها الرئيس في تطوير الصناعة وغيرها من المجالات كالطب؛ فالسائد في المجتمع السعودي هو تبجيل بعض التخصّصات والمجالات العلمية على حساب مجالات أخرى. وتمثيلاً لذلك: يعرف كثير من المثقفين الطب بوصفه علماً خدمياً في غاية

توجد سبل كثيرة لنشر الثقافة العلمية، إلا أنها جميعاً تتطلب العمل الجماعي والتنظيم المؤسساتي القائم على خطط وأهداف واضحة وبعيدة المدى

انتشار الثقافة العلمية هو أداة محو الأمية العلمية

الأهمية، ولكن قد لا يعلم كثير من المتعلمين - بسبب ضعف الثقافة العلمية لديهم - أن الذين يقومون بتطوير تقنيات الطب هم علماء يعملون في حقول أخرى كالفيزياء والهندسة، وليسوا اختصاصيين في الجراحة أو التشخيص. إن تصحيح هذه النظرة لا يكون إلا من خلال انتشار الثقافة العلمية في المجتمع.

هناك جانب آخر، وهو الجانب الفكري الثقافي، الذي يبدو أنه بحاجة إلى الانفكاك من قيد الأدب؛ ليتّسع لشمول العلوم الحديثة. فالمطّلع على الأوضاع الثقافية في المجتمع يجد أثر الأمية العلمية - كما يسميها الشيباني في كتابه (الفيزياء للأدباء) - ظاهراً ومتمثلاً في تخبّط أهل الثقافة وعجزهم عن مشاركة الأمم المتقدمة في جوانب الفكر والثقافة والفلسفة. وبدلاً من اكتسابهم فهماً سليماً للحداثة الفكرية التي وقعت في المجتمعات المتقدمة راحوا يختصمون في جدواها وتعريفها وشرعيتها كما يشير القفاري(٨). ونزعم أن أحد أسباب ذلك هو الأمية العلمية التي أشرنا إليها، والتي تُعزى إلى عدم انتشار العلم بوصفه ثقافةً ومنهجاً فكرياً في المجتمع، الذي نتج بدوره من المصاعب التي أشرنا إلى بعضها.

إن انتشار الثقافة العلمية في المجتمع هو الأداة السليمة لمحو

التأليف في العلوم والثقافة ضرورة لنشر الثقافة العلمية

تلك الأمية العلمية في المجتمع؛ لذلك فإن المجتمع الذي يطمح إلى التقدم الحضاري والتقني والنمو الاقتصادي ينبغي أن يكون مجتمعاً مثقفاً علمياً؛ بمعنى: أنه يعي ويؤمن بأهمية العلوم الحديثة والمنهج العلمي الفكري في تحقيق ذلك التطور، وهذا يؤكد مدى ضرورة انتشار الثقافة العلمية في المجتمع السعودي.

رابعاً: طرائق نشر الثقافة العلمية في المجتمع، وتمكين الفكر العلمي من أداء دور أساسي في ثقافة المجتمع

إن إحدى الوسائل المهمة لنشر الثقافة العلمية في المجتمع السعودي هي وضع خطة إستراتيجية واضحة الأهداف من قبل المؤسسات المعنية بشأن الثقافة العلمية. ونعني بذلك أن يتم عدّ مسؤولية انتشار الثقافة العلمية هماً جماعياً مدعوماً من الدولة، ومنفّذاً من إحدى المؤسسات العلمية.

من جانب آخر، لا بد من العناية بدعم التأليف في العلوم والثقافة العلمية، ويشتمل جانب التأليف على قسمين: التعريب، والتبسيط «تيسير العلوم». ويلزم ذلك أن يراعي تقديم مؤلفات لمختلف شرائح المجتمع العمرية والتعليمية. وعليه، فإن المطلوب من دور النشر الواعية بأهمية الثقافة العلمية أن تستكتب من هم مؤهّلون لكتابة مؤلفات وموسوعات علمية ميسّرة بالتأليف والترجمة على حدّ سواء.

في المقابل، فإنه لا بد أن يعي المشتغلون بالعلوم والتقنية أهمية أداء دور في مسيرة التأليف والترجمة تلك، خصوصاً أن العلماء والباحثين عنصر أساسي لإنجاز تلك المهمة.

إن دور المؤسسات العلمية أو المهتمة بنشر الثقافة العلمية ينبغي ألاّ يقتصر على القيام بالدراسات، بل ينبغي أن تتحمّل تلك المراكز مسؤولية عقد اللقاءات التثقيفية العلمية، سواء بإقامة ندوات أو مؤتمرات أو مخيمات صيفية أو أسابيع علمية أو معارض ومتاحف علمية. ولا بد من التشديد على أهمية تنوّع طرائق تقديم الثقافة العلمية مع مراعاة الفارق العمري والتعليمي بين فئات المجتمع.

ونشير أيضاً إلى الدور الذي تؤدّيه وسائل الإعلام - المرئية والمسموعة والمطبوعة - في نشر الثقافة العلمية في المجتمع. فمن جانب الإعلام المرئي (تلفاز أو فيديو أو حاسوب) توجد برامج متنوعة تمّ عرضها في السابق، وهي تأخذ صيغة الأفلام الوثائقية أو برامج علمية يقدّمها أحد المختصين بحقل من حقول العلوم، خصوصاً في المجال الطبي والصحي. والمطلوب - تمشّياً مع التطور الإعلامي المُشاهَد في إعلامنا المرئي الحديث - أن يكون نشر الثقافة العلمية هو أحد أهداف تلك الوسائل، وتحديداً القنوات الفضائية، فتخصّص برامج دائمة يُستقطب لتقديمها من هم على قدرة وكفاءة، مع أهمية التنوع والشمول، وتحسين شروط عرض تلك المواد؛ حتى يمكن للمشاهدين التفاعل معها. إضافةً إلى ذلك، فإنه ينبغي أن تتغيّر ثقافة الإعلام ذاتها بأن تعطي مساحةً دائمةً للعلوم والتقنية؛ لتبيان ارتباطهما بحياتنا فكرياً ومادياً، جنباً إلى جنب مع الاهتمام بالإعلان عن المستجدات العلمية وما يصاحبها من أنشطة.

وفيما يتعلّق بالإعلام المطبوع، وهو الأكثر انتشاراً، فينبغي أن تكون سياسة نشر الثقافة العلمية من ضمن أولويات تلك الوسائل، فلاتكاد صحيفة في العالم الغربي تخلو من قسم يختصّ بالعلوم والتقنية، لا يُعنى بسرد أخبار علمية فحسب، بل بنشر مقالات أو تحقيقات هدفها هو تيسير فهم التطبيقات العلمية الحديثة، أو النظريات الذائعة الصيت، أو التقنيات المبتكرة للقارئ العام، وهذا هو المرجو من صحافتنا التي تعاني ضعفاً كبيراً في مجال الصحافة العلمية على الرغم من أنها تصدر صفحات طبية، وصفحات تغذية،

وتقنية معلومات، إلا أنها لم تحقق شروط الصحافة العلمية بعدُ. غير أن ذلك غير كافٍ، وليس على المستوى المرجو الذي ينبغي أن يتّخذ إذا ما أريد للثقافة العلمية أن تنتشر في المجتمع بشكل سليم[٩].

إضافةً إلى الصحف، فإن المجلات العلمية تؤدي دوراً مهماً كذلك في نشر الثقافة العلمية، وهي وإن كانت موجودة: كمجلة الفيصل العلمية، ومجلة العلوم والتغذية، وغيرهما، فهي قليلة العدد، ومحدودة الانتشار؛ لأسباب قد تكون مادية، أو قد تكون ناتجة من عزوف كثير من طبقات المجتمع عن قراءة مثل تلك المجلات؛ لاعتقادهم أنها غير موجّهة إلى العامة، أو أنها صعبة الفهم. وقد يكون سبب ضعف انتشارها أنها قائمة على جهود فردية أو غير مدروسة بشكل دقيق؛ مما يدعو إلى إعادة التنبيه على أهمية العمل المؤسساتي الجماعي المدروس والمدعوم مادياً بالشكل المطلوب.

مما سبق يتّضح أنه توجد سبل كثيرة لنشر الثقافة العلمية، إلا أنها جميعاً تتطلب العمل الجماعي والتنظيم المؤسساتي القائم على خطط وأهداف واضحة وبعيدة المدى.

على أية حال، تظلّ دراسة وضع الثقافة العلمية مجالاً جديداً ومهماً للباحثين حتى يمكن تقديم تصوّر واضح ودقيق تبنى من خلاله الدراسات، وتوضع بناءً عليه الخطط والأهداف والإستراتيجيات.

المراجع والهوامش

١- القفاري، عبدالله، صحيفة الرياض، العدد ١٣٩٢٦.
٢- شوقي، أحمد، العلم وثقافة المستقبل، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٣٩٣هـ، ص ٢٩.
٣- الشيباني، خضر، الفيزياء للأدباء، ط٢، جدة: الدار السعودية للنشر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م المبارك، راشد، هذا الكون ماذا تعرف عنه؟، دمشق: دار القلم، ١٤١٧هـ.
٤- السابقان.
٥- صحيفة الرياض، العدد ١٤٠٣٩.
٦- القفاري، عبدالله، صحيفة الرياض، العدد ١٣٩١٦.
٧- شوقي، أحمد، العلم وثقافة المستقبل.
٨- صحيفة الرياض، العدد ١٣٩١٦.
٩- لمزيد من التفصيل في قضية الإعلام العلمي انظر: مقال عبدالله القفاري في صحيفة الرياض، العدد ١٤٤٩٧، ومقال (الصحافة العلمية الحاضر الغائب)، صحيفة الرياض، بتاريخ ٢٤/١١/٢٠٠٨م.

تاريخ الأدب العربي ٢

الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة

د. غازي طليمات
أ. عرفان الأشقر



طليمات، غازي، وعرفان الأشقر/ الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة: قضاياه - أغراضه.. دمشق: دار الفكر، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ٦٥٤ص (سلسلة تاريخ الأدب العربي: ٢).

هذا هو الجزء الثاني في هذه السلسلة، وحرص فيه المؤلفان على الإحصاء، والاستقصاء، والإلحاح على الشرح، ووضع النصوص في إطارها التاريخي والفكري، ومناقشة آراء الدارسين السابقين من عرب ومستشرقين ومن تعمق في دراسة هذه المدة؛ إلى زعم مؤلّفي الكتاب أنها عصر خطير، وليست حقبة انتقالية تصل العصر الأموي بالعصر الجاهلي كما ذهب كثير من مؤرخي الأدب العربي.

ويقع الكتاب في سبعة أبواب، يدرس الباب الأول الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية في المجتمع العربي قبيل بزوغ الإسلام، ويفصل في ثانيها القول في حروب الردة والفتوح، وما رافق الفتوح وتلاها من تنظيم الدولة الناشئة، ويتحدث في الباب الثالث عن موقف الإسلام من الشعر، فيفند مزاعم من زعموا أن الإسلام أضعف الشعر، ويتناول الرابع الخضرمة في اللغة والنقد، ومناقشة آراء القدماء والمحدثين في هذه الظاهرة الأدبية. وفي الخامس وقفة متأنية عند تحقيق الشعر الإسلامي للنظر فيما لابسه من نحل ووضع، ورصد في السادس الحركة النقدية التي رافقت تطور الشعر العربي من الجاهلية إلى الإسلام. ويعدّ الباب السابع من أهم أبواب الكتاب وأوسعها؛ إذ درس المؤلفان فيه أغراض الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة دراسة مفصلة، قسما فيها أغراض الشعر قسمين: أولهما الأغراض الجديدة؛ أي: الدعوة إلى الدين الجديد، ومصارعة الشرك والرِّدة، والفتوح، والشعر السياسي. وثانيهما الأغراض التقليدية؛ أي: المديح، والهجاء، والحكمة، والرثاء، والوصف، والغزل. وفي هذا الباب التزم المؤلفان ما التزماه في الأدب الجاهلي من تفصيل وتحليل، وتوفُّر على دَرْس الشواهد وتفسيرها. وقدم المؤلفان في آخر الكتاب مستخلصًا باللغتين العربية والإنجليزية.

خادم الحرمين يرعى انطلاق مهرجان «الجنادرية ٢٤»

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز مساء الأربعاء ٧ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ الموافق ٤-٣-٢٠٠٩م حفل انطلاق مهرجان الجنادرية هذا العام، وشهد - حفظه الله - الحفل الخطابي والفني، فقد تم تقديم أوبريت (وطن الشموس)، الذي كتب كلماته صاحب السمو الملكي الأمير بدر بن عبد المحسن بن عبدالعزيز، ولحنه د. عبد الرب إدريس، وأداه الفنانون محمد عبده، وعبدالمجيد عبدالله، وعباس إبراهيم، وراشد الماجد، وعبد الرحمن الشومر، مع مشاركة درامية من د. راشد الشمراني، وحسن عسيري، وشارك في العرض كتيبة من سلاح الفرسان في الحرس الوطني، تتكون من عشرين فارساً، قاموا بأداء الحركات البصرية المصاحبة للأوبريت، فيما تمّ تصوير مشاهد خارجية بواسطة طائرات لتصوير مشاهد انطلاقة النار من الصحراء وبثّها حيةً.

وأكد صاحب السمو الملكي الفريق أول ركن متعب بن عبدالله بن عبدالعزيز - نائب رئيس الحرس الوطني المساعد للشؤون العسكرية، ونائب رئيس اللجنة العليا للمهرجان - أن مسيرة المهرجان الوطني تمضي بتوفيق من الله أولاً، ثم بالرعاية والدعم اللذين يحظى بهما المهرجان من لدن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز - حفظه الله - وصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز - ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام - حفظه الله. وقال سموه: إن هذه الرعاية السنوية للمهرجان من قيادتنا - أيّدها الله - هي وسام شرف للحرس الوطني وللمهرجان، ولكل اللجان العاملة، وهي أيضاً دعم لمسيرة الثقافة والإبداع في المملكة والعالم العربي. وتشارك دولة روسيا الاتحادية ضيف شرف في جنادرية ٢٤؛ امتداداً للتقليد، وتفاعلاً مع القضايا الملحة التي تهمّ الأمتين العربية والإسلامية، بل الإنسانية جمعاء. ويطرح المهرجان على منبره هذا العام قضية الحوار العالمي، كما تطرح القضية الفلسطينية من وجهة نظر عربية، ومن وجهة نظر غربية.



المؤتمر الدولي للتعلم الإلكتروني

رعى خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - «المؤتمر الدولي الأول للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بُعد»، الذي نظمته وزارة التعليم العالي ممثلةً في المركز الوطني للتعلم الإلكتروني والتعليم عن بُعد خلال المدة من ١٩ إلى ٢١ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ في مدينة الرياض. وقد أشاد الدكتور خالد بن محمد العنقري - وزير التعليم العالي - بالدعم غير المحدود من مقام خادم الحرمين الشريفين لرقيّ أداء التعليم العالي، وبناء مستقبله لخدمة الوطن والمواطن.

ويهدف المؤتمر إلى: الإسهام في توطين التعلم الإلكتروني والتعليم عن بُعد في مؤسسات التعليم العالي من خلال الاطلاع والتعمق في التجارب السابقة للآخرين، وتبادل الخبرات مع المختصين والمهتمين، وتشجيع الشراكة والتعاون بين القطاعين العام والخاص في مجالات تطوير التعلم والتدريب الإلكترونيين والتعليم عن بُعد.

مركز الملك فيصل في ثلاثة معارض للكتب

شارك مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مؤخراً في ثلاثة معارض للكتب: معرض القاهرة الدولي للكتاب، الذي عُقد في المدة من ٢٤ من المحرم إلى ١٠ صفر سنة ١٤٣٠هـ (٢١ يناير/ كانون الثاني - ٥ فبراير/ شباط عام ٢٠٠٩م)، ومعرض الرياض الدولي للكتاب، الذي عُقد في المدة من ٦ إلى ١٦ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ (٣-١٣ مارس عام ٢٠٠٩م)، والمعرض المصاحب للمهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية)، الذي أقيم في المدة من ٧ إلى ٢١ ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ (٤-١٨مارس/ آذار عام ٢٠٠٩م). واشتملت أجنحة المركز في هذه المعارض على عدد كبير من إصداراته المتخصّصة في التاريخ والثقافة والتراث، ووجدت إقبالاً واضحاً من القرّاء، وصرّح بذلك الأستاذ عمر حكمي مدير إدارة النشر والتسويق في المركز، الذي أوضح أن مشاركة المركز في هذه الفعاليات تأتي في إطار حرص القائمين على المركز على استثمار المناسبات الثقافية في التعريف بجهود المركز في خدمة الحضارتين العربية والإسلامية، والموروث الحضاري الإنساني بشكل عام، وأضاف أن معارض الكتب تعدّ تظاهرات ثقافية، تمثّل وجهة للمثقفين الباحثين عن الثقافة الجادة، وهي مناسبات طيّبة تحظى بمشاركة دور النشر الكبرى، وتعين على فتح آفاق أفضل للتعاون بين المهتمين بالنشر وقضاياه.



الأستاذ عمر حكمي يطلع السفير السعودي على أحدث إصدارات المركز

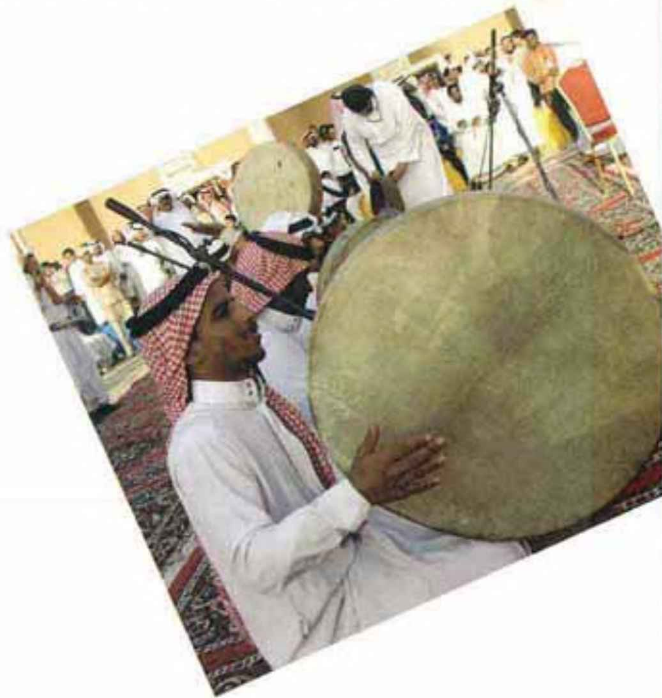
إطلاق جائزتين عن القدس

قرّرت الحملة الأهلية لاحتفالية القدس عاصمةً للثقافة العربية لعام ٢٠٠٩م تبنّي جائزة عن القدس في مساري البحث العلمي والأداب. وقد خصّصت جائزة البحث العلمي للبحوث العلمية المتعلقة بمدينة القدس، وتغطي مجالات العلوم الإنسانية، والاجتماعية، والدينية، والآثار، والمعمار، والاقتصاد. أما فيما يختصّ بالآداب، فقد دعا المنظمون إلى المشاركة بالأعمال الأدبية في مجالات الشعر (الدواوين)، والرواية، والدراسات النقدية، التي تعالج القضية الفلسطينية، خصوصاً الجوانب المتعلقة بمدينة القدس.

وتبلغ قيمة الجائزة عشرة آلاف دولار أمريكي للعمل الفائز بالمرتبة الأولى في كل مسار، وثلاثة آلاف دولار للمرتبة الثانية، وألفي دولار للمرتبة الثالثة، وقد حُدّد تاريخ ٢٠٠٩/٨/١٥م موعداً نهائياً لتقديم الأعمال المرشحة.

يُشار إلى أن الجائزة شجّعت الراغبين في الاشتراك على التقدم بالأعمال غير المنشورة، ولكنها قبلت الأعمال التي سبق نشرها بشرط ألاّ يكون قد مضى أكثر من ثلاث سنوات على صدورها. ويشرف مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات على تحكيم الأبحاث العلمية، بينما تقوم بتحكيم الأعمال الأدبية مؤسسة فلسطين للثقافة، وتقوم لجان من الخبراء والمختصين باختيار الأعمال الفائزة في نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٩م.

تعدّ الرقصات الشعبية أحد ألوان الفنون الشعبية التي كانت - ولا تزال - تُؤدّى في المناسبات والاحتفالات العامة والخاصة في مختلف مناطق المملكة العربية السعودية. وتشتهر منطقة عسير الواقعة في جنوب غرب المملكة بكثير من الألوان الشعبية (الرقصات) التي تُؤدّى في مناسبات مختلفة؛ مثل: احتفالات الأعياد، والختان، والزواج، ومراسم الاستقبال، وغيرها من المناسبات السارة. ومن أشهر هذه الرقصات: العرضة، والخطوة، والزحفة، والدمة، وغيرها من الألوان الشعبية المحبّبة لدى أبناء عسير: شيبها وشبابها.





الرقصات الشعبية بعسير

علي عبد الله مرزوق

خميس مشيط - السعودية

العرضة رقصة الحرب

(العرضة) لون شعبي شائع بين قبائل المملكة ومناطقها المختلفة، وتختلف طريقة أداء العرضة من منطقة إلى أخرى، ومن قبيلة إلى أخرى. وفي اللسان: «عَرَضَ الشيءَ عليه يَعْرِضُه عرضاً: أراه إياه». وفي حديث حذيفة: تُعْرَضُ الفتن على القلوب عَرْضَ الحَصير. قيل: هو من عَرْض الجُنْد بين يدي السلطان لإظهارهم واختبار أحوالهم[1].

ففي منطقة عسير كانت العرضة تُؤدَّى عند قرع طبول الحرب؛ فهي (رقصة الحرب) عند كثير من القبائل؛ إذ تُؤدَّى إما قبل الحرب وإما بعدها. وطريقة تأدية العرضة عند قبائل عسير كالآتي: بعد أن يلبس العارضون الملابس الخاصة، المكونة من الثوب السعودي والشماغ أو الغترة أحياناً، ويتمنطق بعض العارضين بالجنبية، بينما يحمل بعضهم الآخر إلى جانب الجنبية: العصيّ، أو السيوف، أو البنادق؛ يصطفّ الراقصون - أو ما يُعرف في منطقة عسير بـ(العراضة) - ليكوّنوا طابوراً شبيهاً بالطابور العسكري، وينقسمون إلى قسمين، ويتقدمهم أكثرهم خبرةً بأصول الرقص، فيقلدونه في رفع رجله اليمنى واليسرى بالتناوب، مردّدين ما يقوله الشاعر الشعبي من أبيات شعرية تطرب لها النفوس. وبينما يقوم القسم الأول بترديد الشطر الثاني من البيت الأول من القصيدة يردّد القسم الثاني الشطر الثاني من البيت الثاني، ثم يتحول الطابور إلى حلقة دائرية كبيرة مكونة من صفين (صف أول، وصف ثانٍ)، يقف في منتصفها الشعراء والطبّالون، بينما يقف المشاهدون (المتفرجون) خارج الدائرة، ويستمر الإنشاد والرقص مدة من الزمن، ثم يقطع الشاعر اللعب بقوله (خلوها)، بعده يشدو شاعر آخر بقصيدة أخرى، وهكذا.

أشهر قصائد العرضة

وقد ذكر جريس في كتابه أشهر القصائد التي تردّد في العرضة، منها هذه القصيدة التي قيلت بعد تحرير دولة الكويت:

جعل يا خادم البيتين عيدك سعيد
وألف مبروك بالنصر المبين الوكيد
وألف يهنى لبو متعب ولي العهد
واسع الفكر حلال النشب والعقد
وألف يهناك يا سلطان نصر وشرف
انت بونا وقايدنا وحامي حمانا
لك نزف التهاني باسم وحدتنا
القبايل ترحب والدوائر تشيد
عندهم مثل عيد الفطر عيد وعيد
يوم شرفتنا في الحفل يوم السعيد
لك نجدد ولاءنا ويوفاء العهد
يا ابن عبد العزيز، مواقفك تنعرف
في لباس الشرف والعز
والله ينصر حكومتنا وقاداتنا[2].

خطوات إلى الأمام والخلف تميّز (الخطوة)

يكون المؤدّون للخطوة على شكل صفين متقابلين متماسكين بالأيدي، ويردّد الصف الأول البيت الأول من القصيدة، بينما يردّد الصف الآخر البيت الثاني، ويكرّر الشاعر الذي يتوسّطهم هذين البيتين حتى



تحرص فرقة شهران على خلق نوع من التعاون المشترك مع فرق شعبية أخرى؛ مثل: فرقة نجران، وفرقة الباحة، وفرقة جازان، وفرقة بيشة

يحفظوهما. ولأن (الخُطْوة) بالضم تعني ما بين القدمين، والخَطْوة بالفتح تعني المرّة الواحدة[٢]، فقد سُمّي هذا اللون من الرقص بـ(الخطوة)؛ إذ يبدأ الراقصون اللعب بأن يتقدموا خطوة إلى الأمام، وأخرى إلى الخلف، متراصّين ومترابطين بالأيدي، وتتمايل أجسامهم إلى الأمام. وعند انتهاء كل صف من إنشاد بيت الشعر الذي يخصّهم يقومون بثني الركبة اليسرى قليلاً تتلوها اليمنى، ثم يعودون إلى الوضع السابق، ويستمر اللعب بهذا الصورة. يتغنّى خلالها الشاعر بقصائد شعبية تتناسب مع طريقة الرقص وإيقاع الطبول. ومن أشهر القصائد هذه القصيدة التي تصف أبها وجمالها الطبيعي الخلاب:

يا رايحين أبها البهية
على الطريق مروا عليه
هيا بنا السودة والبرق ورعوده
والنسمة تسبح على خدوده
والنجم والقمر يسهر مع عوده
والطير ترقص تشدو بتغريده





الراقصون ينصتون للشاعر

الزحفة

تأتي لفظة (زَحْف) في اللسان بمعنى: الزحف إلى العدو قليلاً قليلاً لقتاله[4]، وهو ما يؤكد أن أغلب رقصات أهل عسير كانت بمنزلة رقصات الحرب، بما يصاحبها من مكملات للباس كالبنادق والسيوف والخناجر. والزحفة هي شبيهة بالخطوة، إلا أنها تُؤدَّى بشكل أسرع، يثني فيها الراقصون الركب قليلاً خلال اللعب، من دون أن يتقدم الصف بخطواته إلى الأمام أو الخلف.

فرقة شهران تحافظ على الموروث

تكثر الفرق الشعبية التي تمثل منطقة عسير في المناسبات العامة والخاصة، وتعدّ فرقة (شهران)، التي تأسّست قبل أكثر من ٤٠ عاماً، واحدةً من هذه الفرق الشعبية الشهيرة في السعودية، التي تهدف إلى المحافظة على الهوية والأصالة من خلال تمسّكها بالأداء واللباس وكل ما يرتبط بالرقص الشعبي من موروث.

ومن أهداف تأسيس الفرقة: الترحيب بالضيوف القادمين إلى منطقة عسير، والمشاركة في الاحتفالات التي تقيمها المحافظة خلال الأعياد والمناسبات العامة؛ مثل: استقبال الوفود وكبار زوار المنطقة، إلى جانب توثيق تراث المنطقة وفولكلورها الشعبي، وتدريب الأجيال الشابة عليه.

ويذكر رئيس الفرقة حسن سعيد عبدالرحمن أبو نخاع أن الفرقة تأسّست في سنة ١٣٩٠هـ بدعم من إمارة خميس مشيط، قبل أن تكون محافظةً. وكانت أولى مشاركات الفرقة في ساحة السوق بمحافظة خميس مشيط احتفالاً بعيد الفطر المبارك سنة ١٤٠٢هـ.

وعن تمويل الفرقة، أجاب أبو نخاع بأنه يتم عن طريق محافظة خميس مشيط، ورجال الأعمال في المنطقة وخارجها، كما تحظى برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن خالد بن عبد العزيز أمير منطقة عسير.

ولم يُخفِ أبو نخاع أن الفرقة بحاجة إلى مزيد من الدعم المادي والمعنوي، خصوصاً عندما تكون المشاركات خارج منطقة عسير؛ لزيادة مصروفات السفر، والإقامة، والإعاشة.

أما عن الزي الرسمي للفرقة، ومدى التزامه من الأعضاء، فأجاب أبو نخاع: لا يخرج الزي عن الثوب السعودي المعروف، والشماغ أو الغترة البيضاء أحياناً، والأحذية السوداء، إضافةً إلى الخناجر الأصيلة. والحمد لله جميع الأعضاء يلتزمونه، بل إنهم يعتزون كثيراً بلباسه.

وعن المشاركات الدولية للفرقة، أجاب بأن الفرقة لم تَنَلْ شرف تمثيل المملكة دولياً على الرغم من أنها من أقدم الفرق الشعبية، وتجيد كثيراً من أنواع الفنون الشعبية على مستوى المملكة. وبهذه المناسبة أتمنى من وزارة الثقافة والإعلام أن تمنحنا الفرصة لتمثيل المملكة في (الأسابيع الثقافية) التي تقيمها الوزارة في دول العالم.

أما الألوان الشعبية التي يجيد أعضاء الفرقة تأديتها، إضافةً إلى الألوان التي تميّز المنطقة الجنوبية؛ مثل: العرضة، والخطوة، والزحفة، والدمة، والشهري، وغيرها من الألوان، فقال أبو نخاع: هي ألوان كثيرة، وذكر منها: العرضة النجدية، والسامري، والقلطة، وغيرها من العروض التي تمتاز بها مناطق المملكة المختلفة.

شروط الانتساب

وحول شروط الانتساب إلى الفرقة أجاب أبو نخاع بأن أهم الشروط: أن يكون العضو حسن السير والسلوك، وأن يجيد أداء الألعاب والرقصات الشعبية التي تمثّل تراث المنطقة، ثم التزام كل ما جاء في اللائحة التأسيسية للفرقة من بنود.

وقد تضاعف المنتسبون إلى الفرقة أضعافاً كثيرة مع مرور السنين، فبعد أن كان عدد المنتسبين لا يتجاوز ٢٥ رجلاً أصبح الآن أكثر من ٢٠٠ رجل ينتمون إلى مختلف الأعمار؛ إذ إن أصغر عضو في الفرقة يبلغ من العمر ١٨ سنة، بينما يبلغ أكبر عضو فيها ٥٥ سنة.

وحول هذا الفرق والبون الشاسع بين أعمار الأعضاء، أوضح أبو نخاع أن ذلك يسهم في استمرار الفرقة، فيذهب جيل ويأتي جيل



يردد الراقصون أبيات الشعر وهم يلوحون بسيوفهم



جديد من بعده لتستمرّ الدورة، ثم إن في تفاوت الأعمار فائدةً أخرى تكمن في انتقال الخبرات، والاستفادة من كبار السن في تعليم الجيل الجديد أصول الرقصات الشعبية.

أعضاء فرقة شهران

تضم فرقة شهران، إضافةً إلى رئيس الفرقة، كثيراً من الأعضاء الذين يجيدون أغلب الرقصات الشعبية، وهم: محمد عبدالله سعيد حنيف، ويحيى حسن مشهور، وعبدالله بن منصور الشهراني، وفهد سعد آل جبران، ومحمد عبدالله آل فائع، وحسن عبدالله منقاش، وسعيد محمد غرم، وخالد سعيد آل عطاف، وعبد الوهاب سعيد الشهراني، وسامر عبدالله آل جلاب، وحمود عبدالله الشهراني، وعيسى سعيد الشهراني، ومحمد عبدالرحمن الحسن، وماهر محمد بن زهران، وخلف عبدالله هبشان، وسعيد عبدالله آل فرازعة، ومحمد سعيد عبود، وسعيد حامد آل شطوان، وعبدالعزيز عبود الشهراني، وحسين عبدالله دحوان، وعبدالله سعيد غلاب، ووليد يحيى عضيد، ومشبب يحيى عضيد، وماجد علي آل عضيد، وعلي يحيى عضيد، وعبدالكريم عكفي الشهراني، وحسين محمد عكفي، ومحمد سعيد آل دهمان، وعبدالعزيز سعيد آل دهمان، وإبراهيم يحيى الشهراني، وناصر مفرح الشهراني، وعبدالعزيز محمد عكفي، وسعيد محمد آل معدي، ومشبب محمد عكفي.

وعبدالرحمن محمد آل حميضة، وصالح محمد آل قوام، وبندر سعيد آل معدي، وأحمد محمد آل حميضة، ومحمد سعيد يعن الله، وفارس سعيد آل غاوي، وسعيد سفر بتيل.

وقد شاركت الفرقة في كثير من المناسبات داخل منطقة عسير وخارجها، ومن هذه المشاركات: حفل استقبال خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما زار المنطقة الجنوبية، وحفل استقبال صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد خلال زياراته المتكررة للمنطقة، وكذا المشاركة بصفة مستمرة في المهرجان الوطني للتراث والثقافة في الجنادرية. كل هذه المشاركات حظيت بتغطية إعلامية وحضور جماهيري متميّز، وتستعد الفرقة للمشاركة في المهرجان ذاته خلال الأسابيع القادمة.

ولأهمية التواصل مع الفرق الشعبية الأخرى، سواء داخل المملكة أم خارجها، تحرص فرقة شهران على خلق نوع من التعاون المشترك مع فرق شعبية أخرى؛ مثل: فرقة نجران، وفرقة الباحة، وفرقة جازان، وفرقة بيشة. ولمزيد من التواصل وتوسيع دائرة الاهتمام تعمل الفرقة الآن على تصميم موقع لها على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)؛ بهدف التواصل بشكل أكبر مع المهتمين بالتراث، ليس على المستوى المحلي والخليجي فحسب، بل على المستويين العربي والعالمي.

المــــــــراجــــــــع

١- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة (عرض).

٢- جريس، غيثان علي، عسير: دراسة تاريخية في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، دار جدة للطباعة والنشر، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١١٢، ١١٣.

٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة (خطا).

٤- القحطاني، عبد الله سالم، التراث الشعبي في منطقة عسير، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ص١٩٨.

٥- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب، مادة (زحف).



الحرشاني، محمود/ جوائز أدبية في الوطن العربي .. تونس: دار مرآة الوسط للصحافة والنشر، ٢٠٠٨م، ٧٧ ص (سلسلة كتاب مرآة الوسط؛ ١).

يتضمن هذا الكتاب تعريفاً بأهم الجوائز الأدبية في الوطن العربي، وكيفية التقدم إليها، وأهم الأسماء التي حصلت على هذه الجوائز منذ إنشائها.

والكتاب هو حلقات من برنامج إذاعي أنتجه المؤلف منذ ثلاث سنوات لإذاعة صفاقس التونسية، وكان يحمل عنوان: جوائز أدبية، وأذيع بمعدل حلقة كل أسبوع من شهر يوليو/ تموز إلى نهاية شهر سبتمبر/ أيلول عام ٢٠٠٥م، وقد أضاف إليه الكاتب بعض المعلومات الجديدة التي توافرت عن كل جائزة بما تطلبته الكتابة النهائية المعدة للنشر في كتاب.

والجوائز هي: جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، وجائزة الشارقة للإبداع العربي - الإصدار الأول، وجائزة سعاد الصباح للإبداع الفكري والأدبي، وجائزة سلطان العويس الثقافية، وجائزة كومار للإبداع الروائي - تونس، وجائزة زبيدة بشير للإبداع النسائي - تونس، وجائزة أبي القاسم الشابي - تونس، وجائزة المدينة للرواية، وجائزة نجيب محفوظ للرواية، ومسابقة القصة لجمعية نساء البحر الأبيض المتوسط ومركز الكريديف بتونس، وجائزة الملك فيصل العالمية للآداب، وجائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي، وجائزة رئيس الجمهورية التونسية العالمية للدراسات الإسلامية، وجائزة الطيب صالح للإبداع الروائي السوداني، وجائزة مضامين السابع من نوفمبر للمصنّفات الأدبية، وجائزة القلم الذهبي، وجائزة مفدي زكرياء للشعر المغاربي، والجائزة المغاربية للثقافة بتونس، وجائزة السابع من نوفمبر للإبداع بتونس.

وطن يمر من النخيل إلى الصهيل

محمود حامد
دمشق - سورية

أتميلُ أمْ قمَصُ النَّخيلِ يميلُ   إنْ مرَّ سَلَّمَ والسَّلامُ خَجولُ
يُلقي عَلَيَّ. أنا الضفافُ. أنينَهُ   فيكادُ يذبحني الأسى المغلولُ
من شهقة في الجُرْحِ قامَ ولمْ يَزَلْ   يرقى به صوبَ السَّماءِ سبيلُ
حَمَلَ الدَّمَ العَرَبيَّ عَبْرَ عُروقِهِ   همًّا. وَحِمْلٌ مِثْلُ ذاك ثقيلُ
لكنَّ من شيمِ النفوسِ بأنَّها   لا تستثيرُ السَّاحَ وَهْوَ كليلُ
حتى إذا اشتعل المدى بجراحِهِ   هَبَّتْ. وَهَلْ ما راعَها معقولُ؟!

***

ألقتْ على السَّاحِ الجريحِ تحيَّةً   وَدَمُ العُروبةِ هادرٌ مطلولُ
ماذا بنا؟! والدَّرْبُ دون جهاتِهِ   مُتَغرِّبٌ عَنّا. وليسَ دليلُ
هذا الثَّرى قَدْ شَبَّ من دمنا الذي   يرويهِ. هَلْ لِدَمٍ سواهُ بديلُ؟!
مَنْ أنتَ؟! قالَ: تَلَفَّتي. فإذا به   ظِلُّ الخُزامى للسَّماءِ يطولُ
أنا ذلك الرَّمْلُ الذي لم ينكسر   تحتَ اللَّهيبِ. ولا اعتراهُ ذُهولُ
أرأيتِ؟! مِنْ فجرِ الزَّمانِ وصاحبي   هذا المدى. والرِّيحُ حيثُ تجولُ
والشمسُ تفردُ لي بنبضِ كيانِها   ما أشتهي. وأنا الغدُ المأمولُ
مِنْ كفِّي انبثقَ النَّخيلُ. فبالهُ   مِنْ كبرياءٍ عاشَ وَهْوَ نخيلُ
رَسَمَ البلادَ على فضاءِ جناحِهِ   حُلُمًا. وراحَ مَعَ المساءِ يَقيلُ
كم يشتهي لو مرَّ صوتٌ يمامةٍ   يأوي إليه. وخيمةً. وهديلُ
ويغيبُ فوق الرَّمْلِ نشوانَ الخُطا   أتراهُ رملاً: أمْ مدًى مجهولُ؟!
يمشي الزَّمانُ به كأنَّ على النَّوى   رَسْمَ الخُطا دُونَ الوُصولِ رحيلُ
أتحبني؟! قُلْتُ: اسألي هذا الثرى   في كلِّ شريانٍ دَمٌ وصهيلُ

قصيدة

وَطَنٌ يَحِنُّ على الجُذورِ كأنَّما ... هي صَبْوَةٌ في الفَرْعِ، وَهْوَ أُصولُ
كَمْ أَرَّقَ السَّفْحَ المُتَيَّمَ عُشْبُهُ ... يمشي عِناقاً، والكلامُ يسيلُ
أرأيتَ أيَّ هَوىً يَمُرُّ بمقلة ... فيذيبها بالوَجْدِ، وهْوَ عليلُ؟!
هُوَ ذا صباحٌ قادمٌ وكأنَّهُ ... للظامئينَ إلى الضياءِ رسولُ
يا جارةَ التَّاريخِ ما مِنْ عَتْمَةٍ ... إلاَّ وَشَقَّ لُهاثَها قنديلُ
تلك الدُّروبُ إلى الخلودِ فَصُبْحُها ... دَمُنا، وَمُسْتَعِرُ الجراحِ فتيلُ

***

ما بين نَبْضِ دَمٍ وجُرْحٍ خافِقٍ ... نهضتْ على أَرَقِ الرُّقادِ خُيولُ
هذا أنينُ المَجْدِ يعتبُ أم تُرى ... ما خَلَّفَتْهُ على الرِّمالِ طُلولُ؟!
قُلْتُ: اقرئي عنَّا كثيراً إنَّنا ... ذاكَ الذي قَدْ خَصَّهُ التَّنزيلُ
هَلْ أُمَّةٌ في الدَّهْرِ صاغَ بها العُلى ... قرآنُها، ومشى بها إنجيلُ؟!
ما زال يصحبُنا إلى غاياتنا ... تاريخُ عُمْرٍ رائعٌ وجليلُ
وتمرُّ راياتٌ فتكتبُ ما وَعَتْ ... عنَّا، وفيها ما يَفي التَّفصيلُ
قَدْ تستفيقُ على العتابِ جراحُنا ... ماذا نقولُ لها ونحنُ فُلولُ؟!
لا تعتبي، هِيَ حقبةٌ وستنتهي ... ويُطِلُّ صُبْحٌ شائقٌ وجميلُ
قد يُكثِرُ الجُرْحُ السُّؤالَ: إلى متى؟! ... ويغصُّ فوق شفاهِهِ التعليلُ
أَهِيَ الشَّواهِدُ قَدْ مَشَتْ في ساحِها ... غضبى، أم الراياتُ وهي تصولُ؟!
ماذا تُخَبِّئُ مقلةٌ في سِرِّها ... والصَّمْتُ في الأحداقِ ماذا يقولُ؟!
وَهَلِ الذي يُدمي الشِّفاهَ أنينُها ... حزناً علينا، أمْ هُوَ التأويلُ؟!
جيلٌ على الصَّهَواتِ قامَ فإن مضى ... سَرَجَ البُروقَ إلى الملاحمِ جيلُ
ماذا يَرُجُّ السَّاحَ؟ قلتُ: جحافلٌ ... رقصتْ على خَدِّ الرَّدى وطُبولُ
هل أيقنَ الدَّرْبُ الذي نمشي به ... أنَّ الطريقَ إلى الخلودِ طويلُ؟!
كم خطوةٍ سقطتْ بساحِ كفاحِها ... لا تكتفي بالمجدِ، وَهْوَ قليلُ
كانت تَرومُ المستحيلَ وخَلْفَها ... سَيْفُ المنايا مُتْعَبٌ وذليلُ
يا جارةَ التاريخِ إنْ ذَهَبَ الأُلى ... بالمكرُماتِ فهل هُناكَ مثيلُ؟!
تُومي الأكُفُّ إلى الرَّحيلِ بحزنها ... ألماً، ويَشْهَقُ في اليَدِ المنديلُ
كم وزعتنا في الخرائطِ خطوةٌ ... ألقى بها التاريخُ وَهْوَ عَجُولُ
لم تَسْتَسِغْ وجعَ المنا في مُقلةٍ ... أَوْ تحتملْ أَرَقَ الجنونِ عُقولُ
أينَ الطريقُ وللدُّروبِ جهاتُها ... وَخُطا الجهاتِ إلى السَّرابِ تؤولُ
أشياءُ تقتحمُ الجُذورَ كأنَّها ... شلالُ ريحٍ عاصفٌ وسيولُ
هي رَغْشَةٌ في الصَّدْرِ باقيةٌ فهلْ ... مِنْ رَغْشَةٍ تَهَبُ الحياةَ تزولُ؟!
وطنٌ يَمُرُّ من النخيلِ إلى الصَّهيـ ... ـلِ. أقاتلي عشقاً أم المقتولُ؟!



الفنون التطبيقية في داغستان

حسين حاجي إبراهيم تيكايف

الرياض - السعودية

تعدّ جمهورية داغستان (بلاد الجبال باللغة التركية) أكبر جمهورية في شمال القوقاز من حيث عدد السكان؛ إذ يبلغ عدد سكانها نحو مليوني نسمة، وتبلغ مساحتها ٣,٠٥٠ ألف كم٢، وهي إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية التي تتكوّن من ٨٤ جمهورية ومقاطعة.

إن أكثر ما يميّز هذه الجمهورية هو كثرة القوميات التي تقطن فيها، وعدم وجود قومية طاغية فيها؛ فهناك ٣٣ قومية أصيلة كبيرة في عدد السكان، وهي تسمى (شعوب الجبال الداغستانية)؛ مثل: الآفاريين، والدارغينيين، والليزغيين، واللاكيين، والتاباسارانيين، والروتوليين، والأغوليين، وغيرهم. وإلى جانب هذه الشعوب الأصيلة هناك شعوب أخرى، منها: الروس، والشيشان، والأذربيجانيون، وشعوب أخرى.

تتكلم الشعوب الداغستانية لغات تنتمي إلى ثلاث مجموعات لغوية: فيتكلم الآفاريون، والدارغينيون، والليزغيون، واللاكيون، والتاباسارانيون، والروتوليون، والأغوليون، والتساخوريون، والشيشان، لغات تنتمي إلى مجموعة اللغات الإيبيرية – القوقازية. أما الشعوب القوميقية والنوغائية والأذربيجانية فتتكلم لغات تنتمي إلى مجموعة اللغات التركية. أما قوميتا الروس والتات فتنطقان بإحدى لغات المجموعة الإيرانية، التي تنتمي إلى مجموعة اللغات الهندوأوربية. أما الشعوب المنعزلة في داغستان فقد تكلّمت في العصور الوسطى ما يسمى اللغات العالمية: القوميقية. أما العلماء الداغستانيون فكانوا يتكلمون ويكتبون باللغة العربية. وفي الوقت الحاضر تتفاهم الشعوب الداغستانية فيما بينها بواسطة اللغة الروسية.

نتابع في مقالتنا هذه تعريف القرّاء السعوديين ببعض خصائص ثقافة الشعوب التي تعيش في روسيا، وإطلاعهم على تاريخ جمهورية داغستان وفن الزخرفة فيها. علماً أن هذه الجمهورية وصل صيتها الآفاق، ولم تكتف بالشهرة في روسيا فقط.

تشهد شعوب كثيرة في الوقت الراهن حلول التقنية والمصانع

يعطي تناغم الألوان جمالاً منقطع النظير



الخنجر المزخرف بنقوش عظمية

الكبيرة مكان الصناعات اليدوية، إلا أن الصناعات اليدوية في عدد من البلدان، بما فيها روسيا، تشهد قوانين أخرى؛ بسبب روعتها ودقة إنتاجها. ومازالت هذه الصناعات اليدوية الفنية حتى الآن عنصراً مهماً غير قابل للتبديل أو التغيير في مسيرة الثقافة الشعبية، وما زالت تحظى بفرص عمل جديدة، وتطوّر التجارة.

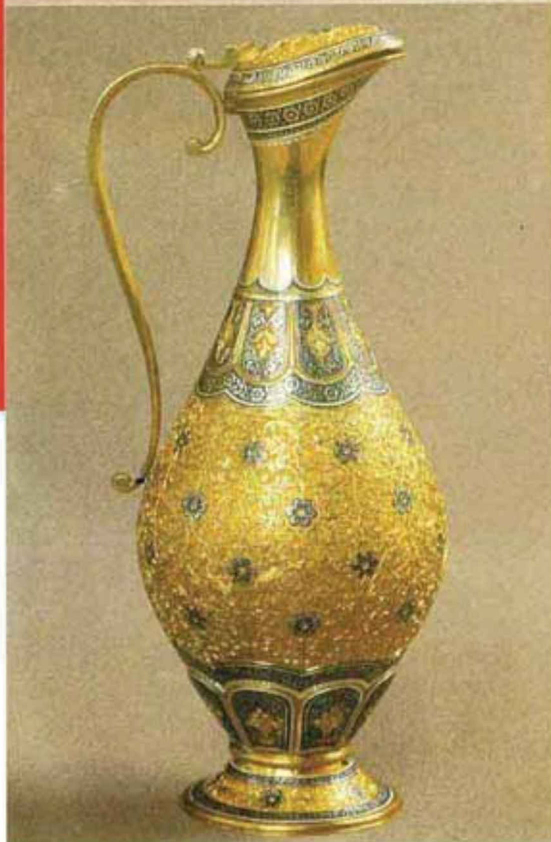
بداية فن الزخرفة اليدوي

بدأ فن الزخرفة اليدوي على الطين والخشب والحجارة والمعادن وتزيين المنتجات اليدوية في داغستان في العصور الوسطى، خصوصاً من القرن العاشر إلى القرن الثامن عشر. وأكثر ما يميّز هذه العملية أنها تتم في إطار القالب الشرقي لتطور الحرف اليدوية[1]. شكّلت الصناعات اليدوية العربية الإسلامية في العصور الوسطى، التي أدّت





كمّ كبير ومتنوع من النقوش المحْشُوّة باللون الأسود



صناعات يدوية رائعة تدل على دقة الصنع

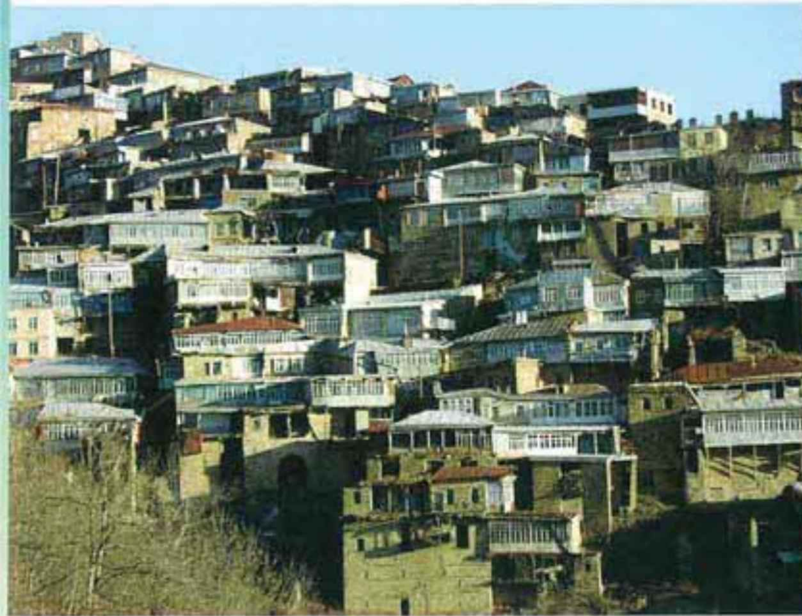
دوراً كبيراً في ظهور الصناعات اليدوية الداغستانية، القسم الأعظم من الثقافة الفنية في ذلك الزمان، وأدّت دوراً اجتماعياً وجمالياً[2]. ولم تنتشر الكتابة العربية، وتقاليد ثقافة الزخرفة العربية، وفن العمارة العربية وما يتفرع عنه من نقش على الحجر والخشب ونقش الخط العربي، في مدن القوقاز وإيران وآسيا الوسطى في القرن العاشر إلى القرن الخامس عشر فقط، بل تعدّت شهرتها وانتشارها حتى وصلت إلى داغستان. وكانت داغستان في ذلك الوقت جزءاً من الخلافة



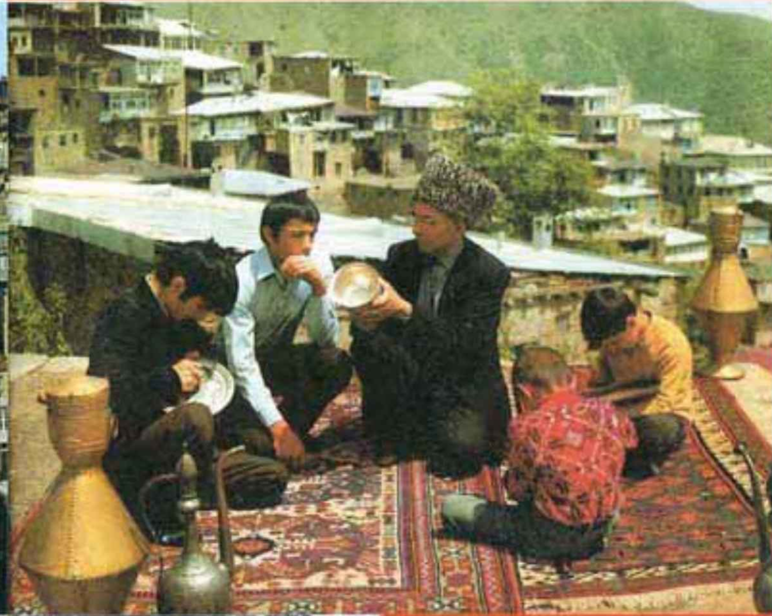
يكثر الطلب حالياً على الأسلحة المزخرفة الجميلة

الإسلامية: إذ تدلّ الوثائق التاريخية على عظَم الدور الذي أدّاه رجال الدين القادمون من الدول الإسلامية، ومعلّمو الحرف اليدوية الذين دُعوا بشكل مباشر إلى العمل في داغستان. وقد أدّى هؤلاء دوراً كبيراً في الحياة الاجتماعية والسياسية في داغستان. وأدى هذا الحضور الطويل للمهاجرين العرب وممثلي العالم التركي في داغستان إلى ظهور المدارس الداغستانية المحلية في مجال الصناعات اليدوية[٢].

لكن مع حلول القرن السادس عشر والسابع عشر أخذ تأثير هذه المدارس الحرفية الشرقية في الصناعات اليدوية الداغستانية يخفّ بشكل كبير. على الرغم من أن الصناعات اليدوية الداغستانية ظلت تتأثر بشكل غير مباشر؛ لذلك بدأت مدارسها الوطنية الحرفية تظهر شيئاً فشيئاً. وحدثت في القرن الثامن عشر قفزة كبيرة في التقاليد الفنية للصناعات اليدوية في داغستان: إذ بدأ يظهر في داغستان إلى جانب فن العمارة الدينية والنقوش المعمارية تنوّع في أساليب الزخرفة والنقش على الخشب (كان مركزها بشكل أساسي في قرى روغودج وكوبادا). والنقش على الحجر (في قرى باقني، وتشوخ، وخوزيك). كما بدأت صناعة الأسلحة النارية الداغستانية تتميز في هذه المرحلة خاصةً من مثيلتها التركية. وبدأت داغستان تتميّز في مجال صناعة السلاح الأبيض بصناعة السيوف المختلفة، بما فيها السيوف من نوع «الشاشكا». وانتهت في هذه المرحلة (في قرى سوليفكنت وبلخار واسبيك) عملية نضج الميزات الفنية لصناعة السيراميك. وبدأت تتطور صناعة صبّ البرونز، وسكّ النحاس (إذ كانت تتميّز القطع التي كان يصنعها الحرفيون اللاكيون من قرية خوري، والمعلّمون الأفاريون من قرية غوتساتل، برقة جدرانها). وصناعة القدور (في قرية كوباتشي). وصناعة السجاد (في قرى روكيل، وميكراخ، وأخطي). وصناعات فضية جديدة (كصناعة الأحزمة وأدوات الزينة النسائية في قرية كوباتشي). وتطورت بسرعة صناعة نسج الصوف وصناعة السجاد ثنائي الوجه من دون وبر (الجوخ الوبري في قرية حاجالماخي، والمنسوجات الصوفية في قريتي كيل وكوباتشي). كما تطورت صناعة معاطف اللّباد الخاصة بشعوب القوقاز (البوركا). وكل أنواع السلاح الناري والأبيض، ومغاليق (ترابيس) الأسلحة وسبطاناتها. وأصبحت منتجات الصناعات اليدوية الداغستانية إلى جانب المنتجات الزراعية من أكثر السلع



قرية كوباتشي المشهورة عبر التاريخ





الفنان حاج بحمود محمدوف

تاريخ صناعة السلاح اليدوية

كان لداغستان تاريخ عريق وباع طويل في صناعة السلاح اليدوية، وصهر الحديد والمعادن المحلية. ويمكن أن تكون قرية كوباتشي مثالاً ناصعاً على ذلك، حيث اشتُهرت حتى القرن التاسع عشر بصناعة الدروع والخُوَذ، والصناعة اليدوية للخناجر والسيوف المختلفة والبنادق والمسدسات. وقد أدّت حرب القوقاز (١٨١٧-١٨٦٤م)، التي شنّتها الإمبراطورية الروسية ضد شعوب جبال القوقاز الشمالي، إلى إنعاش صناعة السلاح اليدوية وانتشارها. وقد أشاد قائد ثوّار داغستان والشيشان الإمام شامل (شمويل) بشكل كبير بخبرة حرفيي صناعة السلاح اليدوية وموهبتهم، مؤكداً أن صناعة السلاح اليدوية الداغستانية هي الأفضل في العالم أجمع[٤].

تطوّرت صناعة الأسلحة النارية في داغستان بشكل كبير، وتعود نشأتها إلى القرن السابع عشر. فبدأت قرية كوباتشي في القرن التاسع عشر بإنتاج المسدسات ذات المغاليق التي تعمل بالقدح[٥]، ثم أخذت صناعة السلاح اليدوية الفنية (بما فيها صناعة البنادق) تصبح أكثر أناقة وجمالاً بفضل الأشكال الفنية والزخارف التي كان يبتدعها الفنانون وينقشونها على الأسلحة. وبدأت قريتا كوباتشي وخاربوك في ذلك الوقت تتقاسمان العمل، حتى تخصّص الحرفيون في كوباتشي في عمل الزخارف والزينات لكل أنواع الأسلحة، بينما تخصّصت

أهميةً في الأسواق الخارجية. وبدأت تتوسع مجالات الصناعات اليدوية، وأخذت تتسع الناحية التعبيرية الفنية في هذه الصناعات الشعبية، إلى أن صارت منتجات الحرفيين المحليين تصدّر إلى الشرقين الأدنى والأوسط ودول أوربا وأمريكا.

نحن نعتقد أن الفن على مدى التاريخ الطويل لداغستان كان دائماً متعدّد الأوجه والأطياف؛ لذلك لا يمكننا أن نغطّي في مقالة صغيرة كل هذا الغنى والتنوع، وبناءً عليه، فإننا سنكتفي هنا بالكلام حول صناعة السلاح اليدوية وصناعة المجوهرات.

قرية خاربوك في صنع سبطانات البنادق. وقد زار الكاتب الفرنسي المشهور ألكسندر ديوما (١٨٠٢-١٨٧٠م) داغستان في أواسط القرن التاسع عشر، وعبّر عن مشاهداته هناك بكتابات ممتعة، فقال: إن بعض المحلات كانت تبيع النصل، وبعضها كان يبيع المقبض اللازم للنصل؛ أي أنه لم يكن لدى صانعي المقابض نصّال، ولم يكن لدى صانعي النّصال مقابض، وهذا ما جعل المشتري يحصل على النصل من محلّ، ويركّبه في محلّ آخر، ويشتري الغمد من محلّ ثالث[٦]. وكان الحدّادون من قرية كوباتشي في الوقت نفسه يصنعون مغاليق الأسلحة، وكل القطع الحديدية اللازمة للبندقية أو المسدس[٧].

لم يكن هناك بدّ أمام صناعة السلاح اليدوية في داغستان إلا أن تواجه أزمة حتمية في ظل التطور المتصاعد لمصانع الأسلحة في روسيا، والحظر الذي فرضته السلطات الإمبراطورية الروسية على إنتاج الأسلحة في داغستان. ومع ذلك استمر الطلب على الأسلحة والمسدسات الداغستانية المزخرفة ذات المغاليق المصنوعة من الصوان حتى نهاية القرن التاسع عشر.

اشتُهر لباس يُعرف بـ(تشيركيسّكا) كان يرتديه الرجال في القوقاز، وهو يتكون من معطف من الجوخ من دون قبّة، خيطت على صدره رقع جلدية خاصة لوضع الرصاص. وقد انتقل هذا الثوب فيما بعد إلى القوزاق الروس. وزاد الطلب على السلاح الأبيض في منتصف القرن التاسع عشر، وصارت الخناجر والسيوف زينةً لازمة للملابس الاحتفالية وملابس العمل لأبناء الجبال والضباط الروس والقوزاقيين. وبتأثير من تقاليد شمال القوقاز، انتشرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في مدن ما وراء القوقاز (جورجيا، وأرمينيا، وأذربيجان حالياً) عادة التزيّن بالخناجر للرجال. وصار أبناء المدن الميسورون يحملون الخناجر المزخرفة، ويلبسون معاطف التشيركيسّكا[٨]. وانتشر السيف من نوع الشاشكا شبه المستقيم بشكل واسع كسلاح ونوع من الزينة للرجال. ويتميّز هذا السيف (الشاشكا) من السيف المعقوف المعروف للجميع منذ زمن طويل بأنه لم يظهر إلا في القرن السابع عشر، وأن مقبضه يختلف قليلاً. وقد تأثر هذا السيف بالسيف التركي المحدّب، مع وجود بعض الاختلافات. ويتميز السيف شبه المستقيم (الشاشكا) بإمكانية دخول مقبضه داخل الغمد، وعدم وجود نتوأين على طرفيه. والنهاية المدبّبة للمقبض التي كانت شيئاً جديداً في ذلك الزمان: إذ كان الفارس يغرز هذا السيف في الأرض في أثناء الحرب ويسند بندقيته في منتصف المقبض المحفور المدبب ثم يشرع في إطلاق النار.

كانت داغستان تنتج أسلحة مزخرفة تقليدية تصلح للاستخدام اليومي والاحتفالات. وتوقّف إنتاج الأسلحة للاستخدام اليومي في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، إلا أن الطلب زاد على الخناجر والسيوف والمسدسات المزخرفة الجميلة. وقد رافق هذه العملية تطوّر كبير في صناعة المجوهرات، وأصبحت صناعة السلاح اليدوية في الوقت الحاضر جزءاً من صناعة المجوهرات، واكتسبت سمعة وشهرة كبيرتين. وتمكّن حرفيّو قرية أموزغي منذ مدة من معرفة سرّ فولاذ أموزغي، الذي لم يتمكن أحد من معرفته. وقد كان هذا الفولاذ يستعمل لصنع نصّال السلاح الأبيض، وأكد الخبراء أن الفولاذ الداغستاني المصنوع في هذه القرية لا يقلّ أبداً عن الفولاذ الدمشقي المعروف في كل أنحاء العالم.

تاريخ صناعة المجوهرات في داغستان

تعدّ صناعة المجوهرات واحدةً من الصناعات القديمة في داغستان، وقد ظهرت في هذه البلاد في القرون الأولى بعد الميلاد، وأثبت كثير من اللقى الأثرية البرونزية والنحاسية والفضية، التي كان يستخدمها سكان مدينة دربند (بالعربية: باب الأبواب)، التي يبلغ عمرها نحو ٥٠٠٠ عام، أن سكان هذه المدينة القديمة كانوا يعالجون المعادن غير الحديدية ويصنعون المجوهرات. وعند تحليل هذه الأدوات والمصنوعات المتعددة والكثيرة تبيّن أن الحرفيين الداغستانيين كانوا يستخدمون طرائق تقنية معقدة لصنع المجوهرات المختلفة: مثل: الصبّ في قوالب الشمع، واللحام، وطَرْق المعادن وصكّها، والنقش بالإزميل، والضغط، والزخرفة الدقيقة، وتثبيت كرات الذهب أو الفضة على الزخارف، وتطعيم الرسومات بالخيوط الذهبية، والصقل.. إلخ[٩].

يعدّ القرن التاسع عشر قرناً خاصاً بالنسبة إلى صناعة المجوهرات في داغستان؛ لأنه أدى إلى ظهور الطبقات الميسورة والغنية، وميلها إلى اقتناء الملابس المزركشة الغالية. وقد أدى هذا الأمر إلى تطور فن الزينة النسائية وإكسسوارات الملابس الرجالية. حتى الأسلحة تحوّلت - كما أشرنا سابقاً - إلى نوع من أنواع الزينة من صنع أيد ماهرة بارعة في صياغة المجوهرات. وانتشرت في داغستان في ذلك الوقت

قبضة السيف المزخرفة بالأحجار الكريمة



صنعها الحرفيون الداغستانيون في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، إلى أربع مجموعات: المجموعة الأولى هي الحليّ النسائية المتعلقة بالثقافة الشعبية القديمة. أما المجموعة الثانية فهي الحليّ والمجوهرات التي تعكس الصلات الثقافية وتأثير العصور الوسطى، ونقصد بذلك الأساور المبرومة، والأحزمة الرجالية التي انتشرت بشكل كبير، وكذلك تزيين السلاح الأبيض وزخرفته، والدروع والخوذ، ومستلزمات الخيل، وتقاليد صنع الأسلحة النارية. وتدخل في هذه المجموعة أيضاً زينة أغطية الرأس النسائية التي كانت تلبسها النساء في قرية كوباتشي، فكانت تميّزهن من غيرهن من النساء بأشكال وتقنيات فريدة. ويبدو أن ظهور فن زركشة أغطية الرأس مرتبط بتأثير المدارس الفنية في الشرق. وأسهمت تقنية صنع الدروع في قرية كوباتشي في القرن السابع عشر في تطوير تقنيات إدخال حبات الذهب أو الفضة والمشغولات الدقيقة على الزخارف، وضفر السلاسل

صناعة المجوهرات بشكل واسع، ومما يؤكد ذلك قيام أهالي نحو ٥٨ قرية من مقاطعة كازيكوموخ بممارسة فن صياغة المجوهرات[١٠]، وقد أدّى رخص سعر الفضة المستوردة من روسيا وإيران، وزيادة الطلب على أشكال الزينة التقليدية في الأعراس، وانتشار تقليعة التزيّن بالفضة، إلى زيادة الاهتمام بفنّ صياغة الحليّ والمجوهرات.

أقسام الأعمال اليدوية للحليّ والمجوهرات

يمكن تقسيم الأعمال اليدوية من الحليّ والمجوهرات، التي

الضرورية لهذا النوع من الزينة. وانتشرت التمائم المصوغة من الحلي والمجوهرات في دول الشرق بتأثير الفن العربي الإسلامي. كما انتشرت عادة تعليق التعويذات الهندسية الشكل: كالمثلث أو الأسطوانة أو المربع، التي كانت معروفة بشكل كبير لدى شعوب الشرق الأوسط. وكانت هذه التمائم منتشرة أيضاً في شبه الجزيرة العربية[١١]. أما المجموعة الثالثة فهي مصنوعات على شكل قطع صغيرة غير تقليدية قام بصنعها الحرفيون الداغستانيون المهرة عن طريق المصادفة. وتضم المجموعة الرابعة والأخيرة مصنوعات يدوية تدخل المجوهرات في تركيبها، وقام بتنفيذها الحرفيون من قرية كوباتشي مقلّدين بذلك القطع الشرقية القديمة.

يمارس الصائغ والحرفي تقنيات نادرة وصعبة، ولم يكن من قبيل المصادفة تصنيف تقنية صياغة المجوهرات ضمن التقنيات العالية في العصور القديمة والوسطى؛ لأن هذه القطع الثمينة لم يكن يملكها إلا صفوة القوم من سكان المدن؛ لذلك تربّع حرفيو صناعة المجوهرات والحلي في العصور الوسطى على قمة هرم الحرف والمهن اليدوية في المدن، وانتشرت في القرن التاسع عشر في داغستان أعمال يدوية في مجال الحليّ والمجوهرات؛ مثل: تطعيم الحديد بالذهب والفضة، والنقش بالإزميل، والتسويد والتهبيب، والزخرفة الدقيقة، وتثبيت كرات الذهب والفضة على المصنوعات اليدوية، واستخدام الطعوم الملونة.

جذبت النقوش الداغستانية اهتمام الناظر إليها، وكان الحرفيون الداغستانيون يستخدمون في النقش أداة تسمى الإزميل. واعتاد حرفيو النقش الأوربيون والروس استخدام مجموعة كبيرة من الأزاميل، أما الحرفيون الداغستانيون فقد اعتادوا استخدام نوعين فقط من الأزاميل: أحدهما لحفر الخطوط المتعرجة، والآخر للقيام بالأعمال الأخرى (مثل: رسم الأشكال المحيطية، والحفر على المعادن، والنقش والتسويد). ولم يستطع الحرفيون في العصور الوسطى، في الغرب وروسيا والشرق، إنجاز هذا الكم الكبير والمتنوع من النقوش المحشوة بالمعادن السوداء؛ إذ بقيت هذه التقنية حتى أواسط القرن العشرين سراً لا يعرفه إلا الحرفيون في قرية كوباتشي. وتتلخص هذه التقنية في ذرّ مسحوق من خليط من المعادن يتكون من مسحوق أسود وفضة وقصدير ومعادن أخرى داخل الرسم المنقوش، ثم صهره ومعالجته فنياً. ويعطي تناغم اللون الأسود المائل إلى الزرقة لهذا الخليط، مع الأرضية البيضاء للقطعة الفضية المذهّبة أحياناً ببعض النقوش، جمالاً منقطع النظير. انفرد الحرفيون القوقازيون وحدهم بمعرفة الإمكانات الفريدة والمميزة والمتعددة للون الأسود في معالجة الفضة فنياً[١٢].

تغيّرت في القرن التاسع عشر تقاليد النقش والزخرفة الدقيقة القديمة المعتمدة في المدارس الكوباتشية والآفارية على الرغم من انفرادها بتزيين النقوش بالكرات الذهبية أو الفضية، وعمل الزخارف الهندسية (دوائر، وأهرامات، وكرات)، وكذلك عمل الجدائل على شكل نباتات.

ظهرت تقنية إضافة المينا الحارّ إلى المصنوعات اليدوية في قرية كوباتشي في القرن التاسع عشر، وارتبطت بمحاولة تقليد القطع الشرقية القديمة، والقطع التي كانت تصل إلى كوباتشي من الغرب وروسيا. وكانت قريتا كوباتشي وكوموخ من أشهر المراكز الداغستانية في أوائل القرن العشرين في المصنوعات اليدوية التي تعتمد على المجوهرات والحليّ.

الفن في قرية كوباتشي

انتشرت الزينة والنقوش المعمولة في المصانع في كل مكان؛ مما شكّل خطراً على التقاليد الشعبية في تزيين الملابس. وأخذت القطع التي يصنعها الصاغة لأهل المدن تتغيّر. وأدى تقليد المصانع للمنتجات إلى الإساءة إلى هذه الصناعة، وأصبح تبسيط الزخارف سمة هذه المصنوعات. إلا أن بعض القرى لا تزال تحافظ على تقاليد هذه المهنة، ولايزال الحرفيون هناك يصنعون قطعاً في غاية الروعة والجمال والجودة. ولا تزال قرية كوباتشي تحتفظ حتى هذه الأيام بتقاليد هذه المهنة؛ مما جعلها أكبر مركز في صناعة المجوهرات في داغستان، فتحوّلت إلى قرية عالمية مشهورة.

وصلت المصنوعات اليدوية في قرية كوباتشي إلى قمة الروعة والإتقان بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر؛ إذ أنتجت كوباتشي في تلك المدة مصنوعات رائعة من البرونز، والحجر، والزخارف الخشبية، والأسلحة. وقد دخلت هذه المصنوعات في عداد التراث الفني الثقافي العالمي. وقد نُقل كثير من هذه القطع من داغستان إلى دول مختلفة في العالم، ويُحفظ الآن في متاحف عالمية كبيرة؛ كمتحف الإرميتاج في روسيا، ومتحف الشعوب الروسية في سان بطرسبورغ، وجناح الأسلحة في قصر الكرملين، ومتحف اللوفر في باريس، ومتحف فيكتوريا وألبرت في لندن، ومتحف المتروبوليتان في نيويورك، ومتاحف أخرى.

تاريخ الفن الكوباتشي

ليست المصادر العربية والفارسية والتركية هي المصادر الوحيدة التي تكلّمت - في العصور الوسطى - على التاريخ الموغل في القدم لقرية كوباتشي واكتشافاتها الأثرية؛ فقد كانت هذه القرية تسمى في السابق زره كران، ومعناها في اللغة الفارسية: صانعة الدروع، وكانت هذه القرية عاصمة لأحد الكيانات الدولية القديمة في داغستان، وهي زره كران، التي كانت مشهورة جداً في التاريخ.

ويذكر المؤرخ العربي البلاذري (٨٢٠-٨٩٢م) في كتابه (فتوح البلدان) عدداً من الكيانات الداغستانية السياسية المبكرة في العصور الوسطى: مثل: سرير، وفيلان، وتاباساران، ولاكز، وزره كران، وحامزين، وغوميك[١٣]. وقد أكّد هذا الأمر أيضاً مؤرخ القرن العاشر المسعودي (توفي عام ٩٥٦م) في الفصل ٢٧ من كتابه (مروج الذهب ومعادن الجواهر)، وأبو حامد الغرناطي (١٠٨٠-١١٦٩م)، وزكريا بن محمد القزويني (١٢٠٣-١٢٨٣م)، وآخرون. وذكر المؤرخ الغرناطي أن هناك جبلاً كبيراً بالقرب من دربند (بالعربية: باب الأبواب)، وأن هناك قريتين تقبعان عند سفح هذا الجبل، يعيش فيهما شعب يسمى: زره كران؛ أي: صنّاع الدروع. ويصنع أهالي هذه القرية مستلزمات الأسلحة المختلفة: كالدروع، والخوذ، والسيوف، والرماح، والأقواس، والنبال، والخناجر، وكذلك كلّ المصنوعات التي يمكن إنتاجها من النحاس[١٤]. ودخلت قرى كثيرة في ذلك الحين في قوام دولة (زره كران)، منها: سوليفكنت، وأموزغي، وشيري، وقلعة قريش، وأشطي، وناخكي[١٥]. وأخذت هذه الدولة في التفكك بدءاً من القرن الثالث عشر، وبدأت تظهر عوضاً عنها كيانات مستقلة، إلا أن تسميتها ظلّت باقيةً مستمرةً حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وبدأت بعد ذلك تسمى كوباتشي، التي تعني باللغة التركية: صنّاع الدروع.

تفاعل الفن الكوباتشي منذ القدم مع فنون دول وشعوب كثيرة؛ إذ كانت القطع الفنية ذات الطابع النباتي التي أنتجها أهالي كوباتشي متطورة وقريبة من فنون شعوب ما وراء القوقاز وإيران وتركيا ودول شبه الجزيرة العربية[١٦]. ويتميّز الفن الكوباتشي بأنه يعود إلى شعب صغير، كما أنه تطوّر على مدى قرون طويلة مستخدماً عناصر فنية لشعوب أخرى. وقد استطاع هذا الفن من خلال طابعه الفني الخاص أن يؤثر في تطور صناعة الحلي والمجوهرات وصناعة السلاح اليدوية لدى شعوب كبيرة في شمال القوقاز وما وراء القوقاز وإيران وآسيا الوسطى، حيث عمل الحرفيون الكوباتشيون لديهم في صناعة المجوهرات والأسلحة.

وكما أشرنا سابقاً، فإن قيام المعامل بتقليد الصناعات اليدوية أساء إلى تقنية صناعة المجوهرات، ومن آثار ذلك: أصبحت صفة البساطة لازمة للزخارف، وصار خبراء كثيرون من تخصّص واحد يشتركون في إنتاج القطعة الواحدة، وأصبح من الصعب أن تجد من يحافظ على التقاليد الثقافية المتطورة لهذه الحرفة القديمة.

الحرفي الجواهرجي حاجي بحمود محمدوف

يعيش أحد الحرفيين الماهرين في الوقت الحالي في قرية كوباتشي، إنه الحرفي الجواهرجي بالوراثة حاجي بحمود محمدوف (وُلد في عام ١٩٢٣م)، الحائز على لقب فنان الشعب في روسيا، ووسام ريبين الروسي، وكثير من الأوسمة والنياشين. ويعدّ السيد محمدوف نقّاشاً من الطراز الأول، إضافةً إلى أنه لا يزال حتى الآن يتقن تقنية تشغيل المعادن، والحدادة، وصبّ المعادن، وزخرفتها، وحفرها، ويجيد كيفية التعامل مع المينا، وينقش على العظم، ويطعّم المعادن بالذهب والفضة. وقد تم تصدير أكثر من ١٠٠ قطعة من صنعه إلى بروكسل، وأوسلو، وفيينا، وهلسنكي، وبغداد، والقاهرة، وطهران، وهانوي، ونيويورك، وجنوة، ومونتريال، وأوساكا، ومدن أخرى في العالم. تأسر أعمال هذا الفنان المشاهد بقوتها التعبيرية، ونقوشها الجميلة، وتآلف عناصرها، وانسجام أفكارها الفنية، التي كانت سمةً من سمات العصور الوسطى. وقد قُبلت أعمال هذا الفنان بنجاح مع ما توصّلت إليه صناعة المجوهرات في الوقت الراهن. وتوجد لديه أعمال أصيلة تصوّر الطيور وتيوس الجبال والمناظر المعمارية. إنه فنان متواضع جداً، واجتماعي، يذكر معلّميه وأصدقاءه بكثير من العرفان. وقد جمعت الصداقة بين حاجي بحمود محمدوف وفنان مشهور آخر من قرية كوباتشي، هو رسول أليخانوف. وحصل الفنان أليخانوف (١٩٢٢-٢٠٠٠م) على وسام الاستحقاق في الفن الداغستاني، ووسام ريبين في روسيا، وأوسمة وميداليات كثيرة أخرى، وقام بدراسة التراث الثقافي المخطوط القديم بعناية، وكذلك الآثار الحجرية والخشبية والخط العربي؛ لذلك استطاع أن ينقلها ويضمّنها ببراعة في أعماله. لقد أثرى بأعماله المختلفة الفن الكوباتشي من خلال



النقش بالإزميل



أدوات الزينة النسائية والملابس التقليدية للعروس من قرية كوباتشي

إدخاله بعض الزخارف الجديدة: كالبراعم، والبتلات، وأشكال الزهور المتفتحة. ولم يكتف رسول أليخانوف بمواصلة المحافظة على تقاليد الأجداد، بل حاول أيضاً أن ينقلها إلى الأجيال الصاعدة، فألّف وأصدر عدة كُتيّبات تتحدث عن الفن، ونشر كتاباً أخرج بشكل جميل يسمى (فن كوباتشي). واحتفظ هذا الفنان على مدى أربعين عاماً بعلاقات قوية مع معلّمي مدرسة قرية كوباتشي الإنتاجية، التي تدرّس حالياً مقرراً باسم (أسس الفن التطبيقي في كوباتشي)، وتعلّم طلابها الحرف الكوباتشية التقليدية.

يدخل الفنانان حاجي بحمود محمدوف ورسول أليخانوف في عداد كبار الفنانين في روسيا في صناعة الحلي والمجوهرات؛ بسبب محافظتهما في أعمالهما على التقاليد الموغلة في القدم، وابتكارهما أفكاراً عصرية. وتجلب جميع الأعمال الرائعة والفريدة التي أنتجها هذان الفنانان السرور والمتعة لكل من يطّلع عليها، والسبب في ذلك هو إتقانهما الرائع للأساليب القديمة في تشغيل المعادن، وبحثهما المستمر عن الأساليب الجديدة، ولأن أفكارهما أصيلة، ولأنهما يستطيعان تجسيدها في أعمالهما بمهارة فائقة.

المراجع والهوامش

١- محمدوف أ. الحرف اليدوية التقليدية الفنية في داغستان، دار نشر المركز العلمي الداغستاني لدى الأكاديمية الروسية للعلوم، محج قلعة، ١٩٩٩م، ص١٣.
٢- السابق، ص١٣.
٣- السابق، ص١٦.
٤- السابق، ص٤٥.
٥- أستفاتساتوريان ي.غ. دليل أسماء حرفيي السلاح والفضة في القوقاز، موسكو، ١٩٨٢م، ص٢.
٦- ألكسندر ديوما، داغستان، إعداد أ. م. آدجييف، محج قلعة، ١٩٩٥م، ص١١٣.
٧- أليخانوف ر. تحقيقات كوباتشية، مذكرات حرفية فن قرية كوباتشي، إعداد: أ. أ. إيفانوف، لينينغراد (سان بطرسبورغ)، ١٩٧٦م، ص٢٩، ٣٠، معلومات كبير الحرفيين حاجي كيشيف (١٩٠٠-١٩٨٥م).
٨- محمدوف أ. الحرف اليدوية التقليدية الفنية في داغستان، ص٥٠.
٩- حرف ومهن داغستان في العصور القديمة والوسطى، مجموعة مقالات، محج قلعة، ١٩٨٨م، ص٢٦.
١٠- محمدوف أ. الحرف اليدوية التقليدية الفنية في داغستان، ص٥٢.
١١- السابق، ص٥٤.
١٢- كيلتشيفسكايا ي. ف. بعض التفاصيل حول ظهور فن التسويد في القوقاز - القوقاز وأوربا الشرقية في قديم الزمان، موسكو، ١٩٧٣م، ص٢٥٣، ٢٥٤.
١٣- مامايف م. م. زره كران - كوباتشي: نبذة تاريخية وثقافية، محج قلعة، ٢٠٠٥م، ص٣٥.
١٤- السابق، ص٣٦.
١٥- السابق، ص٥١.
١٦- السابق، ص٢٢٧.

الإسلام في اليابان

صالح مهدي السامرائي

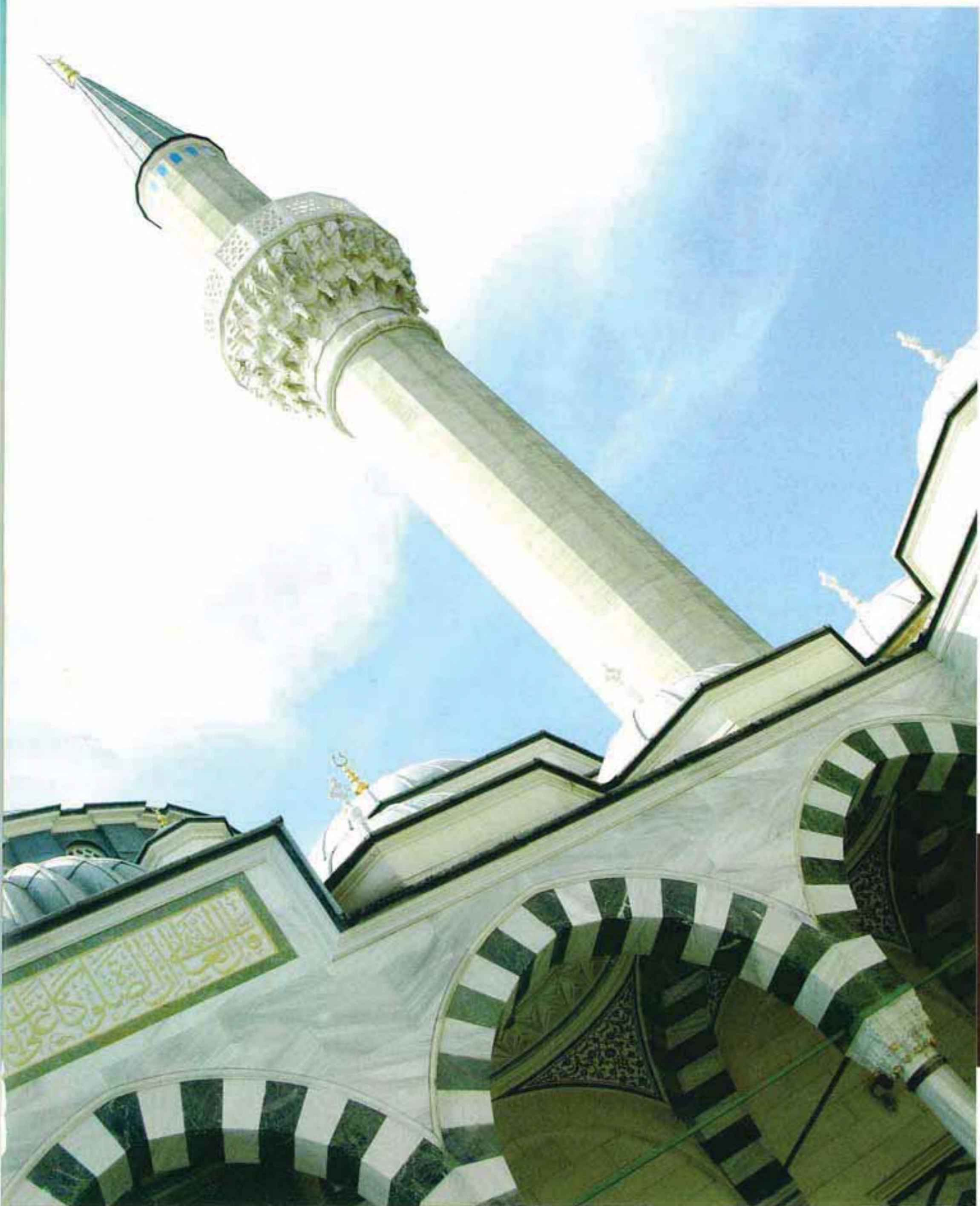
رئيس المركز الاسلامي في اليابان



انبثق نور الإسلام من الجزيرة العربية، وامتدّ شرقاً إلى العراق وإيران وأفغانستان وشبه جزيرة القارة الهندية، ثم ماليزيا وإندونيسيا، حتى الصين والفلبين. واستغرق هذا الانتشار زماناً، وامتدّ مكاناً، وتأخر وصول الإسلام إلى اليابان إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. ويعبّر اليابانيون: مسلمهم وغير مسلمهم، عن أسفهم واستغرابهم من التأخير في الوقت الذي وصل فيه الإسلام إلى الصين والفلبين. وعلى أية حال، وبقدَر من الله - سبحانه وتعالى - حدث الذي حدث، وإنني في هذه المقالة آثرتُ أن أعرض الوجود الإسلامي زمنياً Chronology، وحددت محطات، وأرّخت لكل مدة بما تيسّر من معلومات عاشرت الأربعين سنة الأخيرة منها، وتتبّعت المراحل التي قبلها بالبحث والتنقيب لمدة زادت على الثلاثين سنة، ولا أدّعي الإحاطة، وكل إنسان يرى التاريخ يبدأ من عند نفسه، وحين تتعدّد الكتابات والمصادر فإن الصورة قد تصل إلى ما هو أقرب إلى الكمال. وهأنذا أدلي ببضاعتي معتذراً إن كان لحظ النفس فيها شيء، وهو غير مقصود؛ فتجارة الدنيا تُمحق بركتها إن لم يصاحبها الصدق والإخلاص، فكيف بالتجارة مع الله وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور. وإني أسأل الله العفو والمغفرة، وأرجو من إخواني الصفح.

أسرة يابانية مسلمة أمام مسجد طوكيو المركزي





ازداد اهتمام اليابان بالعالم الإسلامي لأغراض متعددة؛ توسعية، واقتصادية، وثقافية. كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وشكّلت الجمعيات، وأُلّفت الكتب الإسلامية الاستشراقية

مرحلة ١٩٠٠م وما قبلها

في بداية عصر النهضة اليابانية، ويُدعى (عصر ميجي MEIJI)، الذي بدأ عام ١٨٦٨م، كانت هناك دولتان وحيدتان في آسيا، هما اللتان تتمتعان بالاستقلال، وهما: العثمانية، واليابانية، وكانت كلتاهما تواجه ضغوطاً من الدول الغربية، فحرص الجانبان على إقامة علاقات وديّة بينهما، وتمّ تبادل الزيارات، وكانت أهمها البعثة التي أرسلها السلطان عبدالحميد الثاني إلى اليابان على الباخرة (آل طغرل)، وعلى ظهرها أكثر من ستمئة ضابط وجندي عثماني (ترك، وعرب، وألبان، وبوسنيون... إلخ)، يقودهم الأميرال عثمان باشا، وذلك عام ١٨٩٠م، وبعد أن أدّت البعثة مهمتها في اليابان، وقابل رئيسها الإمبراطور، عادت أدراجها، إلا أنها - وهي لا تزال على الشواطئ اليابانية غير بعيد من أوساكا - هبّ عليها إعصار شديد أدّى إلى تحطمها، واستشهد أكثر من خمسمئة وخمسين شخصاً، منهم أخو السلطان وعثمان باشا. هزّت الحادثة الطرفين، ونقل الناجون على باخرتين يابانيتين إلى إسطنبول، ودفن الشهداء عند الموقع، وعمل متحف بجانبهم، ويحتفل اليابانيون والأتراك إلى يومنا هذا كل خمس سنوات بهذا الحادث في الموقع نفسه على رغم تبدّل الحكومات، وهذا دليل على إخلاص اليابانيين في صداقتهم.

بعد سنة من الحادث تصدّى صحفي ياباني شاب (أوشاتارو نودا) لجمع تبرّعات من اليابان لعوائل الشهداء، وذهب إلى إسطنبول عام ١٨٩١م، وسلّم التبرعات إلى السلطات العثمانية، وقابل السلطان عبدالحميد. وفي أثناء إقامته في إسطنبول لقي أول مسلم إنجليزي، وهو (عبدالله غليام)، وهو من مدينة ليفربول، وبعد التحدث معه قبل دين الإسلام، وتسمّى (عبدالحليم) كما تظهر الوثيقة العثمانية المرفقة، ويمكن عدّ (عبدالحليم نودا) أول مسلم ياباني، تبعه بعد ذلك يامادا الذي وصل إلى إسطنبول عام ١٨٩٣م يحمل التبرعات لعوائل الشهداء، وطلب منه السلطان عبدالحميد تدريس اللغة اليابانية للضباط العثمانيين، واتّخذ اسم خليل أو عبدالخليل، فبذا يمكن عدّه ثاني مسلم ياباني.

أما الشخص الثالث، فهو أحمد أريجا Ahmad Ariga، وكان مسيحياً يعمل في التجارة، وزار مدينة بومبي عام ١٩٠٠م، ولفت نظره مسجد فيها، فدخله وأسلم هناك، وعاد داعية،

مسجد طوكيو المركزي



وشارك في إحدى ترجمات القرآن الكريم لليابانية. وفي هذه المرحلة سكن تجار مسلمون من الهند في كل من طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وبهذا يعدّون أول جالية إسلامية تقيم في اليابان.

العقدات الأولات من القرن العشرين (١٩٠١-١٩٢٠م)

زار اليابان في عام ١٩٠٢م مبعوث للسلطان عبدالحميد يُدعى (محمد علي)، وذكرت الوثائق أنه كان يخطّط لإقامة مسجد في يوكوهاما. كما زار اليابان الضابط برتو باشا مبعوث السلطان عبدالحميد لمراقبة الحرب اليابانية الروسية (١٩٠٤-١٩٠٥م)، وأقام سنتين، وقابل الإمبراطور، وألّف كتاباً من جزأين باللغة التركية. وبعد الحرب اليابانية الروسية نشرت أنباء عالمية عن اهتمام اليابان بالإسلام والعالم الإسلامي؛ مما حفز المسلمين في كل مكان إلى القيام بنشر الإسلام في اليابان. فقد ذكر العقاد أن ضباطاً مصريين بهرتهم انتصارات اليابان على روسيا، فتطوعوا في الجيش الياباني، وتزوّجوا يابانيات وأنجبوا، منهم من عاد إلى مصر، ومنهم من بقي. كما زار الداعية الهندي سر فراز حسين اليابان في أواخر عام ١٩٠٥م وأوائل ١٩٠٦م، وألقى محاضرات عن الإسلام في ناغاساكي وطوكيو، وأقيم أول مسجد في أوساكا للأسرى المسلمين الروس بعد الحرب التي ذكرناها، وذلك عام ١٩٠٥م.

كما نشرت الأخبار في العالم الإسلامي أن مؤتمراً يُعقد في طوكيو عام ١٩٠٦م يقارن فيه اليابانيون بين مختلف الأديان لاختيار الدين الصحيح، هكذا وصلت الأخبار المبالغ فيها، فتحمس المسلمون في كل مكان لحضور المؤتمر، وذكر السيد علي أحمد الجرجاوي، وهو محام شرعي أزهري، أنه ذهب إلى حضور المؤتمر، وألّف كتاباً عام ١٩٠٧م سمّاه (الرحلة اليابانية)، ادّعى أنه، ومعه داعية صيني يُدعى سليمان الصيني، وروسي يدعى مخلص محمود، وهندي اسمه حسين عبدالمنعم، كوّنوا جمعية في طوكيو للدعوة الإسلامية، وأسلم على أيديهم اثنا عشر ألف ياباني. وبعد سنتين أو ثلاث زار اليابان عبدالرشيد إبراهيم، وهو رحالة وداعية مسلم من روسيا، واستهجن هذا الادّعاء، واستهجن كذلك ادّعاءَ الجرجاوي الداعيةُ والمفكرُ الهندي محمد بركة الله، الذي أقام في اليابان خمس سنوات ما بين ١٩٠٩ و١٩١٤م، ويجري كاتب هذه السطور منذ بضع سنوات تحقيقاً حول: هل زار الجرجاوي اليابان أو لا؟ ولم يتمكن من الحصول على أي دليل مادي غير الكتاب الذي ألّفه الجرجاوي.

زار السيد جابات أوغلو المملكة، وقابل الملك فيصلاً - رحمه الله - في الطائف في وسط الثلاثينيات، وحدّثه عن مسلمي اليابان، وطلب من المملكة دعمهم

وجاء الداعية عبدالرشيد إبراهيم، الذي سبق ذكره، إلى اليابان عام ١٩٠٩م، وأقام ستة أشهر، قابل فيها رجالات اليابان من الوزراء إلى الفلاحين، وأسلم على يديه نخبة من المفكرين والصحفيين والضباط الشباب. كما زار الصين وكوريا والهند والحجاز، وألف كتاباً من ألف صفحة باللغة العثمانية أشرف كاتب هذه السطور على ترجمته ومراجعته، وسيصدر قريباً إن شاء الله.

وعبدالرشيد رحالة، وداعية، وسياسي، وأديب، وعالم، قال عن كتابه عبدالوهاب عزام: إنه أهم من كتاب ابن بطوطة، كما روى ذلك الدكتور محمد رجب البيومي في مقالة له في مجلة الأزهر. كما زار اليابان محمد بركة الله من بهوبال في الهند، وهو أول من علّم الأردية في جامعة اللغات الأجنبية في طوكيو، وأصدر مدة ثلاث سنوات مجلة (الأخوة الإسلامية ISLAMIC FRATERNITY) ما بين عامي ١٩١٠ و١٩١٢م، وأسلم على يديه عدد من اليابانيين، ولم أحصل إلا على عددين من مجلته، ولا أزال أفتش عنها؛ لأنها تحمل براعم انتشار الإسلام في اليابان. ومن الضباط الذين ذكرهم العقاد أخبرت عن أحمد فضلي، الذي أقام في اليابان وتزوج يابانية عام ١٩٠٨م، ولقي عبدالرشيد إبراهيم وتعاون معه، كما تعاون مع بركة الله ستة أشهر في إصدار المجلة ثم تركه، وألف فضلي كتاب (سر تقدّم اليابان) عام ١٩١١م بالعربية، كما ترجم من اليابانية كتاب (النفس اليابانية)، الذي يوضّح الشخصية اليابانية، وزار جامعة واسيدا بصحبة عبدالرشيد، وترجم له محاضرة عن الإسلام بالجامعة لثلاث ساعات. وذكر عبدالرشيد أن في جامعة واسيدا نحو ألف صيني، من بينهم تسعة وثلاثون مسلمون، وهم الذين أصدروا صحيفة إسلامية باللغة الصينية

عنوانها: (الاستيقاظ الإسلامي). هكذا كتبوا العنوان بالعربية.

كما أصدر حسن هاتانو، الذي أسلم على يدي بركة الله، مجلةً شهريةً مصوّرة باللغة الإنجليزية، سمّاها أيضاً (الأخوة الإسلامية)، واسمها بالإنجليزية Islamic Brotherhood، ولم أعثر على أيّ عدد منها حتى الآن، وذلك في عام ١٩١٨م. كما أصدر في عام ١٩١١م مجلة Islam باليابانية والإنجليزية، ولم أعثر حتى الآن على أيّ عدد منها. وأدى الحج أول ياباني عام ١٩٠٩م، وهو عمر ياما أوكا، الذي صاحب عبدالرشيد إبراهيم إلى الديار المقدسة، ثم إلى إسطنبول. ونشرت مجلة (العالم الإسلامي) بالفرنسية عام ١٩١١م خبراً عن إسلام شخصين يابانيين مقيمين في الصين، وعزمهما على نشر الإسلام في اليابان بعد عودتهما إلى بلدهما.

العشرينيات (١٩٢١-١٩٣٠م)

ازداد اهتمام اليابان بالعالم الإسلامي لأغراض متعددة: توسعية، واقتصادية، وثقافية. كما تمت ترجمات لمعاني القرآن الكريم، وشكّلت الجمعيات، وألّفت الكتب الإسلامية الاستشراقية.

وبدأ المهاجرون من المسلمين التتار يفدون إلى اليابان فراراً من الحكم الشيوعي في روسيا، واستقر أكثرهم في طوكيو وناغويا وكوبي. كما أدى ثاني مسلم ياباني فريضة الحج، وهو نور أبي تاناكا IPPEI TANAKA، الذي أسلم في الصين. كما أسلم في الصين عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم. وزار عمر ياما أوكا مصر، وذهب إلى الأزهر عام ١٩٢٤م، وله صورة تذكارية بالزي الأزهري يعلو وجهه النور وكأنه أحد علماء إندونيسيا أو ماليزيا.

الثلاثينيات (١٩٣١-١٩٤٠م)

برز اسم (عبدالحي قربان علي) كزعيم ديني للمسلمين التتار، وأصدر مجلة باللغة التتارية (جابان مخبري) توزّع في داخل اليابان وخارجه، وأنشأ مطبعة بالحروف العربية طبع فيها الكتب الإسلامية باللغة التتارية، وطبع القرآن الكريم الذي كان قد طبع في مدينة قازان قبل الحكم الشيوعي، وقوّى علاقاته بالسلطات اليابانية؛ مما دفعها إلى مساعدة المسلمين في بناء أول مسجد في طوكيو عام ١٩٣٨م، وحضر افتتاحه حافظ وهبة سفير المملكة في لندن مندوباً عن الملك عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله، وحضر سيف الإسلام الحسين من اليمن، ومحمود فوزي قنصل مصر في اليابان الذي أصبح فيما بعد وزيراً للخارجية ونائباً لرئيس الجمهورية. ولدى كاتب هذه السطور الكلمات التي ألقيت، وترجمتها، والصور التي أخذت في المناسبة.

عاد ثانيةً إلى اليابان عام ١٩٣٣م الداعية عبدالرشيد إبراهيم، وتعاون مع قربان علي في قيادة الجالية الإسلامية؛ إذ أصبح الضباط الشباب الذين أسلموا على يديه في زيارته الأولى هم الذين يتولون سياسة البلد.

كما جاءت شخصية هندية لامعة لليابان، وهو (نور الحسن برلاس)، الذي تولى كرسي اللغة الأردية في جامعة اللغات الأجنبية منذ عام ١٩٣٢ إلى عام ١٩٤٩م، وكان له نشاط مع المسلمين، وكتب كثيراً عن الإسلام في اليابان باللغة الأردية ترجمها كاتب هذه السطور إلى العربية، وقابلت ابنه في كراتشي عام ١٩٩٧م، وأحفاده في كراتشي وإسلام آباد والرياض.

وزار اليابان كذلك الداعية العالم الهندي (عليم الله صديقي)، وألقى محاضرات عن الإسلام في طوكيو، وهو من أوائل الرحّالين والدعاة العالميين الذين أنشؤوا مراكز، وزاروا أقطار الدنيا، وترك أثراً في كل بلد. وعندي خطابه الذي ألقاه في فندق الأوريون في جينزا GINZA بقلب طوكيو عام ١٩٣٦م عن مكانة المرأة في الإسلام. وقد أسّس في هذه المدة مسجد كوبي عام ١٩٣٥م المسلمون الهنود، وساهم فيروز بأكبر قسط من المال. وقابلت ابنه في دلهي عام ١٩٩٥م، وقبّلت رأسه احتراماً لوالده. كما بنى المسلمون التتار مسجداً في مدينة ناجويا في المدة نفسها. واهتمت اليابان بتركستان الشرقية (التي هي جزء من الصين). واستدعت زعماء المسلمين هناك والطلبة إلى اليابان. ومنهم أمين إسلامي الذي أصبح إماماً لمسجد طوكيو من عام ١٩٣٨ إلى ١٩٥٣م. وهاجر بعدها إلى المملكة في الطائف، ثم جدة، وعمل في الإذاعة ووزارة الحج، وأبناؤه في جدة.

كما برز في هذه المدة وأسلم مصطفى كوموزا، وكان له دور مع

بدأت طلائع جماعة الدعوة والتبليغ ترد اليابان من باكستان بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٠م، فأول بعثة لهم كانت عام ١٩٥٦م

مسلمي تركستان الشرقية ويوننان في الصين. وبعد الحرب شكّل جمعيتين إسلاميتين معترف بهما رسمياً، وبهذا يعدّ أول اليابانيين المسلمين وأفضلهم في التسجيل الرسمي الذي يعدّ أصعب شيء في اليابان. وأرسل عشرات الطلبة إلى باكستان وماليزيا ثم المملكة. وشارك عمر ميتا في ترجمة معاني القرآن الكريم في مكة المكرمة، وألّف موسوعة ضخمة عن تاريخ الإسلام في اليابان باللغة اليابانية ترجمناها إلى الإنجليزية، وهي قيد الإعداد للطبع.

وفي هذه المدة بدأ سيل من المسلمين اليابانيين بالذهاب إلى أداء فريضة الحج في سنوات متتالية، حظي أبرزهم صالح سوزوكي بمقابلة المغفور له الملك عبدالعزيز آل سعود؛ إذ كان يعطي اهتماماً كبيراً للحجاج اليابانيين. كما روى لي السيد العامودي، الذي كان يعمل في رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، أن السيد جابان أوغلو، وهو عديل للسيد قربان علي، زار المملكة، وقابل الملك فيصلاً - رحمه الله - في الطائف في وسط الثلاثينيات، وحدّثه عن مسلمي اليابان، وطلب من المملكة دعمهم.

وجاء إلى اليابان التاجر اللبناني الأديب عبدالرحمن قليلات قادماً من البرازيل ومعه عائلته، وله إسهامات مع المسلمين في اليابان. كما سكنت اليابان عائلة الدبس، وكبيرهم عبدالهادي الدبس، وهم تجار كبار من سورية، وابن عمه السيد فؤاد الدبس - متّعه الله بكامل الصحة والعافية - الذي يقيم في كوبي، وله ولآل الدبس أيادٍ بيضاء في دعم الوجود الإسلامي في اليابان.

الأربعينيات (١٩٤١-١٩٥٠)

وصل اليابان عام ١٩٤١م الشيخ عبدالله طوغاي مبعوث الأزهر إلى اليابان، وبقي ستة أشهر فقط، ثم عاد إلى مصر بسبب انضمام مصر إلى الحلفاء ضد المحور في أثناء الحرب العالمية الثانية، وتعلّم العربية عليه الأستاذ عمر هاياشي. ومع عبدالله طوغاي وجد في اليابان محمد كامل طبارة تاجر الأسهم اللبناني، وهو الذي فكّ الرموز والكتابات التي تمتلكها قبائل العينو، وهم سكان اليابان الأصليون. إن هذه الكتابات عجز عن فكّها فطاحلة علوم الألسن والأجناس اليابانيون. وأعلن طبارة ترجمتها في مؤتمر صحفي كبير في طوكيو عقد في حينه. اطّلعنا عليه في الوثائق التي وجدناها.

دخلت اليابان الحرب، واحتلت أجزاء من آسيا، واحتك اليابانيون بمسلمي الصين وماليزيا وإندونيسيا والفلبين وبورما، وظهرت أسماء: (عمر يوكيبا) - متّعه الله بوافر الصحة والعافية - الذي أسلم في ماليزيا، وعبدالمنير واطانابا الذي أسلم في إندونيسيا، وصادق إيمازومي، وفاروق ناغاسي، وسودا، وماتسوباياشي، وغيرهم.

وقد توفي في هذه المدة عبدالرشيد إبراهيم رائد الدعوة الإسلامية في اليابان عام ١٩٤٤م، وهو دفين مقبرة المسلمين في (مقبرة تاما) بضواحي طوكيو. كما خسرت اليابان الحرب، وعاد ثلاثة ملايين ياباني، من بينهم الذين أسلموا في آسيا. ورجع نور الحسن برلاس عام ١٩٤٩م، وباع طوابع قديمة ليقطع تذكرةً له ولزوجته ليعودا إلى باكستان، وقابلت ابنه عام ١٩٩٧م - كما قلت - في كراتشي، ويبلغ من العمر ٨٢ عاماً، وكان قد درس في يوكوهاما.

الخمسينيات (١٩٥١-١٩٦٠م)

اجتمع المسلمون اليابانيون: عمر ميتا، وصادق إيمازومي، وعبدالمنير واطانابا، وعمر يوكيبا، وعمر ياما أوكا، ومصطفى كومورا.. إلخ، وشكّلوا أول جمعية للمسلمين اليابانيين عام ١٩٥٣م.

وبدأت طلائع جماعة الدعوة والتبليغ ترد اليابان من باكستان ما بين عامي ١٩٥٦ و١٩٦٠م، فأول بعثة لهم كانت عام ١٩٥٦م (بقي شبير أحمد الوحيد من بينهم على قيد الحياة، وقابلته قبل بضعة شهور في رايوند بلاهور). لقد زاروا اليابان أربع مرات، ورافقتهم في المرة الرابعة عام ١٩٦٠م، وأحيوا المسلمين القدماء بروح الدعوة (عمر ميتا، ومصطفى كومورا)، وأدخلوا جدداً في الإسلام: عبدالكريم سايتو رحمه الله، وخالد كيبا، متّعه الله بالصحة، والدكتور عمر كاواباتا، وزكريا ناكاياما، وعلي موري، وأمين ياماموتو (والأربعة الآخرون - رحمهم الله - من أكبر الدعاة إلى الله في جزيرة شكوكو رابع جزيرة في اليابان، وهم من جماعة خالد كيبا). كما أسلم على يدي صادق إيمازومي كل من: رمضان إيسوزاكي، وزبير سوزوكي.

زار الملك فيصل بن عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - اليابان عام ١٩٧٠م، والتقى وفداً من المسلمين في اليابان، ومعهم وفد من مسلمي كوريا



مسجد كوبي (Kobe) أسس عام ١٩٣٥ م





أبو الحسن الندوي حينما قابلته في زيارة له إلى باكستان حيث كنت أدرِّس الزراعة في لائلبور (فيصل آباد). وبعد عودة عبدالرشيد من اليابان لقيته في رايوند قرب لاهور في نوفمبر عام ١٩٥٩م في اجتماع التبليغ السنوي، فكان يشجعني على الذهاب إلى اليابان ويقول: اليابان كالبستان الزاهر، مملوء بالفاكهة اليانعة، تدخله وتجمع الثمار بكل سهولة، وإن من بين الذين يسلمون من هم أشبه بالصحابة.

أشرف عبدالرشيد أرشد في أوائل الستينيات على مدّ الخطوط الهاتفية بين مكة والمدينة، وأخبرته - وأنا في اليابان في عام ١٩٦١م - أن عمر ميتا بدأ يترجم معاني القرآن الكريم، إذ كنت أسكن مع عمر ميتا في غرفة واحدة لمدة سنة تقريباً، فاتصل وهو مقيم في مكة المكرمة بالرابطة عند أول تأسيسها، فاستدعت عمر ميتا، وبعدها مصطفى كومورا، وترجم ثلاثتهم معاً معاني القرآن الكريم إلى اليابانية. وتوفي عبدالرشيد في حادث سيارة بين المدينة ومكة عام ١٩٦٤م أو أوائل عام ١٩٦٥م، وكان معه مصطفى كومورا وعمر ميتا، فنجّاهما الله ليتمّا نشر ترجمة معاني القرآن الكريم.

وممن أسلم في هذه المدة عملاق ياباني آخر، ورائد كبير في مسيرة الدعوة الإسلامية في اليابان، وهو البروفيسور عبدالكريم

سايتو، الذي أسلم على أيدي أهل التبليغ، وعمل أستاذاً في جامعة تاكشوكو Takushoku، وأسلم على يديه عشرات من الشباب اليابانيين، أرسلناهم معاً في الستينيات إلى الأزهر، وفي السبعينيات إلى المملكة العربية السعودية، وهم الآن يتولون تعليم اللغة العربية في الجامعات اليابانية، والعمل في كبرى الشركات، ومنهم من يتولى إدارة جمعية مسلمي اليابان الآن: مثل الأستاذ خالد هيكوجي Higuch رئيس الجمعية، والأستاذ أمين توكوماتسو، والأستاذ يحيى إيندو.

الستينيات (١٩٦١-١٩٧٠م)

وصل إلى اليابان الطلاب المسلمون الأجانب: باكستانيون، وعرب (ومنهم كاتب هذه السطور)، وأتراك، وأعداد كبيرة من إندونيسيا، وشكّلنا أول جمعية للطلبة المسلمين في اليابان في أوائل عام ١٩٦١م، ومن إدارتها: د. زحل من إندونيسيا (الآن بروفيسور في جامعة جاكرتا الوطنية، ووزير سابق، وجمع لنا مبلغاً مناسباً للمساعدة على إعادة بناء مسجد طوكيو المركزي)، ومظفر أوزي (تركي)، وأحمد سوزوكي (ياباني أزهري يمثّل الجيل الثاني: لأن والده مسلم، وخاله مسلم)، وعبدالرحمن صديقي (باكستاني)، وصالح السامرائي (عربي).

وشكل الطلبة المسلمون مجلساً مشتركاً للدعوة مع جمعية مسلمي اليابان (عمر ميتا، وعبدالمنير واطانابا، وعبدالكريم سايتو) من الجانب الياباني، و(عبدالرحمن صديقي، ومظفر أوزي، وصالح السامرائي من جانب الطلبة).

ومن الأنشطة التي قام بها المجلس: إصدار كتيّبات عن الإسلام من تأليف عمر ميتا، وترجمة كتاب (ما هو الإسلام؟) للمودودي ونشره، ومساعدة الأخ فاروق ناغاسي على إصدار صحيفة صوت الإسلام في اليابان، وإرسال الشباب اليابانيين للدراسة في الأزهر، وعمل دورات مكثفة لهم قبل إرسالهم، وتولّي شؤون الدعوة في أنحاء اليابان بعد انقطاع أهل التبليغ، وشراء أول مقبرة للمسلمين في إينزان بتبرّع من المملكة العربية السعودية والكويت ومن خالص أموال عبدالكريم سايتو (سجلت المقبرة فيما بعد باسم جمعية مسلمي اليابان، وعلى أساسها حصلت الجمعية على التسجيل الرسمي في محافظة ياماناشي المجاورة لطوكيو)، وتمّ تقديم البروفيسور عبدالكريم سايتو إلى العالم الإسلامي، وقد زار سايتو

رعى الملك فيصل - رحمه الله - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اليابانية التي قام بها عمر ميتا، ورصد الأموال في سفارة المملكة بطوكيو لتُصرف كلما نفدت الطبعة

في البداية العراق، ثم مصر، ثم المملكة العربية السعودية، ثم زار بعدها كثيراً من البلدان الإسلامية، وفتح أول مركز إسلامي في طوكوشيما بجزيرة شكوكو عام ١٩٦٥م، ولكنه لم يستمر إلا سنة واحدة، وفتح أول مركز إسلامي في طوكيو عام ١٩٦٥م بدعم من أول سفير لدولة الكويت الشقيقة الأستاذ الصنيع، وعلمت أنه ذهب إلى ربه، رحمه الله رحمة واسعة، واستمر المركز سنة تقريباً وأغلق؛ لأن السفير انتقل من اليابان وانقطع الدعم.

وكان الأستاذ المنقور سفير المملكة العربية السعودية في طوكيو، ومعه الأستاذ محمد بشير كردي، متّعهما الله بوافر الصحة والعافية، والأستاذ صلاح الحسيني - رحمه الله، وهو نجل حاج أمين الحسيني مفتي فلسطين - في سفارة المملكة بطوكيو يدعمون نشاطنا، وكان الأستاذ المنقور يدفع لنا في كل مناسبة مبلغاً مناسباً للقيام بالأنشطة المختلفة.

وكان للإخوة الإندونيسيين مقرّ ضخم في قلب طوكيو قرب مسجدها المركزي، كنا نحيي فيه المناسبات الإسلامية، خصوصاً عيد الفطر المبارك، فكانوا يقيمون حفلة ضخمة فيها لذيذ الطعام، يسمونها (الحلال بالحلال)، يأتيها المسلمون وكبار المسؤولين اليابانيين، حتى أعضاء البرلمان، وكانت تظاهرة إسلامية كبيرة.

وفي الثلث الأخير من هذه المدة، وبعد أن عاد أكثر الطلبة إلى بلدانهم، وقلّ نشاطهم: جاء إلى اليابان عملاق آخر، وداعية قلّ نظيره، هو (سيد جميل) المحاسب القانوني الأول في حكومة باكستان Chief Accountant، ورئيس جمعية تحفيظ القرآن الكريم بكراجي، فتابع ما بدأ به الآخرون ووسّع، كما نشر بعض الرسائل باللغة اليابانية، وشمل نشاطه كوريا أيضاً، كما جاء إلى اليابان أستاذ مصري قدير، هو علي حسن السمني، فعلّم اللغة العربية في جامعة اللغات الأجنبية والمعاهد اليابانية الأخرى من

أكبر تطوّر في تاريخ الوجود الإسلامي في اليابان بدأ من أواسط الثمانينيات حتى بداية القرن الجديد، ألا وهو هجرة أعداد كبيرة من المسلمين إلى اليابان بعد أول هجرة للمسلمين التتار

عام ١٩٦٣م إلى عام ١٩٧٨م، وتخرّج عليه المئات من اليابانيين، وراجعه كبار الأساتذة واستفادوا منه، وأنعم عليه إمبراطور اليابان السابق بوسام رفيع؛ تقديراً لخدماته في حقل الثقافة العربية الإسلامية. وكان يجلس في السبعينيات في مسجد طوكيو بعد عصر كل يوم أحد ومعه عبدالكريم سايتو وكاتب هذه السطور؛ لاستقبال من يسأل عن الإسلام من اليابانيين. كما لا ننسى إمامي المسجد المركزي في طوكيو: مفتاح الدين، وعينان صفا، تغمدهما الله برحمته، وكذلك السيد كلكي إمام مسجد كوبي رحمه الله، وهم من التتار المهاجرين، وقدّموا خدمات جُلّى للجالية الإسلامية.

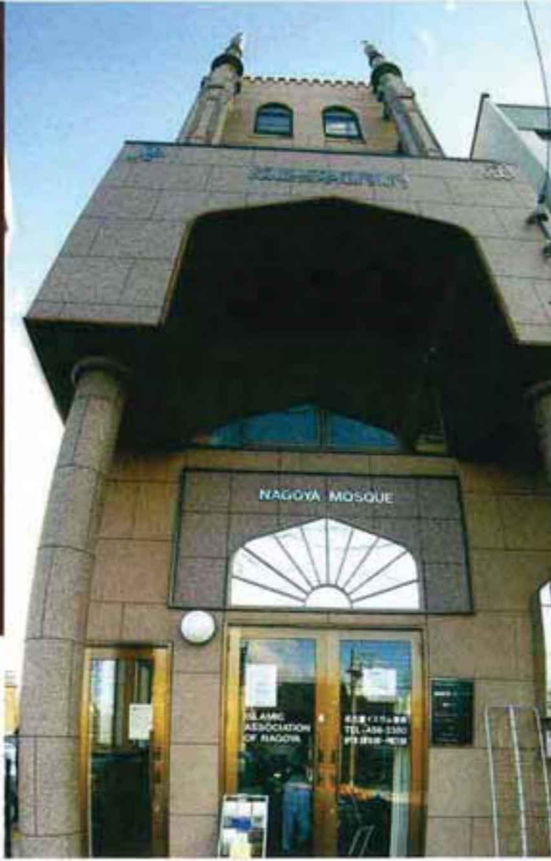
ونودّ أن نؤكد أنه في هذه المرحلة كان الدعم المادي الرئيس للأنشطة العامة التي يقوم بها المجلس الإسلامي المشترك من دولة الكويت الشقيقة، وكان الواسطة في ذلك الأستاذ عبدالله العقيل وعبدالرحمن الدوسري، وكانا يجمعان لنا التبرّعات من أهل الخير، وعلى رأسهم عبدالرزاق الصالح المطوع القناعي، والشيخ عبدالله العلي المطوع، وغيرهما، فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

في السبعينيات (١٩٧١–١٩٨٠م)

في عام ١٩٧٠م زار الملك فيصل بن عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - اليابان، والتقى وفداً من المسلمين في اليابان، ومعهم وفد من مسلمي كوريا، وتقدم الدكتور عبدالباسط السباعي - رئيس جمعية الطلبة المسلمين في اليابان في ذلك الحين - بطلب إلى الملك فيصل يرجوه فيه ابتعاث الدكتور صالح السامرائي - الأستاذ بجامعة الرياض - ليساعد في الدعوة الإسلامية في اليابان، فاستجاب - رحمه الله - لهذا الطلب في عام ١٩٧٣م، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء. ورعى الملك فيصل - رحمه الله - ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اليابانية التي قام بها عمر ميتا، ورصد الأموال في سفارة المملكة بطوكيو لتُصرف كلما نفدت الطبعة، وذكر عمر ميتا في المقدمة أن السيد أحمد سوزوكي والدكتور صالح السامرائي ساعداه على المراجعة الأخيرة بالرياض صيف عام ١٩٧٠م.

وفي عام ١٩٧٣م أرسل الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - كاتب هذه السطور للدعوة الإسلامية في اليابان، ومعه ستة آخرون: خالد كيبا (ياباني)، وأسعد قربان علي (ابن مؤسّس مسجد طوكيو عبدالحي قربان علي)، وعبدالباسط السباعي (مصري)، وعلي الزعبي (سوري)، وعبدالرحمن صديقي (باكستاني)، وموسى محمد عمر (سوداني)، وهم ممن درّس في جامعات اليابان، ولهم سابقة بالعمل الإسلامي فيها. وأسّس هذا الفريق أول مركز إسلامي متكامل في اليابان بالتعاون مع آخرين يابانيين ومقيمين، من أمثال: عمر ميتا مترجم معاني القرآن الكريم إلى اليابانية، وعبدالكريم سايتو، ومصطفى كومورا، وتميم دار محيط، وعبدالمنير واطانابا، وعمر دراز خان، وعلي حسن السمني، ومطلوب علي، وعينان صفا. ولا ننسى دور الشيخ حسن ابن عبدالله آل الشيخ رحمه الله، فقد كان الساعد الأيمن للمرحوم الملك فيصل في هذا الأمر، ووالى دعم نشاط المركز الإسلامي والدعوة الإسلامية في اليابان، وكذلك جهود الشيخ عبدالعزيز ابن باز، فهذان الرجلان عملاقان في الدعوة الإسلامية، وقلّ من يدانيهما في هذا المستوى، فعليهم من الله الرحمة، وأجزل الأجر لهما ولكل من يعمل للإسلام.

جاء تشكيل المركز في حقبة مهمة مرّت بها اليابان، وهي أزمة البترول عام ١٩٧٣م وما بعدها، فبدأ اليابانيون يهتمون بالإسلام؛ لأن أكثر الدول المصدرة للبترول - إن لم تكن جميعها - هي دول إسلامية. وكان تأسيس هذا المركز تحقيقاً لحلم كل من اهتم بالدعوة الإسلامية في اليابان منذ مئة عام. فكل من قرأنا كتاباتهم من الذين زاروا اليابان وعملوا في الدعوة، من أمثال: عبدالرشيد إبراهيم، وبركة الله، ونور الحسن برلاس، وغيرهم، كانوا يتمنون إقامة مركز إسلامي يقوم بالدعوة، ويعمل به يابانيون ومن لهم معرفة باللغة اليابانية، ويصدر كتباً باللغة اليابانية، ويقدم الإسلام إلى الشعب الياباني. وبدأ يفد إلى المركز الإسلامي في هذه المدة الآحاد والعشرات، بل المئات، من اليابانيين، فدخلوا في الإسلام







مسجد ناجويا (Nagoya)

في عام ١٩٨٦م هدم مسجد طوكيو وسط دموع المسلمين، وكان الهدف هو إعادة بنائه في الموقع نفسه. إلا أن صعوبات جمّة وعراقيل وضعت أمام ذلك

أفواجاً. وقام المركز بإصدار أعداد كبيرة من الكتب والكتيبات عن الإسلام باللغة اليابانية، وأصدر مجلة السلام باللغة اليابانية، وغطى البلاد من أقصى الشمال إلى الجنوب بالنشاط الدعوي، ووصل الإسلام أول مرة إلى جزيرة هوكايدو في أقصى الشمال، وفتح فروعاً في عدة مدن، وأرسل الطلبة إلى المملكة العربية السعودية ومصر للدراسات الإسلامية، وأسّس أول مجلس للتنسيق بين الجمعيات الإسلامية، وكان عددها حينذاك (عام ١٩٧٦م) اثنتي عشرة جمعية، تضم التجمعات الإسلامية اليابانية في عدة مدن، والجالية الإندونيسية، وجمعية الطلبة المسلمين. كما عُقدت في عام ١٩٧٧ أول ندوة عن الشريعة الإسلامية، أقامها المركز بالتعاون مع رابطة العالم الإسلامي وجامعة شو أو CHUO، وكان محرّكها الأستاذ خالد كيبا، وحضرها عم الإمبراطور الحالي، وأعضاء المحكمة العليا، وثلاثمئة من أئمة القانون في اليابان، وحضرها محمد علي الحركان - الأمين العام الرابطة العالم الإسلامي -

واستمرت ثلاثة أيام، ونُشرت وقائعها باللغات العربية واليابانية والإنجليزية. وكان من نتيجة هذه الندوة أن شهدت اليابان دراسات عن الشريعة الإسلامية مازالت مستمرة حتى يومنا هذا. كما عُقدت ندوات ثقافية في طوكيو والمدن الأخرى حضرها الآلاف برعاية كبريات الصحف اليابانية بالتعاون بين المركز الإسلامي وجامعة الرياض، وحضرها الدكتور عبدالعزيز الفدا، والدكتور توفيق الشاوي، متّعهما الله بالصحة والعافية. كما نظّم المركز رحلات إلى الحج، أولها عام ١٩٧٦م، واستمرت سنوياً بدعم سخي من سمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود نائب وزير الداخلية، واستضافة كريمة من رابطة العالم الإسلامي. كما أشرف المركز على أكبر بعثة حج لثلاثة وأربعين مسلماً ومسلمة يابانيين، قاموا بها بخالص أموالهم، بقيادة الداعية الياباني الحاج محمد ساوادا، وأرسل المركز معهم الأستاذ نعمة الله، والأستاذ عبدالرحمن صديقي. كما شارك في إعداد أكبر تجمّع آخر للحج بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين في حج سنة ١٤٢٠هـ. وكانت آخر بعثة حج نظمها المركز سنة ١٤٢١هـ بدعم سخي واستضافة كاملة من سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود، فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأخلف عليهم بالخير.

وفي زيارة للمركز قام بها معالي الشيخ حسن آل الشيخ عام ١٩٧٥م طلب المركز من معاليه إقامة معهد عربي إسلامي في طوكيو يكون مرجعية إسلامية في اليابان، ويعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية للشعب الياباني، فأحال الأمر إلى جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وتولى معالي الدكتور عبدالله ابن عبدالمحسن التركي - حفظه الله - المهمة، فأنشأ هذا الصرح الشامخ، ونهل آلاف اليابانيين منه الثقافة الإسلامية واللغة العربية، وأسلم كثير منهم. كما تنازل سمو الأمير سعود الفيصل عن مقرّ سفارة خادم الحرمين الشريفين في طوكيو وأرضها ليُبنى عليها هذا الصرح الذي نحتفل بافتتاحه، ودعم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - البناء الحالي بعشرة ملايين دولار، وجهّزه وموّل تسييره بأكثر من مليون دولار. وإنني هنا أقف موقف المؤرّخ وليس المادح، أرصد الحقائق من أجل أن يدعو المسلمون في كل مكان، وعلى مرّ الأجيال، للعاملين في حقل الدعوة الإسلامية في اليابان والداعمين لها.

وكنا نعدّ المسلمين اليابانيين قبل هذه المدة بين ألف وثلاثة آلاف، فبدأنا فيها نعدّ المسلمين بعشرات الآلاف، وانتشر الوعي الإسلامي لدى الشعب الياباني، فبعد أن كان الدين الإسلامي يُدعى كاي كيو KaiKyo أصبح يدعى إسرام Isram؛ لعدم وجود حرف اللام في اللغة اليابانية، فيستبدلون بها الراء.

وفي آخر هذه المدة، رجع الداعية سيد جميل ثانيةً إلى اليابان، وأدّى آخر أعماله الجليلة في المنطقة، ورافقه فيها عملاق آخر، هو الشيخ نعمة الله الذي لا يزال في قمة النشاط الدعوي في اليابان حتى يومنا هذا.

كان الدعم الرئيس المادي والأدبي والثقافي للأنشطة الإسلامية في اليابان خلال هذه المرحلة والمراحل التي بعدها يأتي أولاً من المملكة العربية السعودية حكومةً وشعباً، ومن رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة. كما كان الدعم يأتي من قطر، والإمارات العربية المتحدة، والكويت، وسلطنة عُمان، وكذلك من جمهورية مصر العربية، ممثلةً في أزهرها العتيد، وليبيا بالدعاة الذين أرسلتهم. وهنا نذكر الأستاذ حمد الهاجري أول سفير لدولة قطر الشقيقة في اليابان الذي قدّم لنا أول دعم مادي في أول مرحلة من تأسيس المركز، والشيخ عبدالله الأنصاري - رئيس المحاكم الشرعية في قطر - وكذلك عبدالعزيز المبارك - رئيس المحاكم الشرعية في الإمارات العربية المتحدة - وعبدالله المحمود في الشارقة؛ لدعمهم الأنشطة الإسلامية في اليابان.

الثمانينيات والتسعينيات حتى بداية القرن الجديد (١٩٨١-٢٠٠١م)

في أوائل الثمانينيات تبرّع الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود - رحمه الله - بأرض من أجل إقامة مقر شامخ للمركز الإسلامي، ورعى الأميران الكريمان نايف بن عبدالعزيز وأحمد بن عبدالعزيز تشييد البناء، وبذلك أصبح المركز الإسلامي معلماً إسلامياً يقصده الأساتذة والطلبة والصحفيون والإعلاميون وعامة الناس، منهم من يعلن إسلامه، ومنهم من يستعلم عن الإسلام، ولا يزال هذا المقر يؤدي دوره بتطور وتحسّن مستمرين. وقد زار المركز سمو الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٨٥م، وسمو الأمير أحمد بن عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٨٦م، وقدّما الدعم المادي

والأدبي لأنشطته، فجزاهما الله كل الخير.

إن أكبر تطوّر في تاريخ الوجود الإسلامي في اليابان بدأ من أواسط الثمانينيات حتى بداية القرن الجديد، ألا وهو هجرة أعداد كبيرة من المسلمين إلى اليابان بعد أول هجرة للمسلمين التتار، وكان أكثرهم من إندونيسيا، وباكستان، وبنغلادش، والهند، وسريلانكا، وإيران، وأفغانستان، ثم من الأفارقة والأتراك، ويليهم العرب. لقد جاء الجميع إلى اليابان طلباً للرزق، فتزوّجوا اليابانيات بعد إسلامهن، وحصلوا على الإقامة الدائمة، ومنهم من حصل على الجنسية، وأبناؤهم يابانيون بالولادة، فأبناء اليابانية هم يابانيون. لقد بنى هؤلاء المساجد والمصليات، وأقاموا محلات بيع المواد الغذائية الحلال، وفتحوا مطاعم الحلال، وعمروا المساجد بالصلاة، وأصبحت مقرّاتهم ومساجدهم محلات لقاء وتربية للمسلمين الجدد من اليابانيين.

وفي عام ١٩٨٦م هدم مسجد طوكيو وسط دموع المسلمين، وكان الهدف هو إعادة بنائه في الموقع نفسه، إلا أن صعوبات جمّة وعراقيل وضعت أمام ذلك، وبعد جهود متواصلة من المركز الإسلامي والمحبّين للإسلام في داخل تركيا الشقيقة وخارجها أعيد بناء المسجد في منتصف عام ٢٠٠٠م صرحاً شامخاً جميلاً على الطراز العثماني، وأصبح مقصداً لجميع اليابانيين؛ يزورونه ويتعرّفون الإسلام بواسطته، وقد أشرفت رئاسة الشؤون الدينية في تركيا على البناء تقريباً، وقام المسلمون في اليابان وخارجها بجمع نحو ثلث كلفة البناء، وتولّى مركزنا الإسلامي جمع أكثرها، وتتولى رئاسة الشؤون الدينية مأجورةً إدارة المسجد إماماً ومؤذناً وإدامةً. كما تمّ بناء ملحق بمسجد كوبي العريق يتّخذ مركزاً إسلامياً ثقافياً في جنوب غرب اليابان، وتولى أكثر الصرف على بنائه عائلة الدبس، وممثلهم في كوبي الأستاذ فؤاد الدبس، وهو صرح إسلامي آخر في ذلك الجزء من اليابان يؤدّي دوره الإسلامي بكل كفاءة.

وفي ناغويا تم بناء مسجد جميل عوّض الله به المسجد القديم الذي دمّرته قنابل الحرب العالمية الثانية، وتولى تأسيسه التاجر الباكستاني المفضال الأستاذ عبدالوهاب قريشي، وافتتحه معالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد - رئيس إدارة الحرمين الشريفين - وأصبح هذا المسجد ملتقى لمسلمي المنطقة - على سعتها - للعبادة والتعلم، وأقام هذا الأخ مدرسةً قريبةً منه لتعليم

حصيلة الوجود الإسلامي للمسلمين اليابانيين حتى عام ١٩٥٣م هي جمعية مسلمي اليابان، وهي أول جمعية إسلامية خالصة أسّسها مسلمو ما قبل الحرب العالمية الثانية

أولاد المسلمين، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

أما الإخوة الباكستانيون والبنغلادشيون والأفارقة، فمساجدهم لا تعدّ ولا تحصى، فهناك مسجد إيجي تيواري الذي بناه أهل التبليغ، وسلسلة مساجدهم الأخرى، ومساجد الحلقة الإسلامية من أتباع الجماعة الإسلامية في باكستان، ومسجد أوتسوكا الذي حظي بتبرّع كريم من صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود، وافتتحه فضيلة الدكتور عمر بن عبدالله السبيل - إمام الحرم المكي الشريف - ومسجد تودا الذي كان مصنعاً، ومسجد إيساساكي، ومسجد الإخوة الأفارقة، وغيرها، ولدى المركز قائمة بكل مساجد اليابان سيتولى طبع عناوينها وخرائطها إن شاء الله. كما حظي الإخوة في جمعية مسلمي اليابان بتبرّع كريم من خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان ولياً للعهد مكّنهم من شراء مقرّ جديد لهم.

إن هدم مسجد طوكيو في عام ١٩٨٦م حدث باطنه الرحمة وظاهره العذاب، فعلى رغم الحزن الذي عمّ المسلمين، والحيرة والتفرق بعد أن كان يجمعهم هذا المسجد، هيّأ الله سبحانه وتعالى بدائل، وشجع المسلمين الذين تزايدت أعدادهم على إقامة المساجد والمصليات، وكان أول بديل هو المعهد العربي الإسلامي بمقرّه القديم والجديد؛ إذ قام بالدور الرئيس في استيعاب المصلين في الأوقات الخمسة والأعياد، فجزى الله القائمين عليه خير الجزاء، كما أن الإخوة الإندونيسيين استوعبوا أعداداً كبيرة من المصلين في مصلى سفارتهم ومصلى مدرستهم، وكذلك الإخوة في سفارتي إيران وماليزيا، وكان جماعة الدعوة والتبليغ هم أول من كسر حاجز إقامة مساجد جديدة، وأعقبهم بقية المسلمين في شراء المصليات وتأجيرها، والمركز الإسلامي يتحمّل نصف أجرة المصليات في المناطق التي يوجد فيها الطلبة ويقلّ فيها التجار المسلمون، وذلك من

أقصى شمال اليابان إلى جنوبه. ومن أحدث المساجد التي أقامها المسلمون مسجد في مدينة أبيينا Ebina في محافظة Kanagawa التي تعدّ يوكوهاما مركزها، ولا تبعد كثيراً عن طوكيو، وكلف المسجد مليون دولار، ولم يجمع المسلمون شيئاً من خارج محافظتهم.

أما آخر صرح للدعوة الإسلامية، فهو المسجد الذي تبرّع ببنائه مأجوراً سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز آل سعود - حفظه الله - في منطقة هاجي أوجي Hachioji في ضواحي طوكيو، وهو إضافة في سلسلة قافلة الخير التي تقودها وتدعمها المملكة العربية السعودية ملكاً وحكومةً وشعباً. فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

ومن الأحداث المهمة في هذه المدة ندوة (العلاقات بين اليابان والعالم الإسلامي ومئة عام من تاريخ الإسلام في اليابان)، التي أقامها المركز الإسلامي في اليابان بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي في شهر مايو عام ٢٠٠٠م بدعم سخيّ من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز - رحمه الله - ومن رابطة العالم الإسلامي، والبنك الإسلامي للتنمية، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، والهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت. وحضر الندوة نحو سبعين ممثلاً للمسلمين من الدول المجاورة وذات الاهتمام، وعلى رأسهم معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة، وحضرها جمع غفير من المثقفين اليابانيين، وألقى كبار الأساتذة اليابانيين المسلمين وغير المسلمين أبحاثاً قيمة، وألقيت كلمات وأبحاث من الوفود، منهم مندوب وزير الخارجية الياباني. كما حضر الندوة وتعاون على إنجاحها مندوبون من مختلف الجمعيات الإسلامية داخل طوكيو وخارجها. واستمرت الندوة ثلاثة أيام، أبرزت الوجود الإسلامي، ورحّب المسؤولون اليابانيون، خصوصاً في الخارجية اليابانية، بهذا النشاط، وطالبوا بتكراره؛ لتعميق الصلات بين اليابان والعالم الإسلامي.

كما شهدت هذه المدة إقامة مخيمات سنوية نظمها المركز الإسلامي بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامي ودعم من سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز مادياً وأدبياً بحضور مستشار سموه فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن عبدالله البريك الذي أضفى على هذه المخيّمات حياةً في مجال العقيدة والعلم والتوجيه.

كما كان لفضيلة الشيخ سعد البريك دور كبير في أثناء انعقاد المخيمات في إحياء مجلس التنسيق بين الجمعيات الإسلامية الذي كان نشيطاً في العشرين سنة الماضية وتوقف نشاطه بوفاة منسّقه العام البروفيسور عبدالكريم سايتو، رحمه الله. فقد وقّع في أثناء هذه المخيمات ثلاثمئة وخمسون مندوباً مسلماً من جميع أنحاء اليابان على إحياء هذا المجلس، وانتخاب الأستاذ خالد كيبا - العالم الياباني المعروف، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ومدير الشؤون المالية في المركز الإسلامي - منسّقاً عاماً لمجلس التنسيق.

لقد والى المركز الإسلامي إيفاد بعثات الحج، ومنها إشرافه على أكبر بعثة حج لثلاثة وأربعين مسلماً يابانياً ومسلمة قدموا من خالص أموالهم، وكانوا بقيادة الداعية الياباني الحاج محمد ساوادا. وأرسل المركز معهم للإرشاد الشيخ نعمة الله، والأستاذ عبدالرحمن صديقي. كما أسهم المركز بدور كبير في إعداد تجمّع ضخم للحج من اليابانيين عام ١٤٢٠هـ بدعوة كريمة من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز. وكانت آخر بعثة نظمها المركز للحج عام ١٤٢١هـ بدعم سخي واستضافة كاملة من سمو الأمير عبدالعزيز بن فهد بن عبدالعزيز. فجزى الله الجميع خير الجزاء، وأخلف عليهم بالخير.

كان من أكبر هموم المسلمين في اليابان دفن موتاهم، خصوصاً بعد أن أصبح وجودهم كثيفاً: يابانيون وأجانب مقيمون. فقد كانت كلفة الحصول على قبر في المقبرة الحالية إينزان، التي أصبحت تحت إشراف إخواننا في جمعية مسلمي اليابان، تبلغ أكثر من مليون ين (أكثر من عشرة آلاف دولار): لهذا حرص المسلمون على شراء أرض في إحدى المحافظات المجاورة لطوكيو يُدفن فيها موتى المسلمين

كان من أكبر هموم المسلمين في اليابان دفن موتاهم، خصوصاً بعد أن أصبح وجودهم كثيفاً؛ لهذا حرص المسلمون على شراء أرض في إحدى المحافظات المجاورة لطوكيو يُدفن فيها موتى المسلمين مجاناً

مجاناً، وبدؤوا بمحاولة لجمع تبرّعات من الجالية، وهنا جاءهم العون، فقد امتدّت يدٌ كريمة لترعى مشروعهم، وهي يد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، رحمه الله، فقدم تبرعاً كريماً مقداره سبعمئة ألف دولار لشراء أرض للمقبرة، وطلبت لجنة المقبرة، ورئيسها الأستاذ ميان أفتاب التاجر الباكستاني في يوكوهاما، وهو من كرام الناس، ومن جملة التجار المسلمين الذين يبذلون كثيراً في المشروعات الإسلامية، أن تسجل أرض المقبرة باسم المركز الإسلامي؛ لأنه يكاد يكون الهيئة الدينية الرئيسة الوحيدة المسجلة رسمياً لدى الحكومة اليابانية؛ لأن الهيئة الدينية الرسمية هي التي من حقها أن تطلب إقامة مقبرة، وقد لبّى المركز الأمر، ويسعى مع اللجنة إلى استكمال امتلاك أرض للمقبرة.

الوجود الإسلامي الحالي

إن المسلمين في اليابان: يابانيين ومقيمين، يوجدون من أقصى جزيرة في شمال اليابان (هوكايدو) إلى أقصى جزيرة صغيرة في جزر أوكيناوا جنوباً قرب تايوان، ومن أقصى الشرق (طوكيو) إلى أقصى الغرب (كانازاوا وشيمياني توتوري)، ويمكن أن نصنّف المسلمين في اليابان في الفئات الآتية:

أولاً: المسلمون اليابانيون وهم موزّعون كالآتي:

١- جمعيات خاصة بهم، ومن الأمثلة على ذلك:

- جمعية مسلمي اليابان:

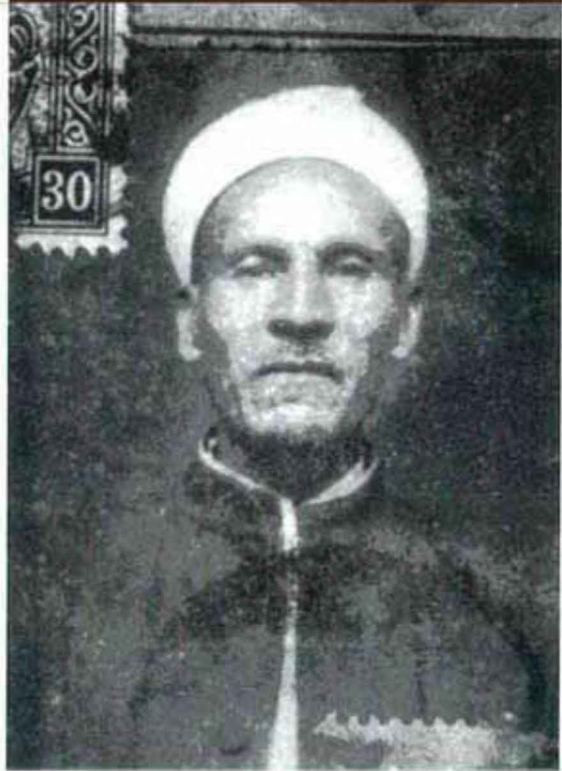
إن حصيلة الوجود الإسلامي للمسلمين اليابانيين حتى عام ١٩٥٣م هي جمعية مسلمي اليابان، وهي أول جمعية إسلامية خالصة أسّسها مسلمو ما قبل الحرب العالمية الثانية، الذين عادوا بعد إسلامهم في إندونيسيا وماليزيا والصين، وكذلك من بقي حياً من المسلمين الأوائل في اليابان. وقد سبقتها قبل الحرب جمعيات إسلامية استشرافية، وأدّت هذه الجمعية - ولا تزال - دوراً كبيراً في الدعوة الإسلامية، ويقوم عليها الآن خريجو الأزهر وجامعات المدينة المنورة وأم القرى؛ فهي الجمعية الأم، ويكاد ينحصر نشاطها في طوكيو، ورئيسها الحالي الأستاذ خالد هيكوجي Higuchi أزهري، ومن أعضائها: يحيى إندو (الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة)، ونور الدين موري (جامعة أم القرى في مكة المكرمة).



عبد الحليم نودا



عبد الرشيد زار اليابان عام ١٩٠٩م



علي أحمد الجرجاوي زار اليابان عام ١٩٠٦م

- الجمعية الإسلامية في هوكايدو (عبدالله أراي).
- جمعية الصداقة الإسلامية في كيوتو (علي كوباياشي).
- جمعية الدعوة الإسلامية في أوساكا (عبدالرحيم ياما كوجي).
- الجمعية الإسلامية في نارا (محمد ناكامورا).
- جمعية المرأة المسلمة - أوساكا وكيوتو (الأخت زيبا كومي).
- جمعية الثقافة العربية في طوكيو (الأخت جميلة تاكاهاشي).

٢- جماعات مندمجة مع جمعيات تضم الطلبة المسلمين والمسلمين الأجانب المقيمين:

إن هذا الصنف منتشر في جميع أنحاء اليابان، وأعدادهم كبيرة. ومن الأمثلة عليهم: الأستاذ خالد كيبا (مع المركز الإسلامي، وله جمعية خاصة به في طوكوشيما بجزيرة شكوكو). والبروفيسور عبدالجبار ماندا (الجمعية الإسلامية في ميازاكي - كيوشو). والأخ محمد ساتو (مع الجمعية الإسلامية في سنداي). والبروفيسور مرتضى كوراساوا (في جامعة ناغويا، وهو أحد مديري المركز الإسلامي). وغير ذلك من الشخصيات والأفراد اليابانيين.

٣- أفراد الواحد منهم يعادل أمة في نشاطه الإسلامي، وهم الأكثرية الساحقة من المسلمين اليابانيين، فهم يديرون أكثر من خمس عشرة صفحة إلكترونية باللغة اليابانية، يدعون فيها الناس إلى الإسلام، ومثال عليهم:

- سليمان هاماناكا في جزيرة شكوكو (له صفحة إلكترونية).
- البروفيسور كوسوجي في جامعة كيوتو، له صولات وجولات في التلفزيون الوطني الرئيس لليابان NHK، وفي قاعات المحاضرات والمؤتمرات.
- البروفيسور أونامي (جامعة كيوتو- هندسة)، يضع ترجمة معاني القرآن الكريم باليابانية على صفحته الإلكترونية.
- البروفيسور شيرو تاناكا (متقاعد من جامعة اللغات الأجنبية في كيوتو، وحافظ للقرآن الكريم).
- البروفيسور هشام كورودا (الجامعة الدولية في نيغاتا، وصاحب المؤلفات الكثيرة، وتلميذ العالم الراحل المشهور جعفر إيزيتسو IZITSU).
- الأستاذ أشرف ياسوي (أستاذ اللغة العربية في المعاهد اليابانية).

إن وضع مسلمي اليابان أشبه ما يكون بالعهد المكي حينما كان المسلمون الجدد أفراداً موجودين في مدن الجزيرة العربية وقراها وواحاتها، كلٌ يقيم دينه في محل إقامته، منهم من يخفي إيمانه، ومنهم من يظهره ويُؤذى بسببه، ومنهم من يدعو إليه على رغم الإيذاء، إلى أن أذن الله بالهجرة إلى المدينة المنورة.

ويبرز هنا سؤال: كم عدد المسلمين اليابانيين؟ ونجيب عن ذلك بأنه ليس هناك إحصاء لعدد المسلمين اليابانيين، ففي اليابان أكثر من مئة جمعية وتجمع إسلامي وعشرات - إن لم يكن مئات - من المساجد والمصليات، ويدخل الإسلام يومياً عن طريق هذه الجمعيات والمساجد والمصليات عدد كبير من اليابانيين. كما يسافر سبعة عشر مليون ياباني سنوياً للسياحة خارج البلاد، فمنهم من يسلم في البلاد الإسلامية، ومنهم من يسلم في أوربا وأمريكا، ويطلبون من مركزنا الإسلامي الكتب عن طريق الإنترنت، ونستجيب لهم في الحال. (كتبت لنا مسلمة يابانية من كوالالمبور في البريد الإلكتروني أنه يوجد خمسون يابانياً ويابانية يرغبون في تعرُّف الإسلام، وتطلب منهم بالكتاب الإسلامي باللغة اليابانية).

نقول أحياناً: إن عدد المسلمين اليابانيين يقارب المئة ألف أو يزيدون، والأجانب ثلاثمئة ألف أو يزيدون، وهذه أرقام تقديرية

ينظر إليها المراقبون من زوايا مختلفة، ويعطون أرقاماً متعددة، ولكنه من المؤكد أن المسلمين اليابانيين يتزايدون، وأن الشعب الياباني من أقرب شعوب الأرض إلى الإسلام، يحترمون هذا الدين ويرون فيه تأكيداً لمُثُلهم وتقاليدهم العريقة.

ثانياً: المسلمون المهاجرون

- إن طلائع المسلمين المهاجرين إلى اليابان هم من شبه القارة الهندية قبل الاستقلال، جاؤوا إلى اليابان في أواخر القرن التاسع عشر، واشتغلوا بالتجارة، وأقاموا في طوكيو ويوكوهاما وكوبي، وهم الذين بنوا أول مسجد دائم في اليابان في مدينة كوبي عام ١٩٣٥م، وصمد هذا المسجد شامخاً على رغم قنابل الحرب العالمية الثانية التي حطّمت كنيسة مجاورة له، وعلى رغم الزلزال الكبير عام ١٩٩٥م الذي هدم الكنيسة المجاورة للمرة الثانية.

- أما الدفعة الثانية من المهاجرين فهم المسلمون التتار أو أتراك القازان، الذين لجؤوا إلى اليابان فراراً من الشيوعية، وجاؤوا في أوائل العشرينيات من القرن الماضي، وعاشوا مع الهنود في كوبي، وضمّ مسجدها الجميع، وأقاموا مسجداً في ناغويا (دمّرته الحرب العالمية الثانية)، وأقاموا مسجد طوكيو عام ١٩٣٨م، وقائدهم في العمل (عبدالحي قربان علي)، ومن بقاياهم حتى الآن الأستاذ تميم دار محيط، متّعه الله بالصحة والعافية، ونستطيع أن نقول: إنهم أول جالية إسلامية تستقر في اليابان، وقد هاجر شبابهم إلى تركيا وأوربا وأمريكا، والقليل منهم موجود الآن في اليابان.

- الإندونيسيون والماليزيون هم ثالث جالية ترد اليابان، وهم الذين حدث خلاف مذهبي بينهم، وهم على مذهب الإمام الشافعي، وبين التتار، وهم (أحناف)؛ مما دفع (عبدالحي قربان علي) الإمام التتاري أن يكتب لإمام الحرمين (المعصومي) عن هذا الخلاف، فأجابه المعصومي برسالة (هدية السلطان إلى بلاد اليابان)، وذلك في الثلاثينيات من القرن العشرين، وقد أعيد طبع هذه الرسالة عدة مرات، وهي متداولة الآن. ولا تزال الجالية الإندونيسية من أكبر الجاليات، ولهم مدرسة ومسجد في طوكيو، وقد أدى المسجد دوراً كبيراً حين افتقد المسلمون مسجد طوكيو.

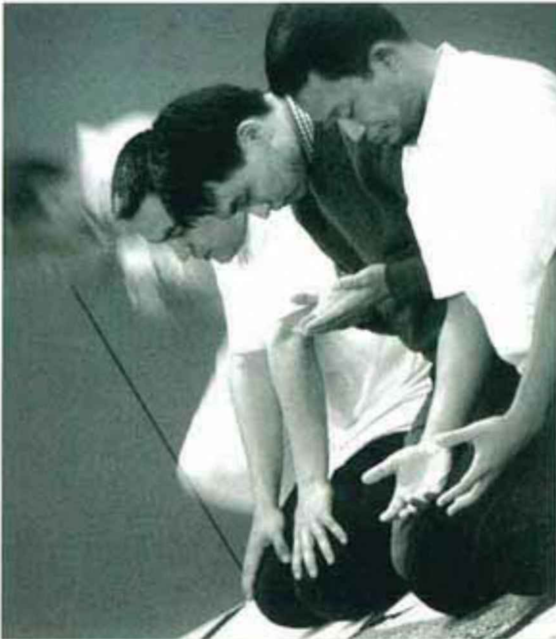
- أما الهجرة الكبرى فهي التي حدثت منذ الثمانينيات التي سبق ذكرها، وتمثل مختلف الجنسيات، وكثير منهم استقرّ بعد زواجه من اليابانيات، ويوجد اتجاه جديد، وهو زواج اليابانيين بعد إسلامهم من المسلمات، وأكثرهن من إندونيسيا وماليزيا والفلبين، ومن العربيات المسلمات، ومن آخر الزيجات زواج ياباني بعد إسلامه من مسلمة روسية.

ثالثاً: الطلبة المسلمون القادمون من البلدان الإسلامية

إن أوائل الطلبة المسلمين هم من المسلمين الصينيين الذين درسوا في جامعة واسيدا عام ١٩٠٩م، وعددهم نحو الأربعين، وأصدروا مجلة باللغة الصينية (الاستيقاظ الإسلامي)، كما جاء ثلاثة طلاب عثمانيين إلى جامعة واسيدا عام ١٩١١م، منهم ابن الرحالة الداعية عبدالرشيد إبراهيم. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية جاءت أعداد

المعهد العربي في طوكيو تابع لجامعة الإمام





من الطلبة الإندونيسيين والماليزيين، استشهد منهم عدد في قنبلة هيروشيما، ومنهم من شُفي من أثر القنبلة وبقي على قيد الحياة، وقد اجتمعنا بأحدهم قبل سنتين في إندونيسيا. كما درس أبناء التتار المهاجرون في الجامعات والمدارس اليابانية، منهم: الدكتور التنباي، والأستاذ تميم دار محيط، وحرمه الدكتورة ثالثة، ورمضان صفا، وأسعد قربان علي، متعهم الله جميعاً بالصحة. وكانوا قد أسّسوا جمعية خاصة بهم في الأربعينيات من القرن العشرين. أما الأعداد الكبيرة من الطلبة المسلمين، فقد بدأت بعد الحرب العالمية الثانية وفي أواخر الخمسينيات، وهي تتزايد حتى يومنا هذا. إن أكثرهم من الإندونيسيين، ثم الماليزيين، ثم من باكستان وبنغلادش، ثم من العرب والترك والإيرانيين والأفارقة. إن هؤلاء مع المسلمين اليابانيين والمسلمين المقيمين شكلوا تجمعات مشتركة. في كل مدينة يقيمون مصلى مؤجراً (وبدؤوا بإقامة مساجد ثابتة مملوكة) يضم مكتبة وثلاجة لبيع اللحم الحلال، إضافة إلى مكان الصلاة والاجتماعات. وعلى ذكر المصليات كنت دائماً أتأسف وأقول: كل الأقوام المسلمة من المقيمين في اليابان أقاموا مصليات ومساجد إلا قوم الرسول صلى الله عليه وسلم من العرب. وأخيراً، أقام الطلبة العرب - وأكثرهم مصريون - مصلى في منطقة إقامتهم في ضواحي طوكيو (شن ميساتو Shin Misato)، وأدى خمسة وعشرون شخصاً منهم ومن الطلبة الآخرين فريضة الحج لعام ١٤٢١هـ، إضافةً إلى أعداد كبيرة من الطلبة من الجنسيات الأخرى حجت بعد ذلك.

رابعاً: المتدربون من البلدان الإسلامية

تأتي اليابان أعداد كبيرة من المتدربين من البلدان الإسلامية لمدة من عدة أسابيع إلى سنة، وهؤلاء لهم احتياجاتهم من تعرّف الأطعمة الحلال ومواقيت الصلاة. كما أن كثيراً منهم يتعرضون لأسئلة عن الإسلام. وبذلك تأتينا في المركز الإسلامي أسئلة وطلبات بالبريد الإلكتروني والفاكس ننفذها في الحال. إن لهؤلاء المتدربين دورا كبيراً في التعريف بالدين الإسلامي. وإن مجرد وجودهم كمسلمين يعلم اليابانيين شيئاً عن الإسلام، خصوصاً حينما يتحرى هؤلاء المسلمون العيش وفق تعاليم الإسلام.

خامساً: التجار والسياح المسلمون

العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي واليابان قديمة ومستمرة. ويؤمّ اليابان سنوياً عدد من التجار وكذلك السياح. ولهؤلاء دور في التعريف بالإسلام. إن مركزنا الإسلامي متخصّص في الكتاب الإسلامي باللغة اليابانية. ويزود كل الجمعيات الإسلامية في اليابان والطلاب والمتدربين والتجار والسياح وغيرهم بالمادة الإسلامية المقروءة، ويزود المتدربين وحديثي القدوم إلى اليابان بالمعلومات اللازمة عن المساجد، وأوقات الصلاة، والأطعمة الحلال، ومراكز تجمّع المسلمين.

مداخلة

وهنا نؤكد مرة أخرى أن الشعب الياباني تتمثل به الأخلاق العالية، والصفات الكريمة. بل أقول: إن الياباني إذا تعرّف الإسلام يجده مطابقاً للمثل التي يعتنقها مجتمعه، فينال استحسانه. وإذا أراد الله له الهداية فإنه يعتنق هذا الدين الذي أعجب به. ونرفق في نهاية المقالة وثيقة تظهر الصفات الأصيلة للشعب الياباني التي ورثها عن زعمائه الفرسان (الساموراني).

يكتب لنا شخص على البريد الإلكتروني أنه درس الإسلام ويريد اعتناقه، فهل عليه أن يتعلم الصلاة قبل النطق بالشهادتين، أو يقول الشهادتين ثم يتعلم الصلاة؟ وهل الختان لازم؟ وإن كان كذلك فهل يجب أن يقوم به طبيب مسلم؟ وإلا فهو على استعداد لعمله في أي مستشفى مجاور لمكان وجوده. والأخرى تكتب لنا رسالة بأنها درست الإسلام استعداداً لتقديم بحث في جامعتها، فأعجبها الإسلام وتريد أن تدعو طلبة جامعتها إليه بطريقة علمية. وتقول: إني أعرف أن تحريم الخنزير أمر له علاقة بالصحة، أليس هناك أشياء في الإسلام أثبتها العلم حتى أستطيع أن أدعو بها طلبة جامعتي إلى الإسلام؟ أما محمد داود فقد زار القدس وغزة قبل سنتين فأحبّ الإسلام، ورجع إلى كيوتو واتصل بالأخت الداعية زيبا، وتعلم منها الإسلام، فأسلم (أقول عن الأخت زيبا كومي: إنها تعادل مئة رجل، إن لم يكن ألفاً). أما عثمان فهو طالب في السنة الثانية من الجامعة في مدينة كيوتو، وزار تركيا أسبوعا فأحبّ الاسلام، ورجع وقرأ كتب المركز التي طلبها من الأخت زيبا واسلم. وفاطمة ناكاسوني شابة تدرس في (برد فورد) في بريطانيا، كانت مسيحية وصادقت فتاة من أصل باكستاني فأسلمت، وهي تضع النقاب مع أنها في بريطانيا. هكذا كتبت لنا في بريد إلكتروني. وأخرى كتبت من أمريكا تريد معاني القرآن الكريم في اليابانية. فأرسلنا إليها ما تريد. وحينما سألناها عن الجالية الاسلامية في

منطقتها قالت: نحن مئة شخص، وأنا المسلمة اليابانية الوحيدة، ونريد بناء مسجد. وذكرت لنا أن لها صفحة إلكترونية خاصة بها. فإذا هي أستاذة للموسيقا في إحدى الجامعات الأمريكية وتعالج بالموسيقا. وفكتوريا الروسية كتبت لنا من داخل اليابان تريد بنكاً إسلامياً لإيداع نقودها؛ تحاشياً للربا. فأعطيناها عنوان البنك الوطني الباكستاني. وتحدثت معنا بالهاتف من مدينة لا تبعد كثيراً عن طوكيو، وهي متزوجة من ياباني مسلم، وقلنا لها: بعد سبعين سنةً من الحكم الشيوعي نرى مسلمة روسية تحرص أن تضع ما تملك في بنك غير ربوي، هذه معجزة الإسلام. وأرسلنا إليها ترجمة معاني القرآن الكريم باليابانية ومنشورات المركز؛ ليقرأها زوجها الياباني، فشكرتنا على ذلك.

أما الرسالة التي كتبتها جارة مسجد طوكيو بعد أن دعاها إلى الإسلام الشيخ نعمة الله في صباح ذات يوم قرب مسجد طوكيو، وكان حينها تحت الإنشاء، وأعطاها نشرة (ما الإسلام؟)، وعليها البريد الإلكتروني للمركز، هذه الرسالة فحواها كالآتي:

نشأت وأنا طفلة في بيت مجاور لمسجد طوكيو....

وكان منظر قبته الزاهية قبيل غروب الشمس يأخذ الألباب....

وعندما هدم المسجد انتابني حزن شديد.....

وها هو ذا المسجد قد بدأت إعادة بنائه؛ لذا فإنني أشعر بغاية الفرح والسرور.... وقد كتبت السيدة رسالتها على الإنترنت بورق أخضر، وهو رمز الجنة عند اليابانيين. ومثل هذا يحدث يومياً لنا في المركز، وفي المعهد العربي الإسلامي، وفي مسجد طوكيو المركزي، ومسجد كوبي، ومع الجمعيات الإسلامية كلها.

إن وجود التجمعات الإسلامية الكثيرة في اليابان يهيّئ فرصة للمسلمين الجدد أن يلتفوا حولها ويتعلموا منها الحياة الإسلامية. إن المركز الإسلامي في اليابان منارة شامخة للإسلام يهتدي بها من يريد أن يعرف شيئاً عن الإسلام، ويهتدي بها المسلمون القادمون إلى اليابان، وموقعنا الإلكتروني سهل الوصول إليه؛ فأيّ إنسان يضغط زراً بسيطاً (إسلام - اليابان) يصل إليه في الحال، وهنا تأتي الأسئلة والطلبات، فتأتي الإجابة السريعة، ونحن نحتفظ بكل البريد الإلكتروني الذي وصلنا، وجميع المرسلين يشكروننا على الاستجابة السريعة.

كتب لنا طالب عربي من سياتل غرب الولايات المتحدة يقول: معنا أعداد من الطلبة اليابانيين يريدون تعرّف الإسلام، ويرجو أن نرسل له كتباً باللغة اليابانية. كما أن طالبة رجعت إلى اليابان وعنوانها كذا، ويرجو أن نرسل لها كتباً، فما كان منا إلا أن أسرعنا بإرسال مجموعة من الكتب وترجمة معاني القرآن الكريم إليه، وكذلك إلى الطالبة. فكان تعليقه على ذلك أنه من بين مليون مسلم يوجد واحد من أمثالكم، ويشكر تجاوبنا السريع معه. زدْ على ذلك أن مركزنا يعدّ من أقدم المؤسسات الإسلامية في اليابان، ومعروف لدى الحكومة ووسائل الإعلام والجامعات والمدارس والجماعات الدينية في اليابان؛ مما جعله مرجعية دينية في اليابان، ونحمد الله العليّ القدير أن جعلنا في موضع نتمكن منه أن ندعو إلى دينه القويم، والقيام بفرض الكفاية نيابةً عن الأمة الإسلامية، ونشكر كل الذين يقدمون لنا الدعم لتسهيل مهمتنا. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا عليّ بن أبي طالب: «لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من الدنيا وما فيها، أو خير لك من حمر النعم».

الياباني إذا تعرّف الإسلام يجده مطابقاً للمثل التي يعتنقها مجتمعه، فينال استحسانه، وإذا أراد الله له الهداية فإنه يعتنق هذا الدين الذي أعجب به

الجيل الثاني: مشكلاته ومستقبله

إن أهم مشكلة تواجه المسلمين في اليابان هي أبناء الجيل الثاني وبناته، وأكثرهم من الزواج المشترك: أجانب مع يابانيات، وبالمثل مسلمات أجنبيات مع يابانيين مسلمين، وكذلك أبناء المسلمين اليابانيين.

التعليم إجباري وأساسي، والآن لا توجد مدرسة إسلامية واحدة في اليابان، ويوجد الآلاف من الأبناء المسلمين، وما لم نهيّئ لهم وسيلة لتعليمهم الإسلام فلا شك أنهم سيذوبون في المجتمع غير الإسلامي. والذي يحدث أن المسلم الباكستاني أو البنغلادشي يرسل زوجته اليابانية وأولاده إلى بلدانهم للتعلّم، ومع وجود الفروق الاقتصادية والاجتماعية بين اليابان وهذه البلدان فإن مشكلات كثيرة تظهر، وقد تؤدي إلى هدم الحياة الزوجية، ولابد من حلّ جذري لهذه المشكلة.

إن المركز الإسلامي بصدد إقامة أول مدرسة إسلامية في

العلاقات التجارية بين العالم الإسلامي واليابان قديمة ومستمرة، ويؤمّ اليابان سنوياً عدد من التجار وكذلك السياح، ولهؤلاء دور في التعريف بالإسلام

اليابان. واشترى لذلك أرضاً مجاورة لمسجد طوكيو المركزي، ويعتزم إقامة مدرسة عليها؛ ليكسر حاجز التردّد في إقامة المدارس الإسلامية عند المسلمين في اليابان، كما كسر حاجز التردّد في بناء المساجد في هذا البلد. إننا إذا اعتنينا بأبناء الجيل الثاني فإن هؤلاء هم الذين سيقدّمون الإسلام إلى الشعب الياباني بكفاءة أعلى منا؛ فهم يابانيون، ولغتهم يابانية. وهذان عاملان مهمان. وإننا نتقدم بالشكر والامتنان إلى سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود على المساعدة التي قدمتها مؤسسته الخيرية لشراء أرض المدرسة، والشكر والامتنان كذلك للبنك الإسلامي للتنمية على موافقته على دعم ثلث تكاليف بناء المدرسة.

شكر وامتنان

أخيراً، إننا نتقدم بالشكر والامتنان العميقين إلى المملكة العربية السعودية؛ لما قدّمته وتقدّمه لرفع شأن الإسلام والمسلمين في اليابان. إن كثيراً من العمل الإسلامي في اليابان هو نبتة مباركة زرعتها المملكة العربية السعودية، كما أننا نشكر دول الخليج الشقيقة لدعم المسلمين في اليابان، وكذلك الدول العربية والإسلامية الأخرى.

وإني بهذه المناسبة أتقدم بالشكر إلى الأساتذة الأكاديميين اليابانيين الذي يهتمون بالثقافة الإسلامية، ويحرصون على تقديمها لأبناء قومهم بحياد تام، ومن منابعه الأصلية، بعيداً من تأثير الغرب. ومن روّادهم الحاليين على سبيل المثال لا الحصر: البروفيسور إيتاجاكي Itagaki، والبروفيسورة كاتاكورا Katakura، والبروفيسور كوماتسو، والبروفيسوران Sugita اللذان يحملان اللقب نفسه في جامعة طوكيو، والبروفيسور غوتو Goto، وغيرهم كثيرون، فتحيةً لهم وشكراً. كما نشكر حكومة اليابان لإعطائها الحرية الكاملة للمسلمين في اليابان، ورعايتها لهم، وحرصها على تعميق التفاهم بين اليابان والعالم الإسلامي، وفي مقدمتهم معالي وزير الخارجية السيد كونو Kono، وكذلك البوليس الياباني بمختلف أشكاله ورتبه؛ فهو أول من يحرص على التعاون مع المسلمين أفراداً وجماعات. ونحيي كذلك الشعب الياباني الصديق، الذي ما إن يسمع كلمة (الإسلام) إلا ويتلقى نشراته وكتبه بكل احترام، ويعبّر عن ارتياحه لهذا الدين. إن الدراسات التي تقوم بها الحكومة اليابانية على الأجانب تشير إلى أن المسلمين هم من أهدأ الجاليات، وأقلها مشكلات.

صفات الفارس الياباني (الساموراني)

لقد سجلها ممثّل المركز الإسلامي سعادة الدكتور موسى محمد عمر في ١٩٧٨/٢/٤م في أثناء اجتماع جمعية الشباب المسلم في كانازاوا Kanazawa على بحر اليابان مقابل كوريا، وكانت الجمعية تضم مئة شاب ياباني مسلم من تلاميذ مصطفى كومورا؛ مساعد عمر ميتا في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اليابانية ومؤلف الموسوعة الكبيرة عن تاريخ الإسلام في اليابان، ودرس بعضهم في المملكة العربية السعودية وباكستان وقطر، وهم يتولون الآن مناصب في الجامعات والشركات والأعمال الحرة في جميع أنحاء اليابان، وكلنا - نحن المسلمين في اليابان - مقصّرون في الاتصال بهم. والدكتور موسى كان أحد مديري المركز، وهو الآن كذلك، وعمل سفيراً للسودان في اليابان.

- لا ينسى المعروف.
- يبتعد عن الخمر والنساء وكثرة الأكل.
- احترام الوالدين وطاعتهما، وعدم إظهار أي امتعاض مهما فعلا به.
- الساموراني يغسل يديه ورجليه ليلاً وصباحاً، وكذلك يأخذ حماماً دافئاً، ويحب المحافظة على نظافة جسمه ومظهره.
- صرف النظر عما لا يعنيه، وعدم التحدّث عنه.
- الاهتمام بالتدريب العسكري.
- يجب عليه عمل الخير، وعمل ما هو مقبول، والابتعاد عن الخطأ والقبيح.
- يكون أميناً، لا خوفاً من أن يكتشف، ولا خوفاً من الناس.
- عليه الاهتمام بالدرس والتحصيل، والاستفادة من كل أوقاته.
- العيش بعزة، وعدم إيذاء الآخرين، وعدم العيش عالة عليهم.
- عدم اختيار أصدقاء السوء.

أخبار

تأسيس أول جمعية دولية لتنمية التعاون الثقافي والعلمي بين العالمين التركي والعربي

أعلن في أنقرة عن تأسيس جمعية جديدة ذات صفة دولية لتنمية التعاون بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي في مجالات العلوم والثقافة والفنون والمجتمع المدني. وقد قام بتأسيس الجمعية نخبة من الأكاديميين والإعلاميين والمثقفين الأتراك والعرب؛ بهدف بناء جسور متينة للتواصل الحضاري بين الشعبين التركي والعربي في مجالات العلوم والثقافة والفنون والإعلام والمجتمع المدني. وتسعى الجمعية إلى تطوير الرؤى الإستراتيجية لهذا التعاون بما يحقق المصالح المشتركة لبلدان العالمين التركي والعربي وشعوبهما.

وتعدّ هذه الجمعية منظمة أهلية غير ربحية، وذات صفة دولية، وستعمل جاهدةً على الإسهام في تفعيل اتفاقيات التعاون العلمي والثقافي والإعلامي والفني والمجتمع المدني المبرمة بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي، والتشجيع على توقيع المزيد من اتفاقيات التعاون في هذه المجالات. كما ستعمل الجمعية على تنشيط التعاون بين الهيئات الأكاديمية والمؤسسات العلمية ومراكز الأبحاث والدراسات، والتشجيع على البحث العلمي بين عدد من الجامعات والأكاديميات التركية والعربية.

وقد تمّ تأسيس (المعهد التركي العربي للدراسات والتوثيق) كمؤسسة علمية وبحثية في صلب الجمعية تعمل على التوثيق العلمي للعلاقات بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي، وتشجيع البحث العلمي والترجمة، وإصدار الكتب والنشرات المطبوعة والإلكترونية، وتأسيس المؤسسات التعليمية والأكاديمية، وتنظيم المؤتمرات، والندوات العلمية، والدورات التدريبية، والمهرجانات، والفعاليات الثقافية والفنية، وغيرها. وستعمل الجمعية على إقامة ملتقى دوري تحت اسم: (المنتدى التركي العربي للحوار الثقافي)، يجمع النخب الأكاديمية والإعلامية والمنظمات الأهلية والهيئات العلمية والثقافية والفنية من بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي؛ للحوار حول قضايا وملفّات محدّدة؛ بهدف تحقيق المزيد من التواصل والتعاون. وسيقدّم (المنتدى التركي العربي للحوار الثقافي) باسم (الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون) (الجائزة التركية العربية للتميّز)، وهي جائزة تقديرية رمزية ستقدّم دورياً إلى شخص أو هيئة تميّزت بإنجاز معيّن في أيّ مجال من المجالات التي تسهم في تطوير العلاقات بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي.

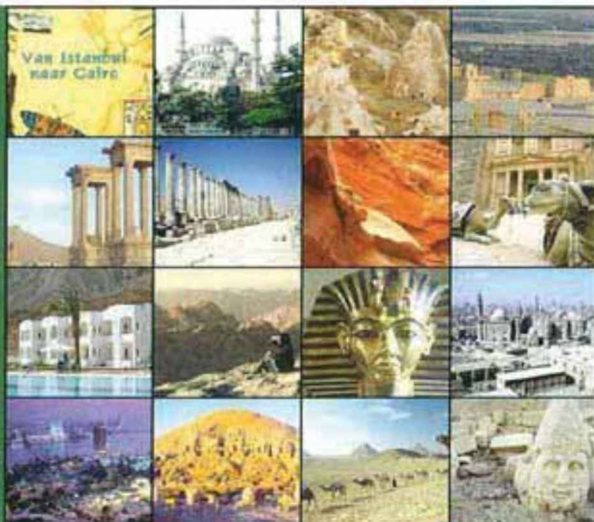
وتعدّ هذه الجمعية الأولى من نوعها في الساحة التركية التي تُعنى بتطوير علاقات التعاون في مختلف المجالات بين بلدان العالم التركي وبلدان العالم العربي. ويتكون مجلس إدارة الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون من: رئيس مجلس إدارة الجمعية السيد محمد العادل، ونائب رئيس الجمعية السيد خير الدين طوران، وأمين عام الجمعية السيد بدر الدين حبيب أوغلو، ونائب الأمين العام السيد جمهور طولاي، وأمين المال السيد إبراهيم أدهم أروغلو، وعضو مجلس الإدارة السيد محمد حقي صوشين، وعضو مجلس الإدارة السيد تورغاي توركار. وللتواصل مع إدارة الجمعية التركية العربية للعلوم والثقافة والفنون - أنقرة:

Turkish Arab Association for Science. Culture and the Arts (TASCA).

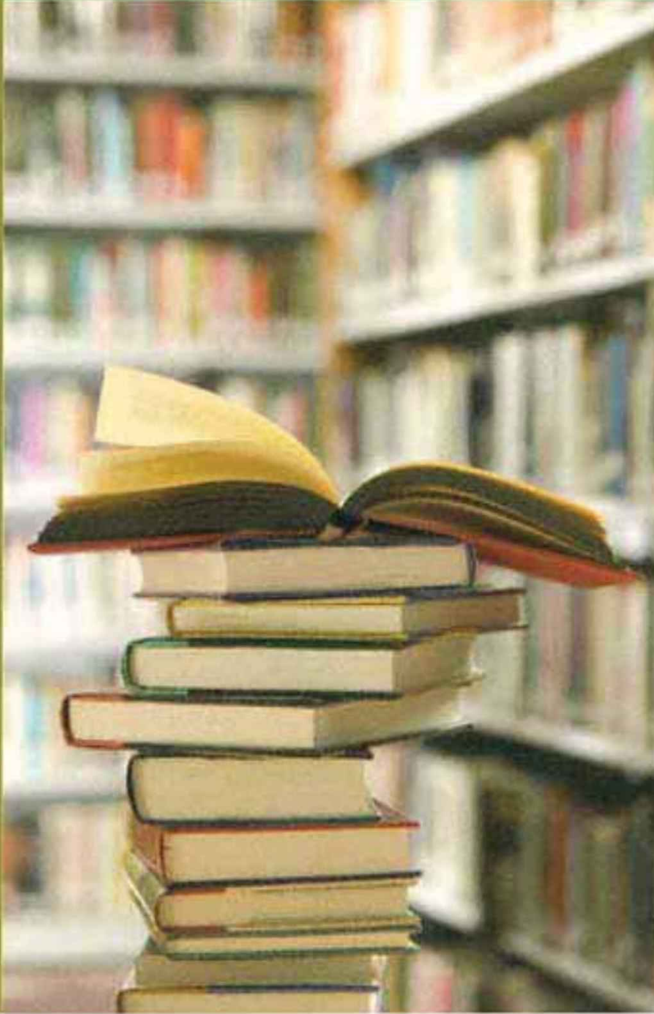
الهاتف: ٠٠٩٠٣١٢٤٩٦٢٨٤١

الجوال: ٠٠٩٠٥٣٢٢٥٤٠٠٤٠

الفاكس: ٠٠٩٠٣١٢٤٩٦٢٨٤٢



ختام فعاليات معرض الرياض الدولي للكتاب برعاية خادم الحرمين الشريفين



تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود، انطلق معرض الرياض الدولي للكتاب في دورته الجديدة في يوم الثلاثاء السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٣٠هـ (٣ مارس عام ٢٠٠٩م)، واستمر مدة عشرة أيام، وشارك فيه نحو ٦٥٠ دار نشر عربية وعالمية يمثلون نحو ٢٧ دولة، قدموا قرابة ٢٥٠ ألف عنوان.

وقال الدكتور عبدالعزيز بن محيي الدين خوجه وزير الثقافة والإعلام: «إن الرعاية الكريمة التي يحظى بها المعرض من خادم الحرمين الشريفين - حفظه الله - تأتي إيماناً منه بأهمية الكتاب في السياق الاجتماعي، وبالدور المهم الذي تؤديه الثقافة في حياة الأمم، وحرصاً من خادم الحرمين الشريفين على دعم التنوع الثقافي والتواصل مع الأمم والحضارات والاستفادة من منجزاتها». وكانت البرازيل ضيف شرف المعرض هذا العام من خلال جناح خاص أبرز الجوانب الثقافية، وعدد من المحاضرات والندوات التي عكست أوجه الثقافة البرازيلية. ومن الموضوعات التي تطرّق إليها المعرض: «تجربتي الشعرية»، و«الجوائز الثقافية»، و«الشباب وثقافة الكتاب»، و«المرأة والتأليف»، و«الملكية الفكرية»، و«تجربة الإصدار الأول»، و«الصلات الثقافية العربية - الأوروبية»، إلى جانب القدس التي يُحتفى بها بوصفها عاصمةً للثقافة العربية، وتمّ تخصيص جناح كامل لثقافة الطفل، إلى جانب تخصيص أجنحة أخرى للجهات الحكومية المشاركة.

وتم تخصيص موضوع خاص عن الأديب الراحل الطيب صالح، وهو «رحلة الإبداع»، إلى جانب تخصيص موضوع عن خليل الرواف: أحد الأدباء الذي تركوا بصمة أدبية في حياتهم، وذلك من خلال موضوع « نجدي في أمريكا».

وكرّم المعرض في هذا العام روّاد المؤرخين السعوديين الأحياء؛ تقديراً لجهودهم، وتعريفاً بمنجزاتهم، كما اشتمل على برنامج ثقافي يتناول تجارب تأليفية، وسير ثقافية، وموضوعات تتّصل بالكتاب وقضاياه. يُذكر أن المعرض فتح أبوابه للجمهور من الساعة العاشرة صباحاً حتى العاشرة مساءً.

وفاة الأديب السوداني الطيب صالح

توفي الأديب السوداني العالمي الطيب صالح في يوم ٢٢ صفر سنة ١٤٣٠هـ الموافق الأربعاء ٢٠٠٩/٢/١٨م بعد معاناة مع مرض الفشل الكلوي، وقبل أن يجري عملية زرع الكلى التي قرّرت له.

وُلد الطيب محمد صالح أحمد في عام ١٩٢٩م في مركز مروي التابع لما كان يُعرف بالمديرية الشمالية، التي تحوّلت في عصر الإنقاذ إلى ولاية. تلقى التعليم الأوّلي في قريته المسماة (كرمكول)، ثم انتقل إلى ثغر السودان (بورسودان) في شرق البلاد، حيث درس المرحلة الوسطى، ثم انتقل إلى العاصمة الخرطوم في آخر أربعينيات القرن الماضي، فدرس المرحلة الثانوية بمدرسة وادي سيدنا، ثم بحنتوب قرب مدينة ود مدني، ثم التحق بجامعة الخرطوم لدراسة العلوم الطبيعية، ونال منها درجة البكالوريوس.

عمل مدرساً في مدرسة الشيخ رضا، وفي معهد بخت الرضا، وبدأ رحلته إلى الشمال حيث العاصمة البريطانية (لندن) في عام ١٩٥٣م، وفيها حوّل اختصاصه من العلوم الطبيعية إلى «الشؤون الدولية»، وقد عمل في القسم العربي لهيئة الإذاعة البريطانية BBC، وترقى بعد ذلك حتى أصبح رئيساً لقسم الدراما.

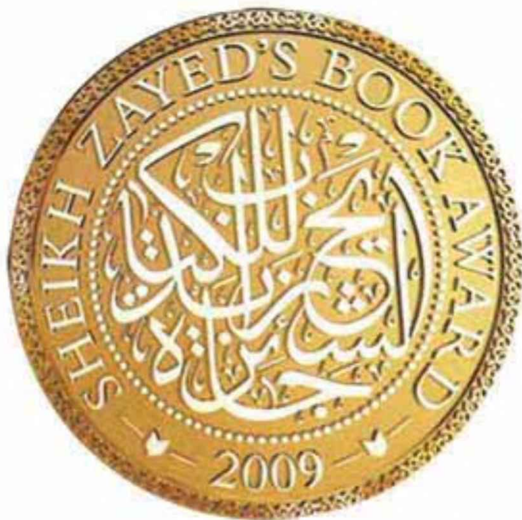
وكان أول نصّ قصصي له بعنوان: «نخلة على الجدول»، وتمت إذاعته عبر BBC، ثم قدم «دومة ود حامد»، الذي نُشر عام ١٩٦٠م في مجلة «أصوات» المتخصّصة في الثقافة في لندن، وقد قام محرّر المجلة المستشرق ديفد جونسون بترجمتها.

أما قصته الشهيرة (موسم الهجرة إلى الشمال)، فقد نشرتها مجلة «حوار» البيروتية في عام ١٩٦٦م، وأعادت دار العودة نشرها في بيروت، ثم نشرتها سلسلة «الهلال» بالقاهرة، ويقال: إن كتابة هذه القصة كانت بدايتها قبل نشرها في أثناء إجازة في الجنوب الفرنسي قبل أربع سنوات من تاريخ النشر. وهذه الرواية جعلت الطيب صالح الروائي العربي الوحيد الذي ترجم أحد أعماله إلى أكثر من عشرين لغة. وفاقت هذه الرواية روايته الأولى (عرس الزين) التي كُتبت عام ١٩٦٢م، وحوّلها المخرج الكويتي خالد الصديقي إلى فيلم يحمل الاسم ذاته، وتمّ عرضه في مهرجان كان عام ١٩٧٤م.

شارك الطيب صالح بالكتابة الصحفية في عدد من الصحف والمجلات، وارتبط أكثر بمجلة «المجلة» العربية الأسبوعية عبر زاوية ثابتة على مدى عشرة أعوام سمّاها «نحو أفق بعيد».

ثم عاد الطيب صالح إلى السودان، وعمل مدة قصيرة في الإذاعة السودانية، واشتهر بسرده سيرة ابن هشام في برنامج «سيرة ابن هشام»، وقدم

إعلان جائزة الشيخ زايد للكتاب



حصلت «الدار المصرية اللبنانية» بالقاهرة على جائزة الشيخ زايد للكتاب في فرع النشر والتوزيع؛ «لاستيفائها الشروط والمواصفات الخاصة بالنشر من ناحية إنتاجها كماً وكيفاً، وحفاظها على حقوق الملكية الفكرية، وعنايتها بدوائر المعارف والموسوعات المتخصّصة، واهتمامها بالكتب المؤلّفة والترجمة». وهذه الجائزة واحدة من تسع جوائز تبلغ قيمتها الإجمالية سبعة ملايين درهم إماراتي؛ أي: نحو ١,٩ مليون دولار، وتمنح



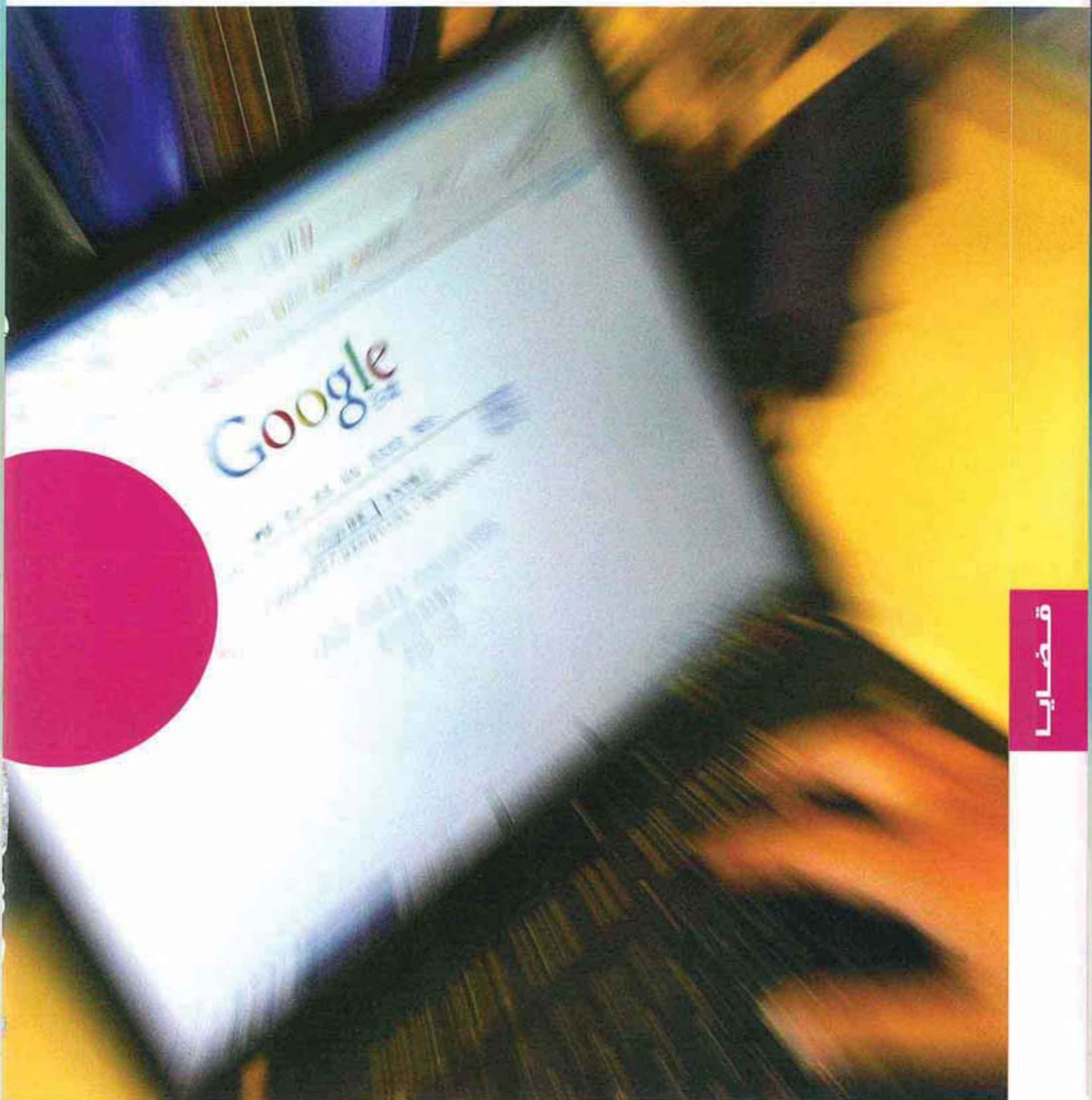
مقابلات إذاعية مع روّاد سودانيين في الأدب والفن. كما عمل في وزارة الإعلام القطرية وكيلاً ومشرفاً على أجهزتها، ثم عمل مديراً إقليمياً بمنظمة اليونسكو في باريس، وممثلاً لهذه المنظمة في الخليج العربي بين عامي ١٩٨٤ و١٩٨٩م. ومن أهم أعمال الطيب صالح الروائية والقصصية: موسم الهجرة إلى الشمال، وعرس الزين، وبندر شاه بجزأيها (ضو البيت، ومريود)، ودومة ود حامد، ومنسي.

وقد نال الطيب صالح تقدير النقاد، وصدرت عنه كتب نقدية؛ منها: «الطيب صالح عبقري الرواية العربية» بأقلام عدد من النقاد في عام ١٩٧٦م. وفاز بجائزة ملتقى القاهرة الثالث للإبداع الروائي عام ٢٠٠٥م. وكان أبرز الأدباء الذين يداومون على حضور مهرجان الجنادرية في المملكة العربية السعودية، وكان يجد الترحيب والاحتفاء من الأوساط الأدبية السعودية، وقد خصّص معرض الرياض الدولي للكتاب في هذا العام ندوةً عنه ضمن أنشطته الثقافية، كما كانت تحتفي به أصيلة المغربية في مهرجانها السنوي. كما رشّحته مؤسسات ومراكز ثقافية في الخرطوم؛ منها اتحاد الكتاب السودانيين، لنيل جائزة نوبل في الآداب. وقد تزوّج الطيب صالح من بريطانية، وأنجب منها زينب، وسميرة، وسارة.

سنوياً في مجالات الترجمة والإبداع والدراسات الإنسانية. ووصل عدد المؤلفين الذين نشرت لهم الدار في الأعوام الأخيرة ٧٥٠ مؤلفاً. ومئة من المترجمين في اللغات المختلفة. كما أنها تعتني بالإخراج الفني للكتب. وتحرص على توزيعها على نطاق واسع.

كما فاز الأديب المصري جمال الغيطاني بجائزة فرع الأدب عن كتاب (دفاتر التدوين الدفتر السادس «رن»). وفاز الدكتور باقر سلمان النجار من البحرين بجائزة فرع التنمية وبناء الدولة عن كتاب «الديمقراطية العصية في الخليج العربي». وفي فرع المؤلف الشاب، فاز الدكتور يوسف وغليسي من الجزائر بالجائزة عن كتاب «إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد». وفي فرع الفنون، فاز الدكتور ماهر عبد الحليم السيد راضي من مصر بالجائزة عن كتاب «فكر الضوء». وفاز الدكتور سعد عبدالعزيز مصلوح من مصر بجائزة فرع الترجمة عن كتاب «في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة».

وقد أقامت جائزة الشيخ زايد للكتاب حفلاً لتكريم الفائزين يوم ١٨ مارس/ آذار الجاري، إضافةً إلى عقد سلسلة من الندوات والمحاضرات الثقافية التي يشارك فيها نخبة من الكتّاب والمثقفين خلال معرض أبو ظبي الدولي للكتاب بين ١٧ و٢٢ مارس/ آذار الحالي.


Google

ما تعمله الإنترنت بأدمغتنا

نيكولاس كار
ترجمة، صلاح يحياوي
فالباريزو- أمريكا

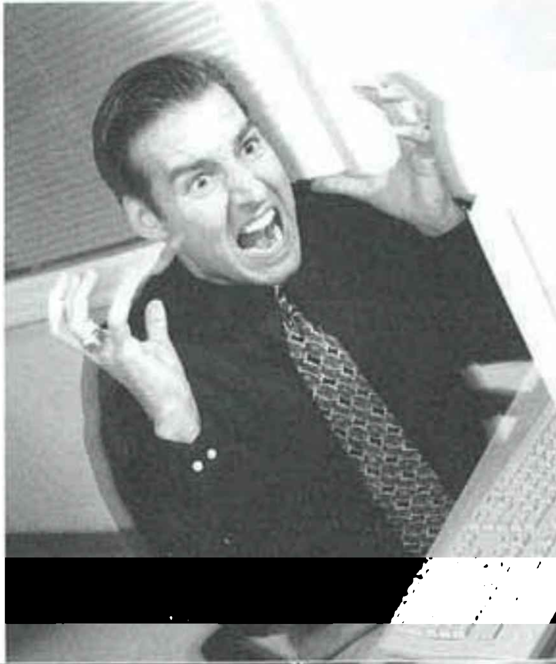
داود، توقّفْ، توقّفْ من فضلك! أتتفضّل بالتوقّف؟

هكذا يناشد الحاسوب[1] الأعظم Hal[2] رائد الفضاء العنيد داود بومان Dave Bowman في مشهد شهير على نحو عجيب في نهاية ملحمة فضاء ستانلي كوبريك Stanley Kurick ٢٠٠١م. كان بومان قد أُرسل - تقريباً - إلى موت فضاء عميق بآلة رديئة العمل، إنها على نحو مدهش فاصلة بهدوء دارات الذاكرة التي تتحكم في دماغه الصنعي. يقول Hal على نحو يائس: «داود، ذهني يشرد، أستطيع الإحساس به، أستطيع الإحساس به» وأنا أيضاً أستطيع الإحساس به. خلال السنوات القليلة الماضية، راودني إحساس غير مريح بأن شخصاً ما، أو شيئاً ما، كان قد عمل بذهني بغير براعة، معيداً رسم خريطة مجموعة الدارات العصبية لذهني.

ما كان ذهني واهناً إلى هذا الحدّ، لكنه في حالة تغيّر. إنني لا أفكر بالأسلوب الذي تعوّدته. أستطيع الإحساس به على نحو أشدّ عندما أقرأ مستغرقاً في كتاب أو مقال مطوّل جداً جرت العادة أن يكون سهلاً. اعتاد ذهني أن يدرك بسرعة في السرد أو في تحولات النقاش، وكنت قد صرفت ساعات متنقلاً عبر امتدادات طويلة من نثر، من النادر أن يحدث هذا بعد الآن. يبدأ تركيزي الآن أحياناً بالانتقال إلى صفحتين أو ثلاث صفحات. إنني أُسرف في العناية بالتفاصيل، أفقد السلك الناظم. أبدأ في النظر إلى شيء آخر أقوم به. أشعر كما لو أنني أُجبر دائماً ذهني المتمرد - ببطء أو إملال - على أن يعود إلى النص. لقد غدت القراءة العميقة كفاحاً، وهي التي جرت العادة أن تأتي على نحو طبيعي.

أظن أنني أعرف ما يجري. كنت منذ أكثر من عقد من الآن أقضي كثيراً من الوقت متصلاً بالشبكة: باحثاً، وجائلاً، ومضيفاً أحياناً إلى المعطيات العظيمة للإنترنت. لقد كانت الشبكة نعمة من الله أرسلها إليّ ككاتب. إن البحث الذي كان يتطلب أياماً على الرفوف المتراصّة، أو في غرف الدوريات في المكتبات، يمكن الآن القيام به خلال دقائق. تكفي بعض أبحاث غوغل Google، وبعض طقطقات سريعة على الوصلات الترابطية، وأكون قد حصلت على الواقع الواشي، أو على الاقتباس الذي كنت أبحث عنه. حتى عندما لا أقوم بعمل فأنا على الأرجح غير مقبل على البحث في أدغال إعلام الشبكة، قارئاً وكاتباً بُرُداً إلكترونية، ماسحاً عناوين واختبارات ذاتية عند الإقلاع، ناظراً إلى ضروب الفيديو ومنصتاً، أو مجرد متنقل من وُصل إلى آخر (على غير شاكلة الحواشي التي تكون أحياناً مرتبطة بها فإن الوصلات الترابطية لا تشير إلى أعمال ذات علاقة بها فحسب، إنما تدفعك نحوها).

تغدو الشبكة بالنسبة إليّ - كما هي بالنسبة إلى آخرين - وسيلة عالمية للوصول إلى قناة الإعلام التي تتدفق عبر عينيّ وأذنيّ إلى داخل فكري. إن أفضليات الحيازة المباشرة على مخزن غنيّ على نحو لا يُصدّق بإعلام أفضليات كثيرة، وكانت قد وُصفَت على نحو واسع وأُطريت. كان كليف طومسون Clive Thompson الموصول إلى الإنترنت (المذكّر الكامل بذاكرة سليكون) قد كتب: «قد تكون تلك نعمة ضخمة للفكر». غير أن لتلك النعمة ثمناً. كما أشار منظّر وسائل الإعلام مارشال ماك لوهان Marshall Mc Luhan في الستينيات من القرن الماضي إلى أن وسائل الإعلام ليست مجرد أقنية سلبية للإعلام. إنها تزود بمادة الفكر، لكنها تعني أيضاً شكلاً لإجراء التفكير. وما يبدو أن الشبكة تقوم به هو إبعاد مقدرتي على التركيز والتأمل. يتوقع ذهني الآن أن يتلقى الإعلام وفق الطريقة التي توزّعه بها الشبكة: بتيار متحرك سريع



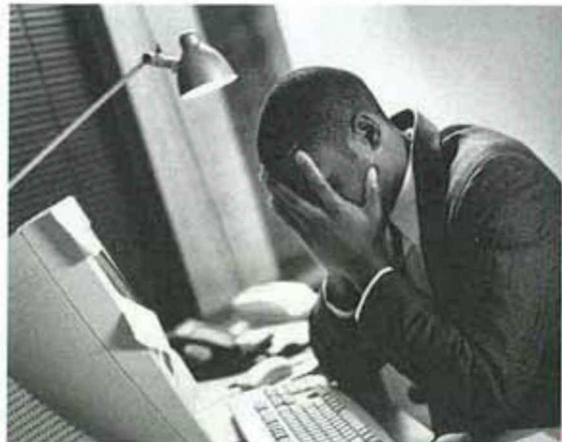


من الدقائق. كنت مرةً غواصاً في بحر الكلمات. الآن أندفع بسرعة ونشاط على طول السطح كفتى على زحلوقة دفق.

إنني لست الوحيد. عندما أنوّه عن اضطرابات قراءتي إلى أصدقاء ومعارف - أغلبهم من أنماط أدبية - فإن كثيرين منهم يقولون: إن لديهم تجارب مماثلة. كلما ازدادوا في استخدام شبكة الإنترنت (الويب Web) ازداد معهم الصراع للبقاء مُركّزين في قطع طويلة من الكتابة. إن بعض الكتّاب على الإنترنت الذين أتابعهم كانوا قد بدؤوا أيضاً بالإشارة إلى الظاهرة. إن سكوت كارب Scott Karp، الذي يكتب على الإنترنت حول وسائل إعلام موصولة على الخط، اعترف حديثاً بأنه قد توقف عن قراءة الكتب بالإجمال. كتب يقول: «كنت مختصاً في الأدب في الكلية، واعتدتُ أن أكون قارئاً نهماً للكتاب». «وماذا حدث؟» يتحذر على الجواب. «ماذا لو أنني بكل قراءاتي التي أقوم بها على الإنترنت التي ليست كثيرة: لأن الطريقة التي أقرأ بها قد تغيّرت؛ أي أنني على وجه الضبط أبحث عن الملاءمة مثلاً، فهل لأن طريقة (أنا أفكر) قد تغيّرت؟».

لقد تحدث بروس فريدمان Bruce Friedman، الذي يكتب على الإنترنت بانتظام، عن استخدام الحواسيب في الطب. كما أنه وصف كيف أن الإنترنت قد بدّلت عاداته الفكرية. كتب في وقت مبكر من هذا العام: «لقد فقدت الآن كلياً البراعة في القراءة وتمثّل مقالة طويلة بعض الشيء على شبكة الإنترنت (الويب Web). أو

الإنترنت.. هل يُفقد التركيز؟



وسائل الإعلام أو التقانات الأخرى التي تستعملها في تعلّم براعة القراءة تقوم بدور مهم في تشكيل الدارات العصبية داخل أدمغتنا

مقالة مطبوعة». إن فريدمان - الاختصاصي في علم الأمراض، الذي مضى عليه زمن طويل في كلية طب جامعة ميتشغان - يتوسّع في تعليقه في محادثة هاتفية معي، قال: إن تفكيره قد اتّخذ صفة (التقطّع)، عاكساً الطريقة التي يلقي بها نظرة عجلى على فقرات قصيرة من نص من عدة مصادر، اعترف قائلاً: «أنا لا أستطيع قراءة كتاب حرب وسلام بعد الآن. لقد فقدت براعتي في القيام بذلك، حتى إن بريداً إلكترونياً يزيد على ثلاث أو أربع فقرات هو كثير عليّ الاستطراق فيه. إني أمرّ عليه بسرعة».

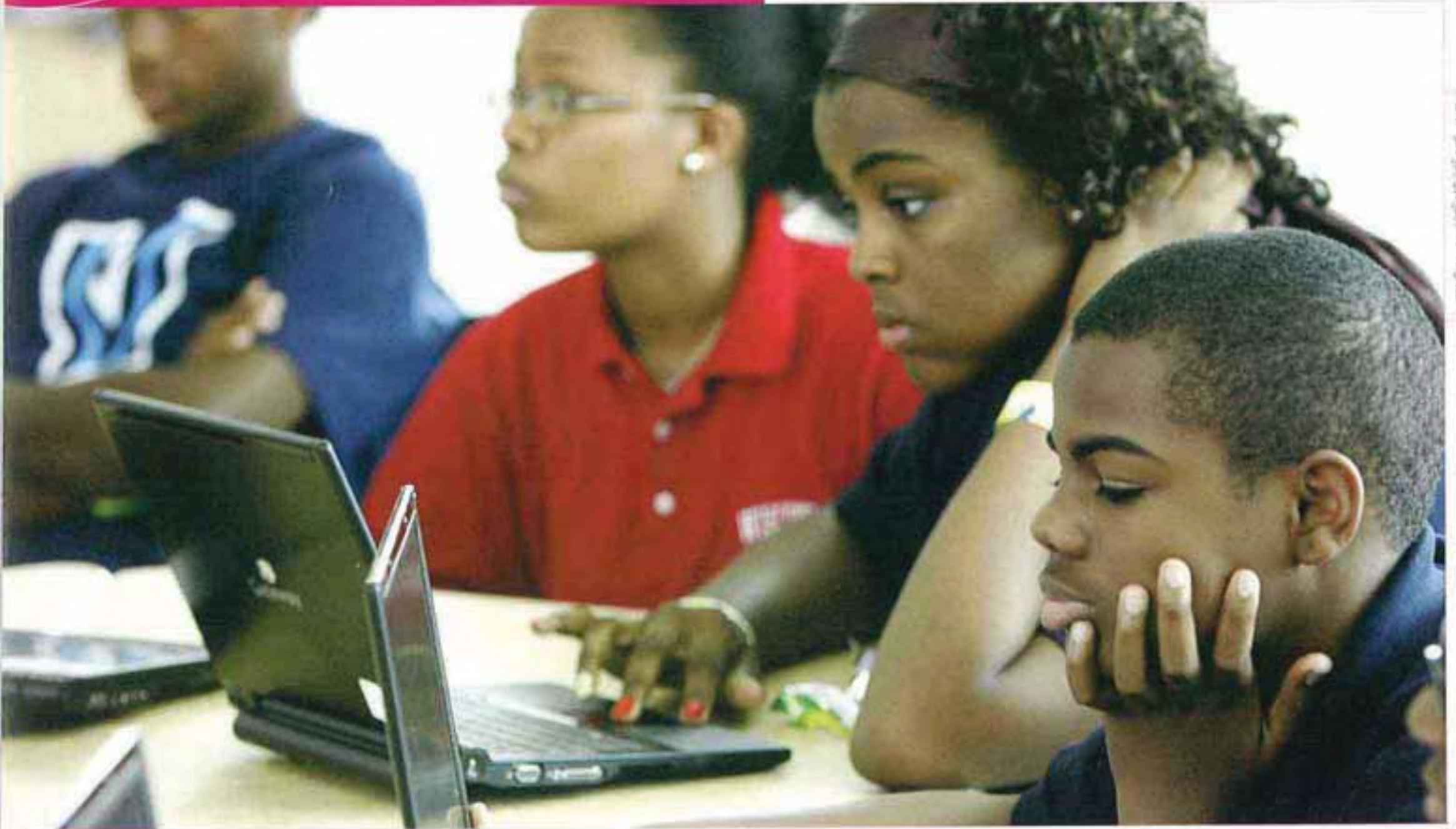
إن النوادر وحدها لا تبرهن كثيراً، وإننا لا نزال ننتظر التجارب العصبية والنفسية الطويلة الأجل التي ستقدم صورة نهائية عن كيف يؤثر استخدام الإنترنت في الإدراك. غير أن دراسة نُشرت حديثاً عن عادات بحث على الخط، أجراها علماء من جامعة لندن، تقترح أننا قد نكون وسط بحر من تغيّر في الطريقة التي نقرأ بها ونفكر. فحص العلماء - كجزء من برنامج بحث لمدة خمس سنوات - سجلات أداء حاسوب موثقة سلوك زوّار لموقعَيْ بحث شعبيين؛ شغَلت أحدهما المكتبة البريطانية، وشغَلت الثاني الجمعية التربوية البريطانية. يقدّم الموقعان حرية الوصول إلى مقالات الصحف، وكتب إلكترونية، ومصادر أخرى لإعلام مكتوب، فوجدوا أن الناس الذين يستخدمون المواقع التي عرضت «شكلاً من فعالية تصفّح» بالتنقل من مصدر إلى آخر نادراً ما عادوا إلى أي مصدر كانوا قد زاروه من قبل. إنهم لا يقرؤون على نحو نمطيّ أكثر من صفحة أو صفحتين من مقال أو كتاب، قبل أن يرغبوا في الانتقال إلى موقع آخر. كانوا أحياناً قد احتفظوا بمقال طويل، لكن ليس هناك من دليل على أنهم عادوا في أيّ وقت وقرؤوه فعلاً. يروي مؤلّفو الدراسة: «من الواضح أن المستخدمين لا يقرؤون على الخط بالطريقة التقليدية. هناك في الواقع علامات على أن أشكالاً جديدة من (قراءة) هي في طريق البزوغ عندما

الغموض ليس ثغرة للتبصر، بل علة ينبغي إصلاحها. إن الدماغ البشري هو مجرد حاسوب عتيق الزيّ بحاجة إلى معالج أسرع والى مسوق صلبٍ أكبر

يتصفح المستخدمون - أفقياً عبر عناوين - صفحات مرغوباً فيها وعويصة؛ بحثاً عن ضروب فوز سريعة. يبدو أنهم في الأغلب يتصلون على الخط لتجنب القراءة بالمعنى التقليدي».

نتيجة لوجود نصّ على الإنترنت في كل مكان في جميع الأوقات، من دون الإلماع إلى شعبية التراسل بالنصّ على ضروب الهاتف النقّال؛ فإن بإمكاننا اليوم أن نكون واسعي الاطلاع أكثر مما كنا في السبعينيات أو الثمانينيات من القرن الماضي عندما كان التلفاز وسيلة اختيارنا، لكنه نوع من القراءة مختلف، يكمن خلفه نوع مختلف من التفكير، لا بل من المحتمل أن يكون للذات معنى آخر.

تقول العالمة النفسية ماريان وُلف Maryanne Wolf - من جامعة تافتس Tufts، ومؤلّفة بروست والحبّار Proust and the



التكتكة المنهجية للساعة تساعد على تجسيد الذهن العلمي والرجل العلمي، إلا أنها تُقصي أيضاً شيئاً ما. كما لاحظ عالم الحاسوب الراحل جوزيف وايزنبوم

Squid - قصة وعلم دماغ القراءة The Story and Science of the Reading Brain: «إننا وفق الطريقة التي نقرأ بها». تخشى وُلف من أن أسلوب القراءة الذي تُعزّزه الشبكة، النموذج الذي يضع «الكفاية» و«الفوّرية» فوق أيّ شيء آخر، ربما يُضعف مقدرتنا على نوع من القراءة العميقة التي نشأت عندما قامت تقانة أسبق - الآلة الطابعة - بأعمال طويلة ومعقدة من نثر مألوف. إنها تقول: إننا عندما نقرأ على الخط نميل إلى أن نغدو «مجرد فكّاكي رموز إعلام». إن مقدرتنا على تفسير نصّ، وعلى جعل الاتصالات الذهنية الفنية - التي تتشكل عندما نقرأ بعمق ومن دون التهاء أو إلهاء - تبقى حرة على نحو واسع.

تفسّر وُلف Wolf ذلك قائلةً: إن القراءة ليست مهارة من مهارات الكائنات البشرية، إنها ليست مطبوعة في جيناتنا كما هو الكلام. علينا أن نعلّم أذهاننا كيف نُترجم الحروف الرمزية التي نراها إلى اللغة التي نفهمها. وإن وسائل الإعلام أو التقانات الأخرى التي نستخدمها في التعليم وممارسة براعة القراءة تؤدّي جزءاً مهماً في تشكيل الدارات العصبية في داخل أدمغتنا، تُبرهن تجارب على أن قرّاء للإيديوغرامات[٢] كالصينية تطور دارة ذهنية لقراءة هي مختلفة جداً عن الدارة التي عُثر عليها لدى بعضنا، أولئك الذين تستخدم لغتهم المكتوبة الألفباء. تمتد التغيرات عبر مناطق كثيرة من الدماغ، بما في ذلك تلك التي تحكم أمثال هذه الوظائف الجوهرية: كتذكر المنبهات والحوافز البصرية والسمعية وترجمتها. يمكن أن نتوقع أيضاً أن الدارات المحبوكة باستخدامنا للشبكة ستكون مختلفة عن تلك التي حيكت بقراءتنا لكتب وأعمال مطبوعة أخرى.

في أحد أيام عام ١٨٨٢م، اشترى فريدريك نيتشه Nietzsche آلة كاتبة، هي على وجه الدقة A Malling - Hansen Writing Ball. وكان بصره آخذاً في الضعف، وكانت عيناه مركزتين في صفحة قد غدتا مرهقتين ومؤلمتين؛ مما أدى أحياناً إلى أوجاع رأس ساحقة، كان قد أُجبر على بتر كتابته، وخشي أن يُجبر عاجلاً على التخلي عنها. جاءت الآلة الطابعة لتنقذه لمدة ما على الأقل، وما إن تضلّع في الضرب على الآلة الكاتبة حتى غدا قادراً على الكتابة بعينين مغلقتين مستخدماً رؤوس أصابعه فقط، واستطاعت الكلمات مرةً أخرى أن تتدفق من ذهنه إلى الصفحة.

إلا أن للآلة تأثيراً أكثر مهارة في عمله؛ فقد لاحظ أحد أصدقاء نيتشه، وهو ملحن، تغييراً في أسلوب كتابته. لقد غدا نثره المصقول والمحكم أشدّ إحكاماً وأكثر إيجازاً. «ربما سيكون لك عبر هذه الأداة أن تتقن حتى لهجة جديدة». هذا ما كتبه الصديق في رسالة مسجلاً ذلك في عمله الخاص هو، خصوصاً أن «أفكاره» في موسيقا ولغة تتوقف أحياناً على صفة القلم والورق.

أجاب نيتشه: «إنك على حق، إن أجهزة كتابتنا تشترك في تشكيل أفكارنا». تحت سيطرة الآلة، يكتب عالم وسائل الإعلام الألماني فريدريك كيتلر Friedrich A. Kittler: «إن نثر نيتشه تغيّر من حجج إلى أقوال مأثورة، من أفكار إلى توريات، من علم بيان أو بلاغة إلى أسلوب برقي».

إن الدماغ البشري مطواع تقريباً على نحو لا نهائي. اعتاد الناس الظنّ أن شبكتنا الذهنية الاتصالات الكثيفة المتشكلة بين ١٠٠ بليون أو نحو ذلك من نورونات في داخل جماجمنا كان قد ثبت على نطاق واسع خلال الزمن الذي بلغنا فيه سن الرشد. لكن باحثي الدماغ كانوا قد اكتشفوا أن ذلك ليس هو الحالة. يقول جيمس أولدس James Olds أستاذ علم الأعصاب الذي يدير معهد كراسنو Krasnow لدراسة متقدمة في جامعة جورج ميسون Mason: إن ذهني البالغ «لدنٌ جداً». إن خلايا العصب

تكسر على نحو رتيب اتصالات قديمة، وتشكل اتصالات جديدة. إن «للدماغ، حسب رأي أولدس Olds «المقدرة على أن يعيد برمجة نفسه وهو ناشط، معكراً الطريقة التي يعمل بها».

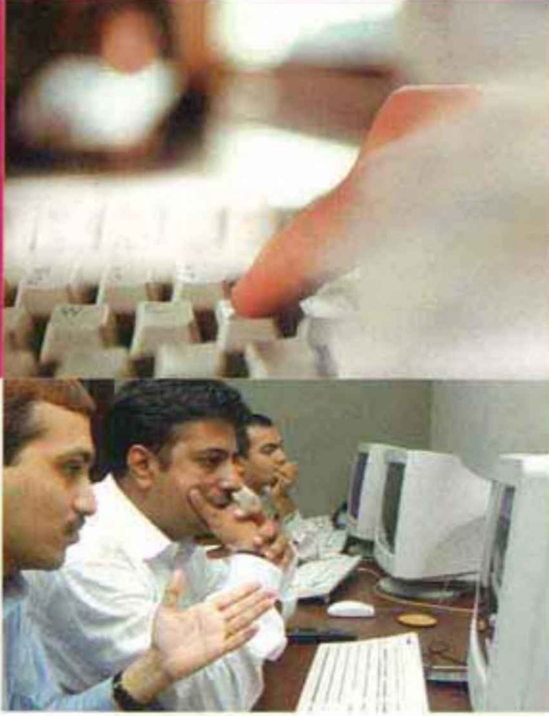
عندما نستخدم ما دعاه المختصّ في علم الاجتماع دانييل بل Daniel Bell «تقاناتنا الفكرية» فإن الأدوات التي تمدّ إمكاناتنا الذهنية، فضلاً عن الفيزيائية، تجعلنا على نحو لا مندوحة عنه نبدأ باتخاذ صفات هذه التقانات. إن الساعة الميكانيكية، التي شاع استخدامها في القرن الرابع عشر، تقدّم مثالاً مخضعاً بالقوة. في تقانات وحضارة Technics and Civilisation، وصف المؤرخ والناقد الثقافي لويس ممفورد Lewis Mumford كيف أن الساعة «فصلت زمناً من أحداث بشرية، وساعدت على إنشاء الاعتقاد بعالم مستقل ذي تواليات قابلة للقياس على نحو دقيق». إن «الإطار المجرد النظري لزمن منقسم» غدا «نقطة الإسناد لفعل وفكر كليهما».

إن التكتكة المنهجية للساعة تساعد على تجسيد الذهن العلمي والرجل العلمي، إلا أنها تُقصي أيضاً شيئاً ما. كما لاحظ عالم الحاسوب MIT الراحل جوزيف وايزنبوم Wei Zenbaum في كتابه عام ١٩٧٦م (قوة حاسوب ورشيد بشري: من حكم إلى حساب - :Computer Power and Human heaoom from Judgment to Coluction) مفهوم العالم الذي ينبثق من الاستخدام الممتد لأجهزة تسجيل الساعات، «تبقى رواية مفتقرة إلى تلك الأقدم؛ لأنها تبقى مرفوضة عن تلك التجارب المباشرة التي شكّلت بالفعل الأساس للحقيقة القديمة»، «وكونتها» بتقرير متى يُؤكل، ومتى يُعمل، ومتى يُنام، ومتى يُستيقظ، توقفنا عن الإنصات إلى أحاسيسنا، وبدأنا بإطاعة الساعة.

إن إجراء التكيّف مع تقانات فكرية جديدة إجراء منعكس في الاستعارات المتغيرة التي نستخدمها لتفسير أنفسنا لأنفسنا. عندما وصلت الساعة الآلية أخذ الناس في التفكير في أن أدمغتهم تعمل «كآلية الساعة». لقد توصلنا اليوم في عصر البرمجيات إلى التفكير فيها بأنها تعمل كـ«حواسيب». لكن التغيرات كما يخبرنا «علم الأعصاب» تذهب أعمق بكثير من المجاز، وبفضل لدونة دماغنا يحدث التكيّف أيضاً على مستوى بيولوجي.

تَعِدُ الإنترنت بأن تكون على نحو خاص وقائع بعيدة جداً عن الإدراك. في بحث نُشر عام ١٩٣٦م، برهن الرياضي البريطاني آلان تورينغ Alan Turing على وجود حاسوب رقمي في ذلك الوقت كآلة نظرية فقط، أمكن برمجته لينجز وظيفة أيّ نبيطة إجراء - إعلام أخرى، وهذا ما نراه اليوم. إن الإنترنت نظام حوسبة قويّ على نحو لا يُقاس، وهو مصنّف لأغلب تقاناتنا الفكرية الأخرى، وهذا ما نراه اليوم. إنه يغدو خريطتنا، وساعتنا، وآلتنا الطابعة، وآلتنا الكاتبة، وآلتنا الحاسبة، وهاتفنا، ومذياعنا، وتلفازنا.

عندما تمتصّ الشبكة وسطاً فإن ذلك الوسط يُعاد إنشاؤه في صورة الشبكة. إنها تحقن محتوى الوسط بوصلة ترابطية مفرطة، وإعلانات وامضة، وأشياء رقمية أخرى تافهة، وتحيط بمحتوى



محاولات للتركيز والتغلب على عناصر تشتيت الذهن

الإعلام من وجهة نظر غوغل هو نوع من سلعة، مصدر منفعي يمكن أن يعالج في أثناء الصنع بسلسلة من العمليات المتعاقبة بفعالية صناعية



الإنترنت هبطت القدرة على القراءة المعمّقة

جميع الأوساط الأخرى التي كانت قد امتصتها. إن رسالة بريد إلكتروني جديدة مثلاً يمكن أن تعلن عن وصولها عندما نلقي نظرةً عجلى على العناوين الأخيرة في موقع الصحيفة. تكون النتيجة تبديد انتباهنا، وفقدان تركيزنا.

إن تأثير الشبكة لا ينتهي عند أطراف شاشة حاسوب أيضاً. ما إن تغدو أذهان الناس متناغمة مع الضربة الواهنة لوسائل إعلام الإنترنت فإن على وسائل الإعلام التقليدية أن تتكيّف مع حسب التوقعات الجديدة لجمهور المستمعين. تضيف برامج التلفاز حسب نصّ، وانبثاق إعلانات، وتقصر مجلات وصحف مقالاتها، وتُدخل مختصرات شديدة الإيجاز، وتحشد صفحاتها مع سهولة في تصفّح نتف إعلامية. في آذار (مارس) من هذا العام، عندما قرّرت صحيفة The New York Times أن تخصّص الصفحتين الثانية والثالثة من كل عدد لمقالات موجزة، فإن مدير التصميم الفني توم بودكين Tom Bodkin، فسّر ذلك بالقول إن المختصرات ستعطي القرّاء الذين هم في عجلة من أمرهم مقداراً قليلاً من أخبار اليوم، موفرة عليهم الطريقة الأقل جدوى من تقليب الصفحات وقراءة الموضوعات. ليس لدى الصحافة إلا اختيار ضئيل، لكنها تؤدي دورها وفق قواعد رسائل الإعلام الحديثة.

لم يكن هناك مطلقاً نظام تواصل يقوم بعدد كبير من الأدوار في حيواتنا، أو مارس تأثيراً واسعاً كهذا في أفكارنا كما تقوم بذلك الإنترنت اليوم. هناك إضافةً إلى ذلك – من أجل كل ما كُتب حول الشبكة – قليل من الاهتمام عن كيف أنها تعيد برمجتنا تماماً. إن الأخلاق الثقافية للشبكة تبقى غامضة.

في الوقت نفسه تقريباً، الذي بدأ فيه نيتشه Nietzche باستخدام آلته الكاتبة، كان شاب جادّ يدعى فريدريك وينسلو تايلور Frederick Winslow Taylor يحمل ساعة توقيت إلى داخل مصنع فولاذ Midvale في فيلادلفيا، وبدأ سلسلة تاريخية من تجارب بهدف تحسين جدوى ميكانيكيي المصنع. وقد جنّد – بموافقة مالكي المصنع – مجموعة من أياد عاملة للعمل على آلات صُنع الأدوات المعدنية، وسجل ووقّت كل حركة من حركاتهم. كما سجل عمليات الآلات، بتقسيم كل عمل إلى توالي خطوات صغيرة متحفظة، ومن ثم اختبار طرائق مختلفة لإنجاز كل عمل منهم.

أنشأ تايلور مجموعة من تعليمات دقيقة، «حساباً» يمكن أن نقول اليوم من أجل الكيفية التي ينبغي على كل عامل أن يعمل وفقها: تذمّر موظفو ميدفيل من النظام الجديد الصارم، مدّعين أن ذلك يحوّلهم إلى أكثر قليلاً من أشخاص يعملون بطريقة رتيبة أو آلية، غير أن إنتاجية المصنع قد ارتفعت.

بعد أكثر من مئة عام على اختراع الآلة البخارية، وجدت الثورة الصناعية أخيراً فلسفتها وفيلسوفها. كان وضع الألحان الراقصة الصناعية لـ«نظام» تايلور - كما أحبّ أن يدعوه - قد غدا مقبولاً من الصنّاع في كل مكان من القطر، وعاجلاً أم آجلاً حول العالم. استخدم أصحاب المصنع؛ بحثاً عن سرعة عظمى، وجدوى عظمى، ومردود أعظم، دراسات زمن وحافز لتنظيم عملهم، وترتيب مهمات عمّالهم. إن الهدف - كما عرّفه تايلور في مجلده الشهير عام ١٩١١م: مبادئ الإدارة العلمية، كان تحديد هوية وتبنٍّ لكل مهمة «الطريقة الأجود» للعمل، وبتلك الوسيلة إجراء «الاستبدال التدريجي للعلم حسب حكم التجربة في كل مكان من الفنون الميكانيكية». ما إن طبّق نظامه على جميع صكوك عمل يدوي حتى أكد تايلور لأتباعه أن ذلك ليس فقط إعادة بناء لصناعة، بل لمجتمع، مُنشئاً طوبى لجدوى كاملة.



مسابقة العدد

أسماء الفائزين



العددان ٣٨٧/٣٨٨
(رمضان - شوال ١٤٢٩ هـ)

الفائز الأول:	سعود حمد عبدالرحمن - الرياض - السعودية.
الفائز الثاني:	محمد خلف ثابت حسن - بور سعيد - مصر.
الفائز الثالث:	معاذ محمد نجيب باكير - حلب - سورية.
الفائز الرابع:	نعمان حسين الزواري - قليبية - تونس.
الفائز الخامس:	سهاد عمر رشاد - أبوظبي - الإمارات.
الفائز السادس:	مريم علي الجيلاني - حضرموت - اليمن.
الفائز السابع:	إبراهيم حمانة لويزي - تبسة - الجزائر.
الفائز الثامن:	أحمد علي الخرويي - عمان - الأردن.

حل المسابقة



العـــــددان ٣٨٧ / ٣٨٨
رمضان - شوال ١٤٢٩هـ

١- فرض صوم رمضان في السنة الثانية من الهجرة.

٢- السيناريو هو نص سينمائي مكتوب وكامل يتضمن الحركة والحوار وتسلسل القصة.

٣- هل الدهر إلا ما رأينا وأدركنا
فجائعه تبقى ولذاته تفنى
قائل البيت هو: ابن حزم الأندلسي.



أسئلة مسابقة

الـ ـدان ٣٩٣-٣٩٤
الربيعان ١٤٣٠هـ.

(١) متى كان انطلاق المهرجان الوطني للتراث والثقافة (الجنادرية)؟ ....

....

(٢) ما اسم رواية الأديب السوداني الطيب صالح التي تحولت إلى فلم سينمائي؟ ....

....

(٣) ما الأحفورة؟ ....

....

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد ......)

طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة ثالثة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات الإخوة القراء المتابعين للمسابقة تمت زيادة قيمة الجوائز، بعد أن سبق مضاعفتها من قبل.

فقد تم رفع قيمة الجائزة الأولى من ١٠٠٠ ريال إلى ١٥٠٠ريال، والجائزة الثانية من ٧٠٠ إلى ١٠٠٠ ريال، والجائزة الثالثة من ٥٠٠ إلى ٧٠٠ ريال، والجائزة الرابعة من ٤٠٠ إلى ٥٠٠ ريال، والجائزة الخامسة من ٢٥٠ ريالاً إلى ٣٥٠ ريالاً، والجائزة السادسة من ١٥٠ ريالاً إلى ٢٥٠ ريالاً. وتظل الجائزتان السابعة والثامنة على ما كانتا عليه.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



قسيمة اشتراك أفراد (مخفضة)

الاسم: ....

العنوان: ....

المدينة: ....

الدولة: ....

ص.ب: .... الرمز البريدي: .... هاتف: .... ناسوخ: ....

- قيمة الاشتراك السنوي لـ (١٢ عددًا) ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلها بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.
- ترسل قيمة الاشتراك بشيك مصدق لأمر مجلة الفيصل الثقافية، أو يتم توريدها في حسابنا رقم (٠٠١ ـ ٠٥٥٥٠٥ ـ ٠٠٤) في البنك السعودي البريطاني، شارع العليا العام ـ الرياض.
- يشترط إرفاق القسيمة مع طلب الاشتراك.

ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥/ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

صرح قائلاً: «كان الإنسان في الماضي هو الأول».

إن وسائل الإعلام أو التقانات الأخرى التي تستعملها في تعلّم براعة القراءة تقوم بدور مهم في تشكيل الدارات العصبية داخل أدمغتنا.

لا يزال نظام تايلور معنا على نحو دائم، إنه يبقى علم أخلاق العمل الصناعي. والآن بفضل القوة المتنامية التي يستخدمها ببراعة مهندسو الحاسوب، وواضعو رمازات البرمجيات، وواضعو أنظمة تسيطر على حيواتنا الفكرية: فإن أخلاقية تايلور آخذة في التحكم في عالم الذهن أيضاً. إن الإنترنت آلة صُمّمت لجمع إعلام ونقله وتداوله، ويجادل حشود مبرمجيها في محاولة لإيجاد «أجود طريقة» - النظام البالغ حدّ الكمال - لتنفيذ كل حركة ذهنية لما جئنا على وصفه كـ«عمل معرفة».

إن المركز الرئيس لغوغل، في ماوتن فيو Mountain View، كاليفورنيا - الغوغل بليكس Googleplex - هو المؤكّد للطقوس والعناصر التقليدية. إنه المعبد الأعلى للإنترنت. والدين المُمارَس داخل جدرانه هو مذهب تايلور Taylorism. يقول إريك شميدت Eric Shmidt - الرئيس التنفيذي لغوغل - «إنها شركة أُسّست حول علم القياس». وهي تجاهد لتجعل «كل شيء تعمله نظامياً». إنها ترسم على ضروب ترابايت Terabytes[1] لمعطيات سلوكية تجمعها عبر آلة بحثها ومواقع أخرى لتنفّذ آلافاً من تجارب في اليوم حسب مجلة Harvard Business، وتستخدم النتائج لتدخل تحسينات على الألغوريتمات التي تراقب على نحو متزايد كيف يجد الناس إعلاماً ويستخلصون معنى منه. إن ما قام به تايلور Taylor من أجل عمل اليد يقوم به غوغل Google من أجل عمل الذهن.

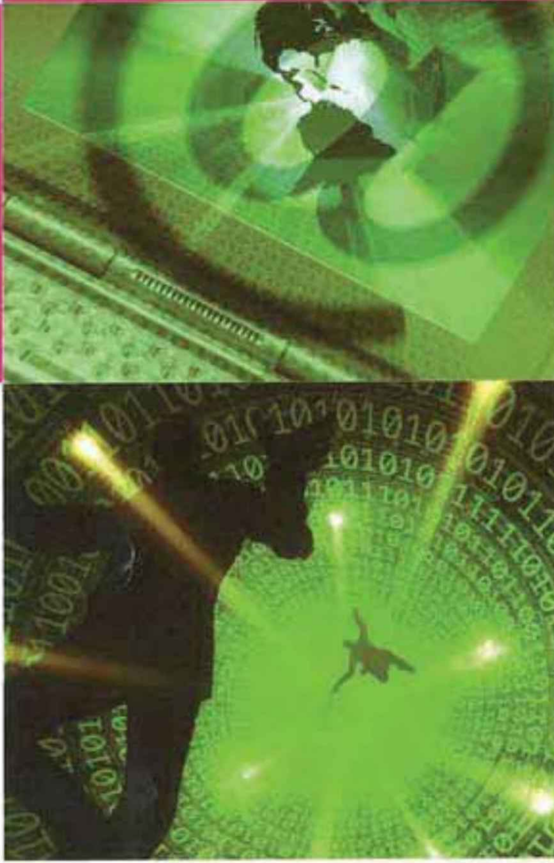
لقد صرّحت الشركة بأن مهمتها هي «في تنظيم الإعلام العالمي، وجعله في المتناول عالمياً ومفيداً». إنها تبحث عن تطوير «آلة البحث البالغة حدّ الكمال»، التي تعرّفها كشيء ما «يفهم تماماً ما تعني، ويعيد إليك تماماً ما ترغب فيه». إن الإعلام من وجهة نظر غوغل هو نوع من سلعة، مصدر منفعي يمكن أن يعالج في أثناء الصنع بسلسلة من العمليات المتعاقبة بفعالية صناعية. كلما ازدادت عيّنات إعلام نستطيع «بلوغها»، ونستطيع بسرعة استخلاص جوهرها، تكون أكثر إنتاجاً كمفكرين.

أين ينتهي؟ يتكلم سرجي برين Sergey Brin ولاري بيج Laary Page - الشابان الموهوبان اللذان أسّسا غوغل في أثناء متابعتهما درجة الدكتوراه في علم الحاسوب في ستانفورد Stanford - أنهما كثيراً ما يعربان عن رغبتهما في تحويل آلة البحث الخاصة بهما إلى ذكاء صنعي، إلى آلة شبيهة بطبقة تجريد الخردوات Hal، الآلة التي يمكن أن توصل مباشرة بأدمغتنا. «إن آخر آلة بحث هي شيء ذكيّ كذكاء الناس، أو أكثر ذكاءً منهم»، قال ذلك بيج Page في خطاب له منذ عدة سنوات. بالنسبة إلينا «إن العمل في البحث هو طريقة للعمل على ذكاء صنعي». وقال برين Brin في مقابلة مع صحيفة نيوزويك News week الأمريكية عام ٢٠٠٤م: «من المؤكد إن لم يكن جميع إعلام العالم مرتبطاً مباشرة بدماغك، أو بدماغ صنعي أكثر ذكاءً من ذكائك، فأجدر بك أن تكون في حالة أفضل». في العام الماضي أخبر بيج Page في مؤتمر عقده علميّون بأن غوغل «تحاول في الحقيقة أن تبني ذكاءً صنعياً، وأن تقوم بذلك على سلم كبير».

إن طموحاً كهذا طموح طبيعي، لا بل هو طموح مرموق لشخصين فائقي البراعة في الرياضيات، وتوجد تحت تصرّفهما مقادير واسعة من المال وجيش صغير من علميي حاسوب. جاء على لسان إريك شميدت أن غوغل المشروع العلمي على نحو أساسي المحرّض برغبة في استخدام تقانة، ولحل مشكلات ما كانت قد حُلّت مطلقاً من قبل. واستخدام ذكاء صنعي هو أصعب مشكلة ظهرت هناك. لماذا لم يرغب برين Brin وبيج Page في أن يكونا مَن يحلّ رموزها؟

لا يزال افتراضهما السهل أننا جميعاً نرغب في أن نكون «في حالة أفضل» إن كان دماغنا قد أُلحق أو حتى استُبدل به ذكاء صنعي ليكون مزعزعاً. هناك اعتقاد بأن الذكاء هو نتاج إجراء ميكانيكي، سلسلة من خطوات منفصلة يمكن أن تكون معزولة ومقيسة، وأن تُحمل في حدها الأعلى من الكمال. يوجد في عالم غوغل - العالم الذي ندخله عندما نذهب على الخط - مكان

لدى أغلب أصحاب الإنترنت التجاري حصة مالية في جمع المقادير الضئيلة من المعلومات التي نتركها في الخلف عندما ننتقل بسرعة من مكان إلى آخر



صغير لتشوّش التأمل. إن الغموض ليس ثغرة للتبصر، بل علة ينبغي إصلاحها. إن الدماغ البشري هو مجرد حاسوب عتيق الزيّ بحاجة إلى معالج أسرع وإلى مسّوق صلب أكبر.

إن الفكرة بأنه يترتب على أدمغتنا أن تعمل كآلات معالجة عالية السرعة لمعطيات ليست مبنية فقط على ضروب عمل الإنترنت، إنها نموذج العمل المسيطر على الشبكة أيضاً. كلما ازدادت سرعة الأمواج عبر الشبكة، وازداد عدد الوصلات التي نطرقها، والصفحات التي نراها، ازدادت فرص غوغل وشركات أخرى في جمع إعلام بشأننا كي تمدّنا بإعلانات.

إن لدى أغلب أصحاب الإنترنت التجاري حصة مالية في جمع المقادير الضئيلة من المعلومات التي نتركها في الخلف عندما ننتقل بسرعة من مكان إلى آخر، وكلما ازدادت هذه المقادير الضئيلة كان ذلك أجود. إن آخر ما ترغب فيه هذه الشركات هو تشجيع القراءة المتروّى فيها، أو التفكير البطيء المركز.

ربما أكون متشائماً فقط. وكما أن هناك تماماً ميلاً إلى تمجيد تقدم تكنولوجي فإن هناك نزعة مضادة بتوقع الأسوأ من كل أداة أو آلة جديدة. فيفادروس Phaedrus أفلاطون، تحسّر سقراط على تطوّر الكتابة، خشي من أن يصل الناس إلى الاعتماد على الكلمة المكتوبة بديلاً للمعرفة التي اعتادوا حملها في رؤوسهم، فإنهم كما قال أحد رموز الحوار «يتوقفون عن تدريب ذاكرتهم، ويغدون كثيري النسيان». ولأنهم يرغبون في أن يكونوا قادرين على «الحصول على مقدار من إعلام من دون تعليم مناسب فسيعتقدون أنهم على معرفة عالية»، وفي الوقت الذي هم فيه جهلة تماماً «سيكونون مملوئين بإدراك حكمة بدلاً من حكمة حقيقية». لم يكن سقراط على خطأ، لقد كان للتقانة الجديدة أحياناً تأثيرات خشي هو منها، غير أنه كان قصير البصر. لم يستطع توقّع الأساليب الكثيرة بأن الكتابة والقراءة سوف تعمدان في نشر إعلام، وحث أفكار جديدة، وتوسيع المعرفة البشرية (إن لم تكن الحكمة).

يُظهر وصول الآلة الطابعة إلى جوتنبرغ في القرن الخامس عشر جولة أخرى من صرير أسنان. خشي الفيلسوف الإنساني الإيطالي هيرونيمو سكوارسيافيكو Hieronimo SQuarciafico من أن التوافر السهل للكتب سيقود إلى كسل فكري، جاعلاً الناس «أقلّ ولعاً بالدراسة»، ومضعفاً أذهانهم. يجادل آخرون بأن كتباً مطبوعة على نحو رخيص، وعلى أوراق عريضة ستُضعف سلطة دينية، وتحطّ من قدر عمل العلماء والكتّاب، وتنشر التحريض على الفتنة والفسوق. كما يسجل كلي شيركي Clay Shirky: «إن أغلب الحجج ضد الصحافة المطبوعة كانت صحيحة، وحتى ذات بصيرة». لكن رسل الشؤم كانوا أيضاً غير قادرين على تخيّل العدد الضخم من البركات والنعم الذي قد تقدّمه الكلمة المطبوعة.

هكذا، نعم ينبغي عليك أن تكون متشككاً من نزوعي إلى

الإنترنت آلة صُممت لجمع إعلام ونقله وتداوله، ويجادل حشود مبرمجيها في محاولة لإيجاد «أجود طريقة» - النظام البالغ حدّ الكمال - لتنفيذ كل حركة ذهنية لما جئنا على وصفه كـ«عمل معرفة»

الشك. ربما أولئك الذين يصرفون النظر عن ضروب نقد الإنترنت، من أمثال محطمي المكنات Ludists[6]، أو أمثال مصنفي الأمراض، سيُبرهن على أنهم على حق. ومن المعطيات الناشطة على نحو مفرط أن المعطيات المخزنة في الأدمغة ستفجر عصراً ذهبياً لاكتشاف ثقافي وحكمة عالمية، وعندئذ أيضاً فإن الشبكة ليست الأبجدية، وعلى الرغم من أنها قد تحلّ محلّ الآلة الطابعة فإنها تنتج شيئاً مختلفاً كلياً، نوعَ قراءة عميقة بقدر ما تنشئ من صفحات مطبوعة قيّمة، ليس فقط للمعرفة التي نحصل عليها من كلمات المؤلف، بل للاهتزازات الثقافية التي تُبرز هذه الكلمات في أدمغتنا. إننا في المجالات الهادئة البادية للعيان بالقراءة المدعومة غير المخلة لكتاب، أو بفعل أيّ دراسة تأملية أخرى لتلك المادة؛ نصنع تداعياتنا الخاصة، ونستخلص مداخلاتنا وقياسنا التمثيلي الذاتي، ونعزّز أفكارنا الذاتية. إن قراءة عميقة، كما يحاول ماريان ولف Maryanne Wolf، غير قابلة للتمييز من تفكير عميق.

إن نفقد هذه المجالات الهادئة، أو إن نملأها بقناعة بمحتوى، فإننا سنضحي بشيء ما مهم، ليس فقط في أنفسنا، بل في ثقافتنا. في مقال حديث، وصف الكاتب المسرحي ريشارد فورمان على نحو بليغ ما هو مهدّد: «أجيء من انحدار ثقافة غربية، كان فيها المثل الأعلى (الهدف الخاص بي) هو المعقّد والكثيف وذو البنية (الشبيهة بكاتدرائية) لشخصية عالية الثقافة ومترابطة - رجلاً كان أو امرأة - ممن حمل في داخله رواية وحيدة عن الميراث الكامل للغرب. (لكن الآن) أرى داخلنا (بما فيهم أنا) الاستبدال بثقافة داخلية معقدة نوعاً جديداً من ذات متطورة تحت ضغط إعلام مُثقل وتقانة (المتوافر آنياً)».

يستنتج فورمان Foreman أن ذخيرتنا الداخلية من الثقافة الكثيفة قد استنفدت، ونخاطر بعودة إلى «شعب الفطيرة»: الشعب المنتشر على نحو واسع ونحيل عندما نتواصل بتلك الشبكة الإعلامية الواسعة التي يمكن الوصول إليها بمجرد لمس زر كهربائي.

إنني مكثر التردّد على ذلك المشهد في عام ٢٠٠١م. إن ما يجعله صائباً على النحو المشار إليه وعجيباً هو إجابة الحاسوب المثيرة على رغم تفكك ذهنه: إن قنوطه ما إن يغدو دارة بعد أخرى دكناء فإن محاجّته الصبيانية مع رائد الفضاء البيكوكبي

- «أستطيع الإحساس به، أستطيع الإحساس به، إني خائف»

- وارتداده النهائي إلى ما لا يمكن تسميته إلا حالة براءة. إن ضروب تدفّق إحساس طبقة تجريد الخردوات (Hal) من دون عاطفة أو إحساس بانفعال ما يمثّل الصور البشرية في الفلم، الذي يشرع بالطوفان حول علمهم بجدوى رابوطية تقريباً. إن أفكارهم وأفعالهم تحسّ بكونها مكتوبة بآلة كما لو أنها تتبع نظام العدّ العشري. هذا هو جوهر نبوءة كوبريك القائمة: إن نغد معتمدين على حواسيب؛ لتوسّع فهمنا للعالم، فإن ذكاءنا الخاص هو الذي يتمهد داخل ذكاء صنعي.

لقد غدا الناس في عالم الـ٢٠٠١م كآلة، حتى إن أغلب الشخصية البشرية يغدو آلة. هذا هو جوهر نبوءة كوبريك القائمة: إن يزدد اعتمادنا على الحواسيب في أن تكون وسيلتنا لفهم العالم فإن ذكاءنا الذاتي يزداد في الانخفاض إلى ذكاء صنعي متكلّف.

الهوامش

(*) إنترنت Internet: شبكة الاتصالات العالمية بالحاسوب. (المترجم)

(١) حاسوب Computer (عقل إلكتروني). (المترجم)

(٢) Hal مختصر Hardware Abstraction Layer طبقة تجريد الخردوات. (المترجم)

(٣) الإيديوغرامات Ideograms: صوراً أم رموزاً، تُستعمل في نظام كتابي ما، وتمثّل شيئاً أو فكرة، لا كلمات خاصة بهذا الشيء أو تلك الفكرة. (المترجم)

(٤) نيتشه (١٨٤٤-١٩٠٠م): فيلسوف ألماني أخذ بمذهب التطور، وقال إن الحياة ليست غير تنازع البقاء وبقاء الأصلح، وإن الانسان الأعلى هدف يجب الوصول إليه. وكان نيتشه من مؤسسي المرقية الجرمانية، ويتلخص مذهبه فيما يدعى بـ «إرادة القوة».

(٥) Terabyte مختصرة TB، وهو وحدة قياس تستخدم لخزن معطيات سعة عالية، وهو يساوي ٢ ٤٠ أو ١،٠٩٩،٥١١،٦٢٧،٧٧٦ بايت، ويعبّر عنه عادة بترليون بايت. (المترجم)

(٦) محطم المكنات هو أحد أعضاء جماعة من العمال الانجليز عمدت في أوائل القرن التاسع عشر إلى تحطيم مكنات المصانع لاعتقاد الجماعة بأن استعمال هذه المكنات سوف يقضي على تناقص الطلب على الأيدي العاملة. (المترجم)

رداء من فرو

للكاتب الإيرلندي: شين أوفولين

ترجمة: وفيق فائق كريشات

قصة

لما أصبح ماكواير أمين السرّ البرلماني لوزير الطرق والسكك الحديدية طوّقت زوجته عنقه بذراعيها، وقامت على رؤوس أصابعها، ونظرت في عينيه. ثم قالت بكثير من الحب: «والآن يا بادي، يجب أن أنال رداء من فرو».

«بلا ريب، بلا ريب، يا عزيزتي»، صاح ماكواير وقد أمسك بها ليبعدها عنه قليلاً. إنها لمّا تزل امرأة ضئيلة الجسم ووسيمة، وإن بدا في شعرها علامات الشيب، وفي ظهرها الانحناء. «فلتنالي رداءين من فرو! منذ اليوم سوف يعطينا متجر سويتْزَر ما شئنا».

رجعت مولي إلى كرسيّها فجلست، وشبكت أصابعها بين ركبتيها، ثم أنشأت تقول له مؤنّبةً:

«أتحسبني مبذّرة».

«صدّقيني إذا قلت لك: إنني لا أحسبك كذلك. لقد مرّت علينا أيام بؤس، وآن لنا أن نرتاح قليلاً في آخر عمرنا. أحبّ أن أرى زوجتي ترتدي رداءً من فرو، وأحبّ أن تسرق البريق من (ولايا) شارع غرافتن، تلك (الولايا) المطليات اللاتي لا خير فيهن للربّ ولا للعبد، فما بالك بإيرلندا! فلتنالي رداء من فرو مهما كلّف الأمر. انزلي غداً في الصباح إلى متجر سويتزر». قال ذلك صائحاً بكل ما أوتي من براءة الرجل الغرّ المحب. «واطلبي خير أردية الفرو، وأغلاها ثمناً».

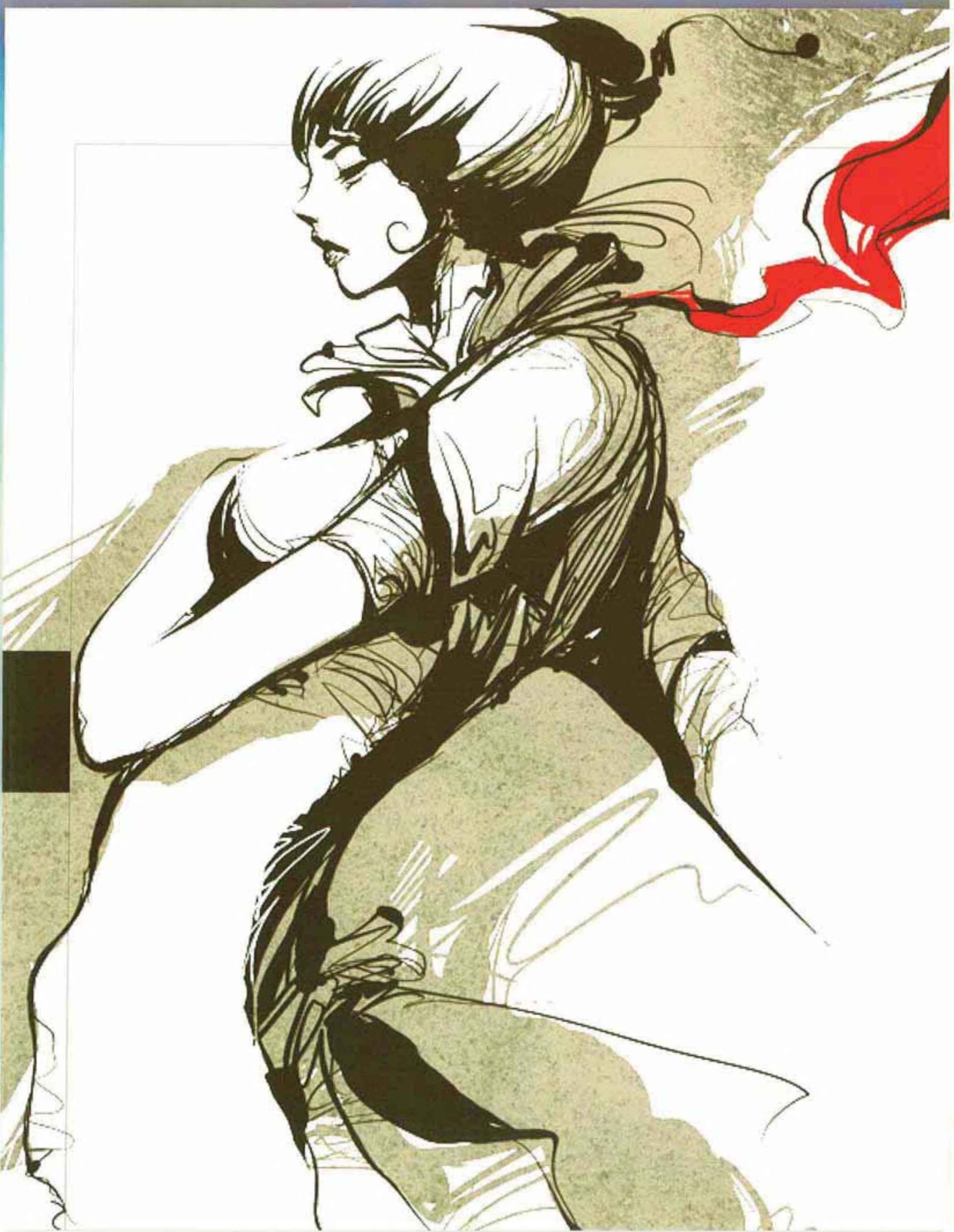
نظرت مولي ماكواير إليه بمحبة وضيق. لقد هذّبتها السنون تهذيباً بليغاً: السياسة، والثورة، والزوج الذي زُجّ في السجن، ثم أفرج عنه مرةً بعد مرةً، والأولاد الذين عاشوا على نفقة الأقارب وصناديق أُسَر السجناء. وإن إمارات السنين لتُرى على أطراف أناملها الخشنة جداً ذات اللون الوردي الفاتح، وفي عينيها ذات البريق الألماسي.

«يا لحمقك يا بادي. أتدري كم يكلفك رداء من مِنْك؟ هذا إذا لم نذكر السمّور، ولم نهمس باسم عريض الذيل».

«ليكن ثمنه مئة جنيه». قالها بادي بجرأة. «ما المئة جنيه؟ منذ اليوم سأدير بيدي الملايين من المال العام، ينبغي أن أتطلّع إلى الأمور العظيمة».

ردّت بلهجة ليمرك الدافئة بهدوء وكبرياء يليق بامرأة طالما أدارت بيدها الآلاف من أوراق النقد في دكان أبيها الريفي:

«أتدري، يا بادي ماكواير، كم يكلّفك رداء من فرو من الطراز الأول؟ قد يكلّفك ألف جنيه أو أكثر».



«ألف جنيه؟ لرداء؟ حقاً هذا أجر سنة كاملة».

«أجل».

وانقبض بادي ثم قال محاذراً: «وهل الذي في نيّتك هو هذا الصنف؟».

ضحكت وقد أرضاها أنها زعزعت من ثقته بنفسه.

«البتة. أفكر في شراء رداء حسن صغير، سعره قريب من ثلاثين جنيهاً أو أربعين، ولا يزيد على خمسين. أكثير هذا؟».

«انزلي في الصباح إلى متجر سويتزر، وائتي بالرداء على ظهرك».

لكنها، حتى ها هنا، حسبت أنها وجدت فيه عجلة توحي بأنه لا يزال يرى نفسه عظيماً. وتغافلت عن هذا، وقالت: إنها ستنظر في الأمر، وإنها ليست في عجلة من أمرها. ولم تأتِ على ذكر الأمر إلا بعد خمس عشرة دقيقة.

«بادي! أحدّثك عن ذلك الرداء. أرجو – صادقةً – ألا تحسبني سوقيةً؟».

«وكيف تكونين سوقية؟».

«نوع من حداثة النعمة. إنني لا أرغب في الرداء للمباهاة». وانحنت نحو الأمام جادةً: «أتدري لماذا أريد رداءً من فرو؟».

«ليدفئك. هل في الأمر غير هذا؟».

«أجل، أحسبه لذلك أيضاً». قالت باقتضاب موافقةً. «لكن ينبغي أن تعلم أننا ابتداءً من اليوم سوف نُدعى إلى حفلات واستقبالات وما شابه ذلك، وليس عندي خرقة من ثياب».

«قد علمتُ ذلك!». قال بادي باقتضاب موافقاً، لكنها علمت أنه لم يعلم.

«انظر». قالت تشرح له. «أرغب في شراء شيء أرتديه لمدة طويلة. لست أريد رداءً من فرو من أجل العظمة». قالت هذا وفي لهجتها ازدراء. «أريد أن ألبسه وأخرج بزيّ حسن كالأخريات. وكما تعلم، فيمكن تحت رداء من فرو ارتداء الأسمال العتيقة».

«الظاهر أن هذه فكرة حسنة». نظر في الأمر بحكمة كنظرته في مذكرة لإحدى الطرق الدائرية البارزة. أما هي فسوّت من وقفتها راضيةً لنجاحها في إراحة ضميرها.

بيد أنه أفسد هذا كله إذ سأل: «لكن أخبريني: ماذا تفعل النسوة اللاتي ليس عندهن أردية من فرو؟».

«يلبسن».

«يلبسن؟ أما كلّكن تلبسن؟».

«بادي، لا تكن أبله! ليس لهن همّ إلا في اللباس. وأنا ليس عندي فراغ للباس. أنا امرأة كثيرة الشغل، كما أن اللباس يكلّف كثيراً من المال». لمحت ها هنا في عينيه ومضة خاطفة أنبأت عن أن الأربعين جنيهاً أيضاً ليس بالمبلغ الذي يُزدرى. «وأعني أن عندهن أزياء بخمسة وعشرين جنيهاً، خمسة أو ستة. إنهن يهدرن من أجلها كثيراً من المال والفكر. إنهن يعشن لأجلها. ولو كانت زوجتك من إحداهن لعلمت ما للباسها من معنى. إن الجميل في رداء الفرو هو أن لبسه لا يجعلك أقلّ مقاماً من الآخرين».

«طيّب. هذا حسن! اشتري ذلك الرداء».

من الواضح أنه ما عاد متحمساً للأمر. لقد علم أن رداء الفرو ليس بالشيء العظيم. إنه شيء نافع فحسب. وقرّب إليه محفظته الجلدية. كان عليه أن يدرس الرصيف الممتد في البحر في ناحية كيري. واستأنف الكلام قائلاً: «أتدرين، سوف يكون الرداء جميلاً ومدفئاً. سيقيك البرد».

«أجل، لا ريب، مدفئ، لا ريب، لا ريب».

واندفعت خارجة من الحجرة، وصفقت الباب. ودسّت الأولاد في فُرُشهم كما لو أنها ترمي أكياساً من الخث في القبو. ولما رجعت كان قد انكبّ على الخرائط والتفاصيل. أخذت في رفع بيجامات الأولاد، وبعد وقت قصير شالتها ونظرت إليها بيأس، وتركتها في حجرها، ونظرت إلى الثياب التي تحتاج إلى رفع وقد تكوّمت إلى جانبها.

«أحسبهم سوف يخترعون بعد موتي بيجامات بلاستيكية تُغسل بليفة الجلي وتُصلَح بالغراء».

وحدقت في النار الموقدة بالخث. اثنتا عشرة بيجاما.. ألبسة تحتبة للعائلة كلها..

«بادي!»..

«هه؟»..

«إن آخر شيء أريده أن يخطر ببال الناس - ولو عرضاً - أن لي نزوات فاحشة». وراقبته برجاء. كان غارقاً في مخططاته.

«أؤكد لك، يا بادي، أنني أشمئز مما في يومنا هذا من تباه».

«هذا حق».

«يا لأولئك النسوة اللاتي يحسبن أنهن لا يرتقين السلم

الاجتماعي ما لم يكن لهن أردية من فرو!».

نخر فوق خريطة الرصيف.

«ولأنني لا أكترث لما تقوله يا بادي، ولا ما يقوله الناس: فإن لرداء الفرو وجهاً سوقياً. إنه لا شكل له. فأر المسك خاصة. إن الحمل الهندي الأسود هو ما كان في فكري. إن الفرو الحقيقي هو فرو الأوسلوت، بيد أنه عزيز المنال، الحقيقي منه، ولا أرغب أن يراني الناس ميتة في أوسلوت زائف».

وألقى نظرة جانبية خاطفة من على الطاولة: «الظاهر أنك تعرفين كثيراً عن الفرو». وقوّم جلسته، وابتسم ابتسامة تنمّ على حسن النية: «لم أكن أدري أنك تتوقين إلى رداء من فرو كل هذه المدة».

«من قال إنني أتوق؟! لا، ليس الأمر هكذا. ماذا تعني؟ كفّ عن البلاهة. إنني أريد شيئاً لائقاً ألبسه إذا ذهبت إلى استعراض ما، أو ألبسه فوق ثوب الرقص، ولا شيء سوى هذا. ماذا قصدت



بقولك: أتوق؟».

«طيّب، ما العيب في ثوبك ذي الفرو على أكمامه، ثوبك البراق المزيّن بما تسمينه: اللمعة؟ أليس هكذا اسمه؟».

«ذاك! أتعني ذاك؟ بحق السماء لا تتكلم على أمور لست تعلم عنها شيئاً. إنه عندي منذ أربع عشرة سنة. إنه من الصنف الذي قد لبسته جدتي في جنازتها».

ضحك، وقال: «لطالما أحببته».

«أحببته عندما حصلت عليه. لا ريب في ذلك. وبأمانة، يا بادي ماكواير، تمرّ أوقات فيها ....».

«آسف، آسف، آسف. حاولت أن أقدم فائدة. بكم الأوسلوت؟».

«بخمسة وثمانين أو بتسعين على الأقل».

«طيّب، فليكُنْ».

«بادي، قل لي بأمانة، بأمانة الآن: أمِنْ كل عقلك تحسب أنني أضع خمسة وثمانين جنيهاً على ظهري؟».

وبدافع الاقتصاد، رسم ماكواير خطاً بقلم الرصاص على الخريطة، مقصراً الرصيف بخمس ياردات، وجعل يتساءل في نفسه إن كان مشرف الناحية سيرضى على فعله.

«طيب، المسألة هي: أيرضيك حَمَل هندي؟ قلتِ ما لونه: أسود؟ إنه لحَمَل غريب».

ومحا الخط بانفعال. إذا اقتطع من الرصيف خمس ياردات فإنه لن يتجاوز المياه الضحلة.

«يمكننا صبغه وجعله بنياً إن شئنا»، صاحت مولي، «يمكننا الحصول على كل أصناف الحملان: فعريض الذيل هو فرو الحَمَل الفارسي غير المولود».

وأيقظه هذا: المزارع الصالح قد صُعق فيه.

«الحَمَل غير المولود»، صاح، «أتعنين أنهم ....».

«أجل، أليس الأمر مهولاً؟ إخلاصاً للسماء، يا بادي، ينبغي أن تُسجن كل من تلبس عريض الذيل. بادي، لقد عزمت أمري، لا يمكنني شراء رداء من فرو، لن أشتريه، قُضي الأمر».

وشالت البيجامات ونظرت فيها بعينين مغرورقتين. فالتفت نحوها ليعطي مشكلتها كل انتباهه.

«عزيزتي مولي، أحسبني لم أفهم مرادك. أعني: أتريدين رداءً من فرو أم لا تريدين؟ أعني: إذا فرضنا أنك لن تشتري رداءً

من فرو، فماذا عساك فاعلة؟».
«ماذا تعني بالضبط؟»، ببرودة شديدة.
«أعني: ليس من الضروري - على ما يظهر - أن تشتري رداء من فرو. أعني: إذا لم ترغبي فيه. فلا شك أن للبس سبلاً أخرى غير أردية الفرو. وإذا كنت تبغضين أردية الفرو فلمَ لا تشترين شيئاً آخر بالجودة نفسها؟ في الدنيا مئات الملايين من النساء وهن لا يملكن أردية من فرو».
«قلت لك: إنهن يلبسن! وليس عندي وقت للبس. لقد شرحت لك هذا كله».
نهض ماكواير وأدار ظهره إلى النار وضع يديه وراءه، وراح يخاطب الغرفة وكأنه قاض:
«ليس كل النساء الأخريات في الدنيا لديهن الوقت ليلبسن. لاشك أن للأمر مخرجاً. مثلاً: في الشهر المقبل ستقام حفلة في حديقة منزل الرئيس، كم من أولئك النسوة سيرتدين أردية من فرو؟». وخاطب الأريكة: «هل للسيدة ديفاليرا الوقت للبس؟». والتفت وانحنى نحو سلة الخث: «هل لزوجة الجنرال مالكيهي الوقت للبس؟ للقيام بذلك كله وسائل وسبل». ألقى نظرة خاطفة على خريطة الرصيف، بالإمكان أن يحذف من عرضه قدمين. «وبعدُ، لقد أخبرتني بنفسك أن بوسعك شراء بذلة بخمسة وعشرين جنيهاً، أليس هذا حقاً؟ حسن جداً إذاً»، قالها ظافراً: «لماذا لا تشترين بذلة سوداء بخمسة وعشرين جنيهاً؟».
«لأنها - أيّها الأحمق - توجب شراء نعلين وبلوزة وقبعة وقفازين وفروة وحقيبة، وكل ذلك مما يناسبها، وهذا سيكلفني كثيراً، وسيأخذ وقتاً طويلاً من البحث، وما عندي وقت لهذه الأمور، ويجب أن يكون عندي بذلتان أو ثلاث: لأنني - والسماء التي فوق - لا يمكن أن أظهر بالخرقة نفسها كل يوم، أليس كذلك؟».
«طيّب! طيّب!، وصلنا إلى حلّ. السؤال الآن هو: هل ستشترين رداءً من فرو أم لن تشتري؟»، وجعل يعدّ على أصابعه: «أولاً: إنه مدفئ، ثانياً: سيقيك البرد، ثالثاً: ....».
وثبت مولي وزعقت ورمته بسلة الترقيع، وقالت: «كفى! قلت لك لا أريد رداءً من فرو! وأنت لا تريد أن أشتري رداء من فرو! إنك الحقير! هذا هو الأمر! وفيك - مثل الإيرلنديين جميعاً - ذلك الأصل، وهو الفلاح. إنكم أجمعين بعضكم مثل بعض. دع رداء الفرو اللعين: إنني لم أرغب فيه ....».
وجرت خارجة من الغرفة وهي تنشج غضباً وخيبة.
«حقير؟» قالها ماكواير لنفسه لاهثاً. «لا يجوز لأحد أن يقول: إنني ... حقير!».
فتحت الباب بعنف، وقالت وهي تنشج:
«سأذهب إلى الحفلة في الحديقة بالممطر، وأرجو أنه سيرضيك!».
وجرت خارجة مرة أخرى.
جلس إلى طاولته بائساً وقد ملأ الغضب عروقه بالبرد. تمتم بالكلمة البغيضة مرة إثر مرة، وراح يفكر ما إذا كان فيها شيء من الحق. أضاف إلى الرصيف عشر ياردات. قصّر العشر إلى خمس، وحين أدرك فعلته رمى عن الطاولة جميع ما كان فوقها.
مرت عليهما ثلاثة أيام حتى سوّيا الأمر. لقد ضربته تحت الحزام، ولقد عرف الاثنان ذلك. وفي اليوم الرابع رأت على طاولة زينتها شيكاً بمئة وخمسين جنيهاً. وثب قلبها من فوره. ولكن الفرحة ماتت في إثر ذلك مباشرة. نزلت وطوّقت عنقه بذراعيها، ودسّت في يده الشيك وقد مزقته أربعاً.
«آسفة يا بادي»، قالت متوسلةً وهي تبكي كالأطفال. «لست حقيراً. لم تكن كذلك في يوم من الأيام. أنا الحقيرة».
«أنت حقيرة؟»، قالها بحبّ وقد حملها بين ذراعيه.
«لا لستُ بحقيرة. ليس الأمر هكذا. ما عندي الشجاعة يا بادي. لقد فقدتها منذ سنين طويلة». نظر إليها بحزن. «تعرف ما أحاول قوله؟».
أومأ برأسه موافقاً، بيد أنها أدركت أنه لم يعرف. لم تكن على ثقة بأنها قد عرفت نفسها. أخذ نفساً عميقاً فيه من الحزم، ووضع يديه على كتفيها مبعداً إياها عنه، ونظر في عينيها: «مولي، قولي الحق. تريدين هذا الرداء؟».
«أريده، بالله أريده!».
«إذاً، اذهبي واشتريه».
«لا أستطيع يا بادي. لا أستطيع».
نظر إليها ملياً، ثم سأل: «لماذا؟».
نظرت إليه مباشرةً، وهزّت رأسها بأسى وهي تنشج بصوت ضعيف:
«لا أدري».

الفتاة والمارّون

عامر البري
سيدي عامر - تونس

قصيدة

الفتاةُ التي عشقها المارّون أمام سياج
مدرسة الأخوات، بالباب الجبلي،
قبالة سوق الرّخويّات،
وحوانيت الزّهر،
يجتازونَ أوّل الإشاراتِ الحمْر،
إلى آخرِ الإشاراتِ الحمْر
واستطالةِ النّظرِ والبريقْ،
وحريقِ حبّاتِ القسطلِ المرشوقِ في
الطّريقْ،
يلعنُ احمرارَ الشّفقْ
لآخرِ النّفقْ
سوسة الحمراء،
لا يكفيها «على صحّتك» كي ترتمي في
أحضانك،
إنّما تُريدُكَ
مطليًا..
بالفليورْ..
وبالزّئبق.

سوسة: جوهرة الساحل التونسي.



نورمان ديفيز:

بولندا بريئة من أكاذيب الصهيونية

حوار وترجمة : عبدالعزيز الحميد. ومحمد بن عودة المحيميد

تصوير : عبد الرشيد

الرياض - السعودية

• بروفيسور نومان ديفيز، أهلاً بك. هناك - في العادة - سؤال تقليدي يُبدأ به: فهل لك أن تقدم نفسك إلى القارئ العربي؟

أنا مؤرّخ بريطاني الجنسية، تلقيت تعليمي الجامعي في جامعة أكسفورد، وتنصبّ اهتماماتي العلمية على القارة الأوروبية. وأهم كتاب ألّفته كان عن أوربا بكاملها، وهو «تأريخ لأوربا»، وآمل أن يُترجم إلى اللغة العربية. وتركيزي في أوربا، خصوصاً بولندا التي كانت في بدايات القرن العشرين تضم لتوانيا وأوكرانيا وبولندا الحالية. وأنا متزوّج من امرأة بولندية، ولديّ ولدان، وأعيش في أكسفورد، وفي كراكو أحياناً.

• ما المنهجية التي تتبعها في كتابتك التاريخ؟

تعتمد المنهجية على نوعية العمل، فبعض الأعمال التاريخية تعتمد على التحرّي والتقصّي والبحث في المستندات التاريخية وتحليلها، وبعضها الآخر يعتمد منهجية أخرى. وقد وجدت من خلال عملي في هذا المجال أن بعضاً من المؤرخين أصبحوا أكثر تركيزاً وتخصّصاً؛ بسبب وفرة المعلومات وتنوّعها، فكل واحد يعمل في مجال محدّد وضيّق. أما الصورة البانورامية العامة الآن، فقد أصبحت مهملة ومتروكة، فعلى سبيل المثال: لم أجد مؤلفاً واحداً يتناول أوربا كلها

قامت بولندا بحماية اليهود مدة طويلة من الزمن، ولكن بدلاً من ذلك يريد الكتّاب الصهاينة دائماً تصوير بولندا على أنها معادية للسامية

خلال السنوات الستين الماضية، وقد أمضيت عشر سنوات في إعداد كتابي «تأريخ لأوربا». وعلى أية حال، فمنهجية كتابة التاريخ متعددة ومختلفة، كما هو الحال في الأعمال والمؤلفات غير التاريخية الأخرى. ولا أرى اختلافاً بين كتابة التاريخ وتدريسه، كما أن نصف عمل المؤرّخ يعتمد على مهارته، وليس على التتبّع والتحرّي فقط.

• هل تميل في بعض الأحيان إلى التحليل أو السرد فقط؟

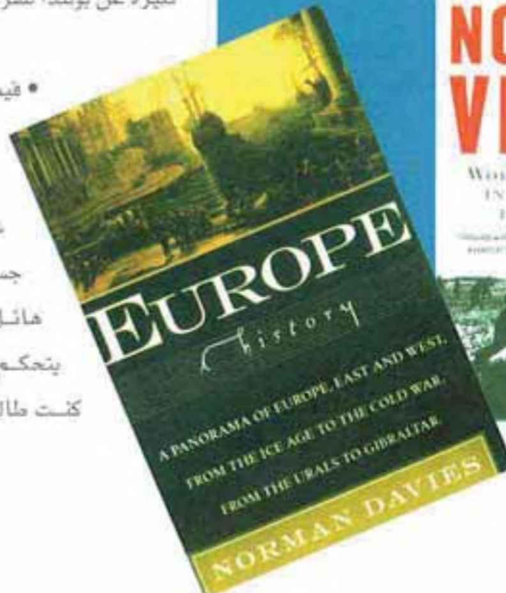
أعتقد أن السرد مهم، ويحتاج التاريخ إلى قصص تُروى، ولكن السرد ليس كل شيء، والأهم معرفة الحدث، ومعرفة أسبابه وتحليله.

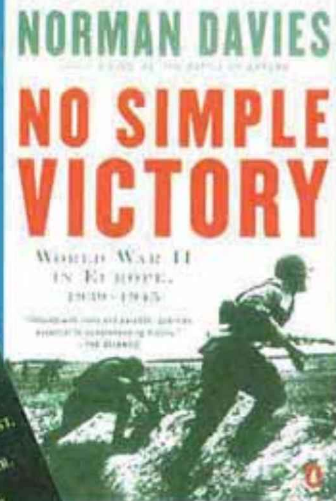
• هل لك أن تحدثنا عن أسباب تركيزك في تاريخ بولندا؟

يعود تركيزي في تاريخ بولندا إلى عدة أسباب، منها أن المؤرخين الآخرين تجاهلوا بولندا، فقد كان المؤرخون في الماضي يهتمون بالقوى العظمى، ولا يُعيرون ضحايا تلك القوى أيّ اهتمام؛ فقد دُمّرت الأمة البولندية، واستغرقت قرنين لكي تحصل على استقلالها. فأنا مهتم بتاريخ بولندا لأن الآخرين أهملوه، كما أن زواجي من امرأة بولندية ساعدني على معرفة اللغة، وشرح أشياء كثيرة عن بولندا للقرّاء الذين لا يعرفون عنها شيئاً.

• فيما يتعلق بالثورة التكنولوجية والمعلوماتية، هل تعتقد أن ذلك أفاد كتابة التاريخ، أو أنه أضرّ بها؟

شكّلت تلك الثورة المعلوماتية خطراً جسيماً على كتابة التاريخ؛ وذلك لتوافر كمّ هائل من المعلومات بصورة لا يمكن للمؤرّخ أن يتحكم فيها، فقبل أربعين سنة ماضية، عندما كنت طالباً في جامعة أكسفورد، أصدرت مطبعة





جانب من حضور محاضرته في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

جامعة أكسفورد ٣٠ أو ٤٠ عملاً تاريخياً. أما الآن فالأعمال التاريخية بالآلاف. ولا يستطيع المرء قراءة كل شيء؛ مما شعّب الكتابات، فأصبحت أكثر تخصصاً، وأضيق مجالاً، وما يُنشر على الإنترنت مذهل، وهناك حاجة ماسّة إلى التأليف في هذا الميدان، والخروج بأعمال شاملة في ظلّ توافر هذا الزخم الهائل من المواد الدقيقة في مجالها والمتشعبة.

• بماذا تردّ على من يتهمونك بمعاداة السامية؟

(ضاحكاً) حسناً، أعتقد أن ذلك مضحك؛ فالقليلون من الأشخاص الذين يجهلون حقيقة الأمور ينعتونني بأنني معادٍ للسامية، فما اتهمت به هو أنني لم أتحدث - في نظرهم، وليس في نظري - بما يكفي عن معاداة السامية، وأذكرك بأن هناك كثيراً من الحديث عن معاداة السامية، وقليلا من المحاولات من قبل العارفين عن الضحايا من الناس المختلفين؛ فمثلا العقيدة (الأيديولوجية) الصهيونية تصر على تذكيرك خطأ بأن بولندا كانت عدوة للسامية؛ لأن اليهود يشكلون تاريخيا أقلية كبيرة في بولندا، ويريد الصهاينة أن يقنعوا اليهود الذين يعيشون في بولندا بأن يرحلوا إلى فلسطين. هذه هي عقيدتهم؛ لذلك فلا بد لهم أن يقولوا إن بولندا كانت عدائية تجاه اليهود سواء أكان ذلك صحيحا أم لا. وفي نظري أن ذلك جزء من الحقيقة؛ فقد كانت هناك مشكلات بين الأديان المختلفة، وإشكالات بين الأعراق المتباينة. وفي نظري يجب أن تعدّ بولندا بلدا قام بحماية اليهود مدة طويلة من الزمن. ولكن بدلا من ذلك يريد الكتّاب الصهاينة دائما تصوير بولندا على أنها معادية للسامية. ولكني أرفض ترديد هذه النظرة العقائدية. ونتيجة لذلك فأنا أرفض وجهة النظر الصهيونية سواء اتُّهمت بأنني معادٍ للسامية أم لا. وهو أمر غير صحيح.



ديفيز محاضراً في مركز الملك فيصل

• معظم اليهود يشتكون دائماً في خطابهم وأدبياتهم من أنهم ضحايا، ما تفسيرك لذلك؟

في نظري، الصهيونية نمط قديم من الأيديولوجية القومية المماثلة للأيديولوجيات القومية الأخرى في القرن التاسع عشر، خصوصاً في ألمانيا. وهناك القومية البريطانية والفرنسية والبولندية والروسية، وقد ترعرعت الصهيونية في بدايات القرن العشرين عندما كانت هذه القوميات كلها مقبولة، وكانت الحركات القومية كافةً تؤمن بأن الآخر عدو لنا، ونحن الوحيدون الذين نحبّ الحياة والإنسان، والآخر معاد لنا، ونحن نناضل ضد جيران معادين. والقومية تتطلّب عداءً من أجل أن توجد خوفاً لدى الناس، وتعمل على تسويغ كونها حركةً، وهذا أمر شائع بشكل كبير. وبالطبع، كان هناك عداء لليهود في الماضي، خصوصاً في ألمانيا النازية.



على إسرائيل أن تكون مسالمة مع جيرانها

كذلك فإن النازيين يعدّون البولنديين والأوكرانيين والروس وكثيراً من المجموعات الأخرى من دون مستوى الإنسان، ولكن تم ترديد الخوف والقلق لدى اليهود في منتصف القرن العشرين، وتمّت المداومة عليهما من أجل خلق هذا الخوف لأغراض سياسية.

• هل تلك الأيديولوجية الصهيونية تصبّ في مصلحة اليهود؟

أعتقد أن الصهيونية تواجه تنامياً في السنوات الماضية لسوء الحظ: فقد أخذ منحى العسكرة يزداد بشكل أكبر، وهذا أمر خطير، ولا أدلّ على ذلك من النظرة الصهيونية التي تعدّ جميع جيران إسرائيل أعداء لها. ويجب أن تعلم القيادة الإسرائيلية أن عليها أن تكون مسالمةً مع جيرانها؛ فإسرائيل موجودة منذ ستين عاماً، ولكن ليس هناك سلام على الأرض، وهو أمر مهم حتى للإسرائيليين أنفسهم. وفي نظري، فإن الشرق الأوسط مقبل على أزمة، والحركات القومية التي بدأت في القرن التاسع عشر أخفقت وقد تعلّم الأوربيون ألا يكونوا قوميين.

• ولكنّ اليهود مؤثرون، ألا ترون ذلك؟

نعم، هم مؤثرون، والسبب هو دعم الولايات المتحدة الأمريكية لهم، خصوصاً خلال الثلاثين عاماً الماضية.

- البروفيسور نورمان ديفيز من مواليد بولتون (لانكاشير) عام ١٩٣٩م، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة جاجيللونيان في كراكوف ببولندا، وتمّ انتخابه زميلاً للأكاديمية البريطانية عام ١٩٩٧م.
- حاضر ودرّس في جامعات بريطانية وأوربية كثيرة، ويحمل عدداً من الدرجات الفخرية، كما يعدّ اليوم من أشهر مؤرّخي أوربا، ولكتبه رواج واسع، خصوصاً كتابه المهم (تاريخ لأوربا)، الذي تُرجم إلى عدة لغات لأهميته.
- اتّهمه بعض المؤرّخين الأمريكيين بأن له مواقف معادية لليهود؛ لأنه يؤمن بنظرية تقول: «إن الشعب البولندي بأكمله عانى النازية، وإن عدد من قُتل من البولنديين غير اليهود بلغ ثلاثة ملايين»، وينفي ديفيز ذلك الاتهام، ويؤكد أنه مؤرّخ محايد.
- للبروفيسور ديفيز عدد من المؤلفات، منها: النسر الأبيض والنجمة الحمراء - عام ١٩٧٢م، وتاريخ لأوربا - مطبعة جامعة أكسفورد عام ١٩٩٦م، وتأريخ الجزر - عام ١٩٩٩م، وعالم صغير - بالاشتراك مع روجر مورهاوس، والنهوض ٤٤ - عام ٢٠٠٢م، وأوربا في الحرب.
- حصل البروفيسور ديفيز على عدة أوسمة، منها: جائزة CMG - عام ٢٠٠١م، ووسام الاستحقاق البولندي.



الاهتمام العثماني

بنسب السادة والأشراف

سهيل صابان

الرياض - السعودية

اهتم العثمانيون بالسادة والأشراف اهتماماً كبيراً، وأسست الدولة العثمانية نقابة خاصة بهم منذ وقت مبكر؛ لتسيير أمورهم في أنحاء الدولة كافة. وقد أسندت رئاستها إلى العالم الفاضل السيد محمود في عهد بايزيد الثاني (في أوائل القرن العاشر الهجري). وكان للنقيب وكلاء (قائممقامون) في بعض الحواضر الإسلامية، مثل: الحجاز، وبغداد، والشام، وحماة، والقاهرة. وقد استمرت النقابة في القيام بأعباء مهامها حتى أواخر العهد العثماني؛ أي: إلى حين إلغائها مع إلغاء السلطنة في الدولة العثمانية عام ١٣٤٠هـ/١٩٢٢م (للتفصيل انظر: نقابة الأشراف في الدولة العثمانية/مراد صاريجيك: ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م).

وهذا الاهتمام العثماني لا ينبع فقط من المنطلق الديني؛ وإنما لأن هناك ما يترتب على ذلك من الأمور والأعباء المالية على الدولة ذاتها. ومن هنا، كان على الدولة التحقق من شجرات النسب والوثائق الخاصة به بدقة تامة؛ وذلك لتأثير ذلك في ميزانية الدولة. ومن المعلوم أن السادة والأشراف كانوا معدودين من فئة العساكر في الدولة العثمانية، وكان العساكر مستثنين من جميع الضرائب والرسوم التي تجبى من غيرهم، إضافة إلى وجود رواتب ومخصصات مالية لهؤلاء السادة تدفعها الدولة إليهم؛ لذلك كان أي شخص يلبس لبساً أو علامة خاصة بالسادة، يُطلب منه إثبات نسبه. فإن لم يستطع إثبات نسبته إلى هذا النسب الشريف من خلال حجة شرعية صحيحة، أو وثيقة صادرة من نقيب السادة، كان يؤخذ إلى المحكمة، فيكتب تعهداً على نفسه بعدم الشروع في ذلك مرة أخرى، ومن ثم يؤخذ إلى مخفر للشرطة فيضرب حتى يتوب، ثم يخلى سبيله. وهذا الإجراء يدلّ دلالة واضحة على الاهتمام الذي أبرزته الدولة العثمانية بنسب السادة، وفي الوقت نفسه التشديد على الجهات الحكومية، بما فيها النقابة، في عدم منح أي إثبات لمن لم تثبت نسبته إلى هذه الذرية الشريفة. وكانت لدى النقابة في إستانبول سجلات خاصة بسائر السادة والأشراف، تقوم بمنح الشهادة من خلال تلك السجلات، إضافة إلى الإلمام التام للنقيب في معرفة شجرات أنساب السادة؛ إذ إن من شروط تنصيبه لهذا المقام أن يكون عالماً فقيهاً، إضافة إلى نسبته إلى السادة.

وقد أبانت لنا وثيقة عثمانية (صادرة في سنة ١٣٢٨هـ/١٩١٠م) محفوظة في تصنيف A.PRK.Y.١٥/٣:٤ أمراً تفصيلياً يتعلق

باستثناء السادة والأشراف من الضرائب. وفيما يأتي ترجمة كاملة للوثيقة:

الباب العالي

دائرة الصدارة العظمى

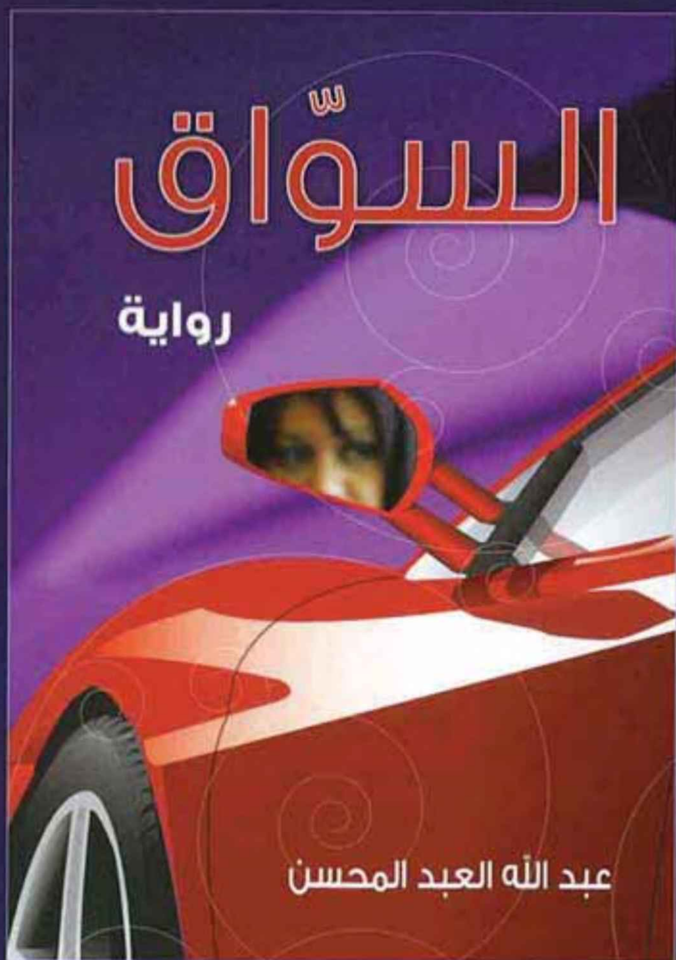
الديوان الهمايوني

صورة الأمر العالي

حكم لقاضي (أشقودره):

قدِّم من أهالي عشيرة بزتلو، ومن أولاد الشيخ صلاح الدين، ومن السادة الكرام السيد صاري محمد، والسيد سليمان بن السيد علي، والسيد عثمان بن السيد فتاح، والسيد حسن، والسيد خالد، والسيد محمد – زيد شرفهم – معروضاً إلى معيتنا السلطانية، وبيدهم وثيقة صادرة من نقابة إستانبول تفيد أنهم صحيحو النسب، وثبت أنهم من السادة الكرام، كما توجد بيدهم مستندات وتمسكات معمول بها. وفي الوقت الذي كان معلوماً عدم التعدي عليهم (أي عدم تحصيل الضريبة منهم)، فقد قام ضابط البلدة المذكورة بتصرف غير قانوني، فطلب منهم رسوم الرعية، كما قامت طائفة أهل العرف بتحصيل الرسوم الشاقة منهم بلا أمر شريف (أي بلا حكم سلطاني). وبناءً على أنهم طلبوا إصدار أمرنا الشريف بعدم مطالبة الضابط المذكور برسوم الرعية منهم، وعدم مطالبة طائفة أهل العرف بالرسوم الشاقة منهم، على الرغم من أن الأمر الشريف يقضي بعدم إزعاجهم بشيء من ذلك، فقد أصدرت أمري بأنه إذا وصل إليكم حكمنا الشريف فليتم العمل به، ولتَرَ أنت (يا جناب القاضي) مدى التقيد التام به؛ فإذا كان بيد المذكورين تمسك من نقابة إستانبول بأنهم من السادات الكرام الثابتي النسب فلا تؤخذ رسوم الرعية منهم، ولا التكاليف الشاقة من دون أمر، ولا يتعدى بذلك عليهم أحد، ولا يتصرف خلاف القانون، ولتمنعهما من ذلك. فإذا قام أحد بالتصرف خلاف أمرنا السلطاني فلا تتركه يقوم بذلك، ولتنفذ أمرنا المتعلق أيضاً بالموضوع المذكور، ولتعلم أنه يجب عليك اعتماد علامتنا الشريفة. تحريراً في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين وألف. (ا.هـ)

وكما سلف ذكره فإن موضوع استيفاء الرسوم والتكاليف العرفية التي كانت تساهم في توفير الأموال لخزينة الدولة، وكان لابد من التقيد بتحصيلها من المواطنين كافة سوى فئة العساكر. كان من الأمور التي شددت في التحقق من شجرات أنساب الأشراف؛ بسبب تعلق ذلك بواردات الدولة. إضافة إلى اهتمام العثمانيين بالسادة النابع من النصوص الدينية.


السوّاق
رواية
عبد الله العبد المحسن









الطيور:

إبر رقيقة ترفو معطف الريح، وتوشّيه بالغناء لتمنحنا الفرحة والحب، وتعيد لنا جمال الكون وكينونة الجمال، إنها تؤكد لنا - دائماً - أن الحياة جميلة على الرغم من كل هذا البؤس الذي يحاصرنا!. الطيور كواكب متلألئة في ظلمة هذا الكون الشاسع؛ فهي بريد الفرح الذي يخبرنا عبر هجراته أن عاماً جديداً قد أتى، فكل عام وأنتم بحب.

ع. الكويليت

